[الطبعة الثالثة]

سلسلة الإصدارات العلمية (١)

أنا الإسلام

I am Islam

د. جمال بن يوسف الهميلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنا الإسلام

I am Islam

جمع وترتيب

د/ جمال الهميلي وآخرون

المدينة المنورة

الطبعة الثالثة

١٤٣٧ هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ⓒ جمال يوسف الهميلي ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهميلي ، جمال يوسف

أنا الإسلام = I am Islam. / جمال يوسف الهميلي – المدينة المنورة ، ١٤٣٢هـ

١٨٧ ص ٢٤ سم

ردمك: ١-٧٧٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٨٧

١- الإسلام – مبادئ عامة أ.العنوان

ديوي ٢١٠ ١٤٣٢/٥٧٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥٧٠٥

ردمك: ١-٧٧٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل الدين وأتم النعمة على عباده أجمعين ،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ومرشد البشرية إلى دروب الفائزين ، وبعد

جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية ؟ قال: قوله "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**" [1]فقال عمر- رضي الله عنه- : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ: عشية عرفة في يوم جمعة وفي رواية أخرى قال عمر رضي الله عنه: كلاهما عيد والحمد لله. يعني أن يوم عرفة لنا (نحن المسلمون) عيد وكذلك يوم الجمعة [2].

نعم إنها النعمة الكبرى التي امتن الله بها على عباده وهي إتمام النعمة واكتمال الدين، فأصبح الدين كاملاً لا نقص فيه ، والكمال هنا كمال رباني أي لا يمكن أن يعتريه أي نقص وبأي وجه من الوجوه.

لذا وجب على كل مسلم تعلّم هذا الدين أن يدرسه ويطبقه في حياته ليس من أجل النجاة في الآخرة فقط بل من أجل السعادتين الدنيوية والآخروية، فلا سعادة ولا فلاح إلا بالسير على طريق هذا الدين .

إنَ الله أكمل الدين ليكون ديناً شاملاً لكل أنواع الشمول: شمولية الزمان، وشمولية المكان، وشمولية الموضوعات ، فإليك بيان ذلك :

---

[1] المائدة ٣

[2] رواه البخاري

فشمولية **الزمان** تعني أنه دين صالح لكل زمان، فهو دين الماضي ودين الحاضر ودين المستقبل، ومن المظاهر في ذلك :

- ✓ وضع تشريعات ثابتة لا تتغير مع تغير الزمان ،لعلم الخالق سبحانه بضرورتها لكل زمان مثل : الحدود الشرعية والفرائض الأساسية والقوانين العامة .
- ✓ فسح المجال لعلماء كل زمان في الاجتهاد لما ينزل بهم من حوادث ومتغيرات بما يتناسب مع بيئتهم وواقعهم وفق ضوابط عامة وأسس شرعية(ليس المجال في الحديث عنها) مستقاة من الكتاب والسنة فهي المصدر الأساس .
- ✓ الدعوة إلى التزوّد بالعلم والسعي في توظيفه لخدمة البشرية ،فالمسلم يسعى جاهداً للزيادة من العلم والتعلم والمسابقة العالمية في ذلك، فالأمة المسلمة يجب أن تكون الأولى دائماً في مختلف المجالات كالمجال العلمي والمجال الاقتصادي ، ونقصد بالعلم هنا: هو كل علم نافع يمكن أن يسهم في رقي الحياة الإنسانية ونيل كرامتها وتحقيق رضاها على الكرة الأرضية ، وليعلم كل مسلم أن الدال على الخير كفاعلة، فمن دل على خير أو علم نافع فله أجره وأجر من بعد لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .والواقع خير شاهد على ذلك، فها قد مضى على بعثة محمد ﷺ أكثر من ١٤٠٠ سنة ولا تزال قواعد الشريعة الثابتة لم تتغير، بل إنها قد ساهمت مساهمة كبيرة في تقدم الأمة الإسلامية يوم أن تمسكت بها، وهي دعوة للبشرية جمعاء إلى التمسك بتلك الشريعة الربانية فهي المخلص الوحيد لهذه البشرية لتظفر بالسعادة الأبدية .

أما شمولية **المكان** فتعني أن هذا الدين مناسب لكل مكان في هذه الأرض المعمورة ،فحيثما وجد إنسان فهو مدعو إلى الإيمان بالله والالتزام بالإسلام ، ومما هو معروف أن هذا الدين للبشر كافة بلا تميز و لا تفرقة ولا تعصب، وهذا يقتضي أن يكون هذا الدين مناسباً لكل أولئك البشر، ومن مقتضيات الشمول المكاني أن بعض الأحكام قد تختلف من مكان إلى آخر

نتيجة لاختلاف الظروف المختلفة وقد راعى الإسلام ذلك فالكثير من المسائل وخاصة الفقهية نجد أن فيها أكثر من قول وكلها مبنية على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، ولعل من حكم ذلك – والله أعلم – أن يجتهد علماء كل مكان في اختيار أنسب الأقوال في المسألة، والتي تكون أقرب في تحقيق المراد الشرعي لأهل تلك البلاد .

وثمة أمرٌ آخر يشير إلى شمولية المكان وهو: فتح باب الاجتهاد في المسائل المتجددة والمتعلقة بالحياة اليومية لعموم الناس أو لخاصتهم، فالإسلام لم يكن جامداً ولم يطلب من أتباعه عدم التفكير فيها بل أمر بالسعي الحثيث نحو تحقيق المقاصد الشرعية في كل قضية ، ولعل هذا أحد أهم الأسباب في ظهور المجامع الفقهية ومناقشتها للكثير من المسائل المستجدة في حياة الناس وفي كل مكان .

ومن المؤشرات على عالمية هذا الدين دخول الكثير من مختلف الأجناس ومن شتى الأماكن في هذا الدين، وانخراطهم في تعاليمه والتزامهم بأوامره وهم في أماكنهم وفي أعمالهم .

أما شمولية **الموضوعات** ففيه تنظيم لتعامل الإنسان مع نفسه ومع الآخرين، ليس البشر فقط بل حتى مع الحيوانات والجمادات والنباتات فهي أوضح وأنصع ولعل ما سنتحدث عنه في هذا الكتاب سيجيب بوضوح عن هذا الشمول بالذات، بالإضافة إلى تنظيم الحقوق والواجبات بين مختلف فئات المجتمع بما يحقق السعادة للجميع ،فلا ظلم ولا غش ولا كذب ولا احتقار ولا ...بل عدل وصدق واحترام لحقوق العباد و .... مهما كان لونه وجنسه ودينه فمن ذلك قول الرسول الكريم – ﷺ – : " حق المسلم على المسلم ست . قيل : ما هن ؟ يا رسول الله ! قال : إذا لقيته فسلِّم عليه . وإذا دعاك فأجبه . وإذا استنصحك فانصح له . وإذا عطس فحمد الله فشمِّته[٣] وإذا مرض فعده[٤] . وإذا مات فاتبعه "[٥] .

---

[٣] أي قل له : يرحمك الله .

و في الجانب **الاجتماعي** حث على حسن الخلق مثل الصدق والوفاء بالعهد حلو الكلام، تأمل هذا الحديث الشريف : "إنَّ من أحبكم إلَّي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا"[٦] " هل لاحظت " أحبكم إليَّ " و " أقربكم مني مجلساً يوم القيامة " فهي منزلة عظيمة نسأل الله أن يرزقنا وإياكم هذه المنزلة، وفي المقابل التحذير من الكذب والغش والخداع وسوء الخلق مع المقابل حتى عندما يعاملك الآخر بالسوء ، فالمسلم يعامل الناس بأخلاقه لا بأخلاقهم ، فعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال : " أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك "[٧] .

وضع الإسلام الحدود والعقوبات لكل من يتجاوز و يعتدي على الآخرين أو يرتكب جريمة ، فمن معجزات هذا الدين التشريع الحكيم في العقوبات ، حتى أنَّ الكثير من الدول المتقدمة استفادت من ذاك التشريع نظراً لدقته وعنايته بجميع الأمور والمصالح

كما نظم الإسلام الأمور الاقتصادية في التعامل بين الناس عموماً ،فوضع الزكاة وهي مقدار معين من أموال الأغنياء يأخذ منهم ليعطى للفقراء والمحتاجين،مساهمة في تطهير النفوس ،وتحقيق التكافل الاجتماعي، كما أنَّ الإسلام رغب في الصدقات وحث عليها ورتب عليها الأجر الكبير،وفي المقابل نهى عن الربا و الغش والتلاعب في الأوزان وغيرها مما هو منثور في كتب الإسلام الاقتصادية .

كما نظم الإسلام العلاقات السياسية بين الحاكم والمحكوم وبين حقوق وواجبات كل فريق ، ورسم طريقة التعامل مع الآخرين في حالة السلم والحرب، وطبّق ذلك الرسول الكريم – ﷺ– وصحابته الكرام من بعده وأمته.

---

[٤] أي زيارته

[٥] رواه مسلم

[٦] رواه الترمذي وصححه الألباني

[٧] رواه الترمذي

أما في موضوع المرأة فلا يوجد – ولن يوجد – تشريع أعطى المرأة حقوقها ونظم شؤونها كما فعل الإسلام، فهي أم وهي زوجة وهي بنت، وفي كلٍ لها حقوق كحق النفقة عليها، وحق الاحترام والتقدير وحق الملكية فلها أن تتملك ما شاءت ولها أن تعمل وتسعى بما لا يتعارض مع الشريعة بل هي شقيقة الرجال، لأن الخطاب الشرعي والإسلامي خطاب تشترك فيه المرأة والرجل إلا ما دل عليه الدليل من تخصيص المرأة بأمر دون الرجل أو العكس ،وذلك نتيجة للاختلاف التكويني والجسدي لكل منهما ولحِكَمٍ أخرى ليس مجال الحديث عنها الآن .

ولعلنا نختم الحديث عن " شمولية الإسلام " في بيان اهتمام الإسلام ليس بالإنسان فقط بل تجاوزه إلى الرفق بالحيوان وكذلك النبات بل وكل المخلوقات وإليكم بعض الأحاديث في هذا : فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺقال: "غفر لأمرأة مومسة(زانية)، مرت بكلب على رأس ركي(بئر) ، يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك" رواه البخاري.وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: " بينما رجل يمشي بطريق، إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له). قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: (في كل ذات كبد رطبة أجر" رواه البخاري

ومن هنا كانت فكرة هذا الكتاب، للتعرف على هذا الدين في مختلف جوانبه و نظرته لما بعد الموت ومصير العباد ، ولما كان من الصعب الإلمام بكل هذه التفاصيل في كتاب واحد فيصبح من الصعب قراءته فإنا سنكتفي بالبيان الموجز لتعين – بعد الله – للسير على طريق الناجين على منهج سيد الأولين والآخرين للفوز بالسعادة في الدارين.

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجعنا دعاة مهتدين غير ضالين ولا مضلين إنه الهادي إلى سواء السبيل.

الفقير إلى عفو ربه : د. جمال الهميلي

الباب الأول

أركان الإسلام

لكل قضية أركان أساسية لا يمكن الاستغناء عنها وفَقدُ بعضها يعني فقد ذلك الأمر جزئياً أو كلياً ، كذلك في الإسلام هناك أركان وأسس تمثل الأعمدة والقواعد التي يقوم عليها، وفقدُ واحد منها أو أكثر يعني فقد شيء كبير ومهم من الدين وربما فقدُ الدين بالكامل ، ونظراً لأهمية وخطورة تلك الأركان فقد أرسل الله أفضل ملائكته إلى أفضل رسله ﷺ ليعلمنا أركان ديننا، وإليك القصة كما رواها عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال :

" بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا** . قال : صدقت ،...ثم قال : يا عمر ، **هل تدري من السائل ؟** قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**."

لقد بين الرسول الكريم ﷺ أن أركان الإسلام خمسة وهي : الشهادتين و إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. فعلى كل مسلم أن يتعرف على تلك الأركان ويفهمها، ويلتزم بها منهجاً وسلوكاً ، ومن أجل ذلك سنسعى في توضيح تلك الأركان وبيانها بصورة مجملة لتكون سبباً لك – بإذن الله – في الالتزام بهذا الدين والعمل به، ومن ثم الفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والجنة العليا في الدار الآخر

الفصل الأول : الشهادتين

الشهادتان هي الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة والتي بُني عليها هذا الدين العظيم، وهي المدخل إلى ذلك الدين الفسيح.

وهاتان الشهادتان هما :

١. شهادة أن لا إله إلا الله ٢ / شهادة أن محمداً رسول الله .

فالشهادة الأولى تعني : نفي الإلوهية لغير الله وإثباتها لله وحده فلا معبود بحق إلا الله .

فالله هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي يرزق، وهو ألذي يعطى، ومن الطبيعي أن الذي خلق ورزق وأعطى هو الذي يستحق أن نتوجه له بالشكر والعرفان والعبادة، وهكذا يتحرر الإنسان ويصبح عبداً لله وحده وليس لبشر مثله أو لكائنات أو لمخلوقات لا تضر ولا تنفع، فالعاقل هو الذي يدرك هذا المعنى في فطرته منذ نعومة أظفاره .

فالإسلام يرتقي بالإنسان فيجعله سيداً وحراً وليس أسيراً لغيره ولا لشهواته، فكم نرى ونسمع عمن أصبح أسيراً لشهواته وعبداً لها أو عبداً لنزواته فتسيُّره حيث شاءت مهما كانت النتائج، فالله هو رب الجميع، فالكل يجب أن يتوجه إليه، والكل يجب أن يكونوا عبيد له وحده.

ومن مستلزمات هذه الشهادة **أن تكون حياة العبد كلها وفق مراد الله**، فالسياسة والاقتصاد والاجتماع ،والتعامل والذهاب والإياب، والأكل والشرب واللعب والنوم وكل ما يتعلق بحياة " الإنسان " الخاصة والعامة من الأمور القلبية كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل ،والإنابة والخشية وغير ذلك من أعمال القلوب ، أو الأمور المتعلقه بأعمال الجوارح كالنظر والسماع

والبطش و.. إلخ فكلها تسير وفقه منهج " الله " وكما أراده " الله " وبكلمة موجزة فإن " لا إله إلا الله " منهج حياة متكامل مختلف عن كل منهاج البشر فهو من الله ولله وبالله.

وفي المقابل فهذه الكلمة تعني ترك أي عبادة غير الله والتبرء منها ، وهذا هو منهج إبراهيم عليه السلام كما قال الله في كتابه: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)**[٨] فهذه صرخة يعلنها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إنه يتبرأ من كل ما يعبدون ،ثم يوضح الاستثناء بقوله " **إلا** " و يبين سبب عبوديته لله بأنه " **فطرني** " أي خلقني وهو الذي يهديني ويرشدني ،ثم جعل هذه الكلمة " لا إله إلا الله " باقية في ذريته ولكل من هداه الله وأرشده إلى طريق الصواب والخير ، فلا عبودية للأوثان ولا للحيوان ولا للإنسان وإنما لله وحده لا شريك له .

ولما كان منهج إبراهيم عليه السلام هو المنهج السليم فقد أمر الله نبيه محمد ﷺ بإتباع ملَّته[٩] فقال تعالى : " **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** "[١٠] ، لذا جاء خاتم الرسل أجمعين محمد ﷺ ،ليثبت ذلك المنهج ويزيده وضوحاً ويسير على دربهم، ويعلن أنه لا آلهة وإنما إله واحد – سبحانه – كما قال تعالى: " **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** "[١١] ، نعم إنه عجيب من أهل الشرك فهم مؤمنون بتعدد الألهة مع أنها كلها باطلة ولا دليل عليها وإنما " **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** "[١٢] ، سبحان الله فأيُّ عقل

---

[٨] سورة الزخرف آية ٢٦ – ٢٨

[٩] ملَّته أي طريقته .

[١٠] سورة النحل آية ١٢٣

[١١] سورة ص آية ١٥

[١٢] سورة الشعراء آية ٧٤

وأي تفكير هذا الذي يجعل الإنسان الذي وهبه الله العقل أسيراً لعادات وموروثات لا دليل عليها، بل هناك الكثير والكثير من الأدلة على بطلانها ، فياله من سخف وياله من هبوط في الفكر والعقل .

وهذا هو منهج الركب الكريم ركب الأنبياء والصالحين على مر الدهور والسنين ،كما قال تعالى :" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** "[١٣] ، فطريق التوحيد والشهادة لله بالوحدانية طريق الأنبياء والرسل – عليهم السلام – ، فالسير على هذا الطريق شرف لكل السائرين ومكرمة من رب العالمين وتوفيق من أرحم الراحمين ، فالحمد لله على " لا إله إلا الله " .

أما الشهادة الثانية "**أشهد أن محمداً رسول الله** " فهي تعني: الإقرار لمحمد بن عبد الله – ﷺ – بالرسالة و بأنه نبي مرسل من الله إلى الناس كافة ،فهو وإن كان واحداً من البشر إلا أن الله أختاره ليكون رسولاً للعالمين .

ومن مقتضيات ذلك **تصديقه في كل ما أخبر** به من أخبار سابقه وحالية ومستقبلية، ومن مقتضيات ذلك **طاعته في أمره به والالتزام به وتجنب كل ما نهى عنه** فهو لا يتكلم من عند نفسه ، بل كما قال ربنا " **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)**"[١٤] ومن هنا فالمسلم الحق هو الذي يلتزم بكل ما أمر به رسوله ﷺ بقدر استطاعته، وينتهي عن كل ما نهى عنه رسوله ، ومن مستلزمات الشهادة لمحمد بالرسالة **ألا نعبد الله إلا بالطريقة التي يرسمها لنا**، فليس لأحد مهما كان شأنه ومهما كانت منزلته أن يحدد للمسلم طريقة عبادة

[١٣] سورة الأنبياء آية ٢٥

[١٤] سورة النجم

معينة أو أسلوب مخصص للوصول إلى مرضاة الرب، وإنما ذلك كله خاص بالرسول محمد – ﷺ– لأنه الوحيد الذي يتصل بالسماء فما يقوله ليس بآرائه الشخصية ولا تبعاً لشهواته ورغباته بل هو ملتزم بما حدده الله له عن طريق الوحي ، وقد بين ذلك ربنا في كتابه حيث قال : " **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)**[١٥] والوتين هو العِرق المعلق بالقلب ،وقطعه يعني توقف القلب ثم موت الإنسان .

وهكذا اجتمع في الشهادتين إفراد العبودية لله وحده والإقرار لمحمد ﷺ بالرسالة، فالمعبود هو الله وطريقة العبادة على منهج رسول الله، فالحمد لله .

---

١٥ سورة الحاقة

الفصل الثاني إقامة الصلاة

في مكة المكرمة وفي بداية دعوة الرسول ﷺ لقومه ، وفي ليلة محددة يحدث أمر خطير وحدث جليل للرسول الكريم ﷺ ، يتضح لنا هذا الحدث من خلال حديث النبي الكريم ﷺ حيث يقول "..أُتيت بالبُراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت. فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن. قال جبريل: "أصبت الفطرة" قال: "ثم عُرِج بي إلى السماء الدنيا، فاستَفتَح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففُتِح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب ودعا لي بخير.وهكذا في بقية السموات السبع .. ثم علا به فوق ذلك، بما لا يعلمه إلا الله- عز وجل- حتى جاء سِدْرَة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه فيما يوحى: خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة. ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: "يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟" قال: "عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة" قال:" إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم". فالتفت النبي ﷺإلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم، إن شئت. فعلا به إلى الجبار تعالى، فقال وهو في مكانه: "يا رب، خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا" فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات. ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: "يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك" كل ذلك يلتفت النبي ﷺ

إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: "يا رب، إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا" فقال: الجبار: "يا محمد، قال: "لبيك وسعديك" قال: إنه لا يبدل القول لديّ، كما فرضت عليك في أم الكتاب: كل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك"، فرجع إلى موسى فقال: "كيف فعلت؟" فقال: "خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها".[١٦]

فالحمد لله خمس صلوات أداءاً وخمسون أجراً ، كانت تلك قصة فرض الصلاة على المسلمين ، فهي الفرض الوحيد الذي جاء مباشرة من الرب – سبحانه- إلى رسولنا -ﷺ- ، وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية عديدة في بيان فضل الصلاة وأهميتها وأحكامها وكل ما يتعلق بها .

والصلاة الواجبة هي خمس صلوات في اليوم والليلة فقد جاء أعرابي فقال :يا رسول الله ﷺ ! ماذا فرض الله عليّ من الصلاة ؟ قال:"خمس صلوات في اليوم والليلة " قال :هل عليّ غيرهن؟ قال :" لا! إلاّ أن تطوّع شيئا " [١٧].

ولكل صلاة عدد معين من الركعات بينها الرسول الكريم – ﷺ- على النحو التالي :

ت	الصلاة	عدد ركعاتها
١	الفجر	٢
٢	الظهر	٤
٣	العصر	٤
٤	المغرب	٣
٥	العشاء	٤

[١٦] رواه مسلم

[١٧] رواه البخاري

ومن رحمة رب العالمين وفضله أن شرع لنا صلوات أخرى نافلة ، ليست فرضاً وإنما زيادة خير لمن يرغب، وفتح باب للتنافس ،وجبراً لما قد يحصل من تقصير في الصلوات المفروضة ، ومن هذه النوافل السنن الرواتب وهي: ركعتين قبل الفجر وأربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء

ومما يشرع في أداء الصلاة وخاصة للرجال أن تصلى جماعة في المسجد بحيث يكون هناك التقاء بين المسلمين وتعارف وتبادل الأخبار وغيرها .

ومن حرص الإسلام على هذه الفريضة جعل لها آداباً وطريقةَ أداءٍ ومقدماتٍ وتهيئةً قلبيةً وتهيئةً بدنيةً، فالصلاة بمثابة اتصال بين العبد وربه،ومناجاة للرب سبحانه، وانكسار بين يدي الله ، ومن هنا فقد شرع الإسلام شروطاً للصلاة تكون قبل البدء بالصلاة وهي :

- ✓ دخول وقت الصلاة ، فلكل صلاة وقت معين كما قال تعالى: **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)**"[١٨].
- ✓ ستر العورة وهو اللبس الذي يستر بدن المصلي ويفضل التزين للصلاة لقوله تعالى: "**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)**"[١٩] .
- ✓ طهارة المكان والثياب والبدن .
- ✓ الطهارة من الحدث وهو على نوعين : **حدث أكبر** وهو ما يوجب الغسل (مثل الجماع والاحتلام) **وحدث اصغر** وهو ما يوجب الوضوء فقط (مثل البول والغائط .) ، والتطهر

---

١٨ سورة النساء

١٩ سورة الأعراف

من الحدث الأكبر يكون بالغسل وهو تعميم البدن بالماء ، أما التطهر من الحدث الصغر فيكون بالوضوء على النحو التالي: غسل الكفين ثم المضمة والاستشنشاق ثم غسل الوجه ثم غسل اليدين إلى المرفقين ثم مسح الرأس والأذنين وأخيرا غسل القدمين إلى الكعبين .

وبعد هذا الوضوء يصبح المسلم مهيئاً للدخول في الصلاة ، وقبل أن يكبر بادئاً في الصلاة لابد من استقبال القبلة وهو التوجه نحو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، يبدأ المسلم الصلاة بالطريقة التالي أرشدنا إليها ﷺ حيث قال : "**صلوا كما رأيتموني أصلي** "[٢٠] وقد نقل الصحابة الكرام صلاته ﷺ على النحو التالي :

١	الوقوف باتجاه الكعبة في مكة المكرمة ثم التكبير (قول الله أكبر) ووضع اليد اليمنى على اليسرى.
٢	قراءة دعاء استفتاح مثل (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك) ثم قراءة سورة الفاتحة ثم قراءة ما يتيسر من القرآن.
٣	التكبير والركوع وقول سبحان ربي العظيم في الركوع ٣ مرات أو أكثر.
٤	يرفع رأسه من الركوع قائلاً : (سمع الله لمن حمده ربنا و لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه).
٥	يكبر ويسجد على أعضاءه السبعة (اليدين والركبتين والقدمين والجبهة والأنف) ويقول : (سبحان ربي الأعلى) ٣ مرات على الأقل.
٦	يرفع رأسه مع التكبير ويجلس بين السجدتين يدعو لنفسه مثل(ربِّ اغفر لي وارحمي واجبرني واهدني) .
٧	يكبر ويسجد السجدة الثانية ويفعل كما فعل بالسجدة الأولى.
٨	ينهض من السجود إلى الركعة الثانية قائلاً : الله اكبر
٩	يفعل بالركعة الثانية كما فعل بالركعة الأولى عدا دعاء الاستفتاح فيقرأ سورة الفاتحة + سورة أخرى
١٠	بعد السجدة الثانية من الركعة الثانية يكبر ويجلس ويقرأ التشهد الأول وهو: التحيات لله والصلوات والطيبات،السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

[٢٠] رواه البخاري

	✓ إذا كانت الصلاة ثنائية (كالفجر) فإنه بعد التشهد الأول يقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) ويفضل إضافة : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال) ثم يسلم عن يمينه قائلاً :السلام عليكم ورحمة الله، وعن يساره كذلك وتنتهي الصلاة . ✓ إذا كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية فإنه يقرأ التشهد الأول فقط ثم ينهض قائلاً : الله اكبر.
١١	يفعل بالركعة الثالثة كما فعل بالركعة الثانية وبعد السجدة الثانية من الركعة الثالثة: ✓ إذا كانت الصلاة ثلاثية (المغرب مثلاً) فإنه يجلس ويفعل كما فعل في الركعة الثانية من الصلاة الثنائية إلى التسليم وتنهي الصلاة . ✓ إذا كانت الصلاة رباعية (الظهر مثلاً) فإنه ينهض للركعة الرابعة قائلاً : الله أكبر .
١٢	يفعل بالركعة الرابعة كما فعل في الركعات السابقة ثم يجلس بعد السجدة الثانية ويفعل كما فعل في الركعة الثانية من الصلاة الثنائية إلى التسليم وتنهي الصلاة

وهكذا نكون قد أقمنا الصلاة وأديناها إتباعاً لرسول الإسلام ﷺ .

ومما يشرع بعد الصلاة قراءة أذكار معينة علمنا إياها رسولنا ﷺ منها :

قول :(استغفر الله ، استغفر الله ، استغفر الله ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام).

وقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجَّد منك الجَّد

وقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) .

ثم يقول : (سبحان الله والحمد لله والله أكبر) (٣٣) مرة ، ويقول بعدها مرة واحدة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير) .

ويقرأ آية الكرسي" **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)**[٢١]. وسور { قل هو الله أحد } ، و { قل أعوذ برب الفلق } ، و { قل أعوذ برب الناس } .

ومما تجدر الإشارة إليه في موضوع الصلاة قضية **الخشوع في الصلاة** وهي تعني التدبر والتفكر فيما يقرأ العبد في صلاته من آيات شريفة وأذكار جميلة ، فإن منزلة الخشوع منزلة عظيمة ويكفي فيها أن الله قد أعدها أول صفات أهل الفلاح من المؤمنين فقال في كتابه العزيز : "**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)** "[٢٢] ، ومما يعين – بعد الله – على الخشوع كثرة الطاعات والابتعاد عن السيئات ومعرفة معاني الآيات .

وثمة صلوات أخرى لها كيفية مختلفة مثل الصلاة على الميت وصلاة الاستسقاء سنؤجل الحديث عنها لاحقاً .

نسأل الله أن يعيننا على إقامة الصلاة والمحافظة عليها وأن يرزقنا الخشوع فيها .

وفي ختام موضوع الصلاة نقول : لئن كانت الشهادتان هما مدخل الإسلام فإن الصلاة هي ركنه العملي العظيم فهي تمثل الصلة بالرب سبحانه ، وهي الركن الوحيد الذي يتكرر يومياً ولا يسقط عن العبد في سفره و لا مرضه إلا إذا عجز عنها ، كل هذا – والله أعلم– لعلم الله سبحانه بحاجتنا الدائمة إليها ، فهي الأنس والراحة للمسلم ، فما أعظمها من نعمة وما أسعدنا بها ،فالحمد لله على فريضة الصلاة .

---

[٢١] سورة البقرة

[٢٢] سورة المؤمنون

الفصل الثالث إيتاء الزكاة

من الحكم الربانية في هذه الحياة الدنيا التفاضل بين الناس، فالبشر يختلفون في أشياء كثيرة منها الرزق الذي يهبه الله لعباده،فبعض الناس يبسط له في رزقه ويزداد ماله (طبعاً بأسباب معينة كالتجارة والصناعة وغيرها) وتتضاعف أعماله، والإسلام يحث على العمل ويشجع عليه ، وفي المقابل هناك فريق من الناس وأصناف لا يحصلون على أموال وأرزاق كما يحصل للفريق الأول مع عملهم وجهدهم ، وهذا مشاهد ومألوف ومقبول في عموم المجتمعات .

والإسلام دين يسعى في تزكية النفس والارتقاء بها من خلال برامج عملية أوجبها على أتباعه، وهي في الوقت ذاته تسهم بدرجة كبيرة في تنمية المجتمع وزيادة الترابط بين أفراده ،وفائدة أخرى: وهي تحريك المال حتى لا يبقى في أيدي أناس معينين، وفائدة أيضاً:وهي المساهمة في توفير حياة كريمة لكل أتباعه دون قدح في كرامة الإنسان أو إقلالٍ من شأنه، و من تلك البرامج (الزكاة) .

والزكاة هي مقدار معين من مال الأغنياء فرضه الله عليهم ،يُؤخذ منهم فيعطى للفقراء والمستحقين .

والزكاة لا تؤخذ من كل من لديه مال ، بل ممن يملك مقدار معين يسمى (النصاب) ، كما أن هذا النصاب يكون من المال الزائد لدى الغني وليس من ماله اليومي، وثمة شرط آخر وهو أن يمر على هذا المال سنة كاملة دون أن يحتاج إليه ، والمبلغ الذي يؤخذ من الغني بعد توفر هذه الشروط تكون نسبته قليلة فهي ٢،٥ % فقط، ولا يجوز أخذ أكثر من هذه النسبة ، وهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية تراعي مصالح الأغنياء كما تراعي مصالح الفقراء والمحتاجين ،ودليل ذلك ما قاله الرسول الكريمﷺ حين أرسل الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن للدعوة إلى الله حيث قال له: " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه

هو شهادة أن لا آله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تأخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك فإيّاك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "

ما أجمله من تعبير " **أن الله افترض** " الله هو الذي افترض على العباد وليس غيره، والله هو الذي ينبغي أن نعمل لأجله ،ذلك أن الله هو الذي رزقنا وأعطانا ووفقنا فمن الواجب طاعته وامتثال أمره .

وتعبير آخر " **تؤخذ من أغنياهم فترد على فقرائهم** " هكذا لا يذهب المال بعيداً بل هو في المجتمع نفسه ، وهذا بلا شك يجعل المجتمع متكافلاً متعاوناً، فالفقراء يرون الأغنياء وقد يسعون في أذيتهم والأخذ من أموالهم ولو بطريقة غير شرعية، ولكنهم حين يدركون أن شيئاً من أموال هؤلاء الأغنياء عاد إليهم دون أن يطلبوه منهم سيجعلهم ينظرون إليهم نظرة مختلفة .

وكلمة جميلة أخيرة تبين منهج الوسطية الإسلامية وهي قوله ﷺ " **إياك وكرائم أموالهم** " أي حين تأخذ من أموالهم للزكاة لا تأخذ من أفضل ما لديهم ولا أقل ما لديهم بل تأخذ من أوسط أموالهم مراعاة لجانب الأغنياء في عدم الأخذ من الأفضل ،ومراعاة جانب الفقراء في عدم أخذ الأسوأ ، فيا له من تشريع حكيم .

تخيل أيها الإنسان لو أن كل أغنياء العالم أخرج المقدار المحدد وصرفه فيما أمر الخالق ، ترى هل يبقى هناك فقراء ومحتاجين ؟

هذا لا يعني أن نساعد الفقير على عدم العمل ، بل على العكس تماماً فالزكاة لا تعطى للقادر على العمل فقد جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ يسألانه من الصدقة ،فقلّب فيهما البصر

وخفضه فرآهما جلدين[٢٣] فقال رسول الله ﷺ:" إن شئتما ولا حظ فيهما لغني ولا لقوي مكتسب" .

لقد أوضح الإسلام دورة المال بين الناس ، فالكل يعمل ويجتهد في تحصيل رزقه ،وهناك فريق يوفق ويحصل على مال أكثر وهناك فريق لا يوفق لسبب أو لآخر، أو قد يعجز عن العمل وكسب الرزق فيعطى من أموال أخوانه الأغنياء ،فتتطهر قلوب الأغنياء من الشح والبخل ويكسبون الأجر الوفير ويكون ذلك سبباً في زيادة أموالهم والبركة فيها ، في حين يحصل الفقراء على ما يمنعهم من التسّول أو الاعتداء على الأغنياء أو السرقة ونشر الرعب بين أفراد المجتمع ، وهكذا تكون دورة المال سبباً في زيادة استقرار المجتمع وترابط الإنسان مع أخيه الإنسان.

وقبل أن نختم الكلام عن الزكاة لابد من التذكير بأن الزكاة واجبة على المزروعات والمواشي أيضاً بنظام يختلف عن نظام الأوراق الماليه لا يتسع المجال للحديث عنها في هذه الورق.

[٢٣] يعني قويين

الفصل الرابع الحج

الركن الرابع هو الحج، وهو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ، وهو واجب على كل مسلم ومسلمة مستطيع لقوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** "[٢٤] والفرض مرة واحدة في العمر؛ لما جاء في الحديث:أن رسول الله ﷺ قال :"**يا أيّها النّاس قد فرض الله عليكم الحجّ فحُجُّوا** " فقال رجل :أكلّ عام يا رسول الله ﷺ ؟ فسكت ، حتّى قالها ثلاثاً .فقال رسول الله ﷺ:" **لو قلتُ نعم لوجبت ، ولما استطعتم** ...."

ومع أنه فرض فإن الله يعطي عليه الأجر الكبير فقد قال ﷺ " الحج المرور ليس له إلا الجنة " والحجّ المبرور هو الّذي اجتمعت فيه أمور وهي :

الأول : الإخلاص لله تعالى وهو أن يريد المسلم من حجّه ابتغاء رضوان الله ولا يريد رياءً ولا سمعةً ولا نزهةً.

الثاني : تكون صفة الحجّ على هدي النّبي ﷺ وشرعه .

الثالث :يحجّ بمال مباح ليس حراماً.

الرابع :أن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال لقول الله تعالى :" **فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ**" . الرفث : الجماع ودواعيه . والفسوق :قد يكون بالقول المحرّم، كالغيبة والنميمة والكذب أو بالفعل : كالنظر إلى النساء وما أشبه ذلك . والجدال : المجادلة والمنازعة بين الناس في الحجّ ، هذه تُنقص الحجّ كثيرا .

---

[٢٤] سورة آل عمران ٩٧

أما قصة الحج فقد بدأت مع خليل الرحمن ابراهيم – عليه السلام – منذ قديم الزمان حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز :"**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)**"[٢٥] .فهنا يذكر تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمة بانيه، وهو خليل الرحمن، فقال: "**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** " أي: هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسماً من ذريته من سكانه، وأمره الله ببنائه، فبناه على تقوى الله، وأسسه على طاعة الله، وبناه هو وابنه إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئا، وأعماله لله وحده دون سواه، ويبنيه على اسم الله.

"**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ** " أي: من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس ، وأضافه الرحمن إلى نفسه؛ لشرفه وفضله، ولتعظم محبته في القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب ،ثم قال : "**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا** " أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلّغ دانيهم وقاصيهم فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجاً وعماراً، رجالاً أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، " **وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ** " أي: ناقة ضامر، تقطع الطرق، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، " **مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** " أي: من كل بلد بعيد وقد فعل ذلك الخليل –عليه السلام–، ثم الأنبياء من بعده ثم خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وأصحابه وإتباعه إلى وقتنا الحاضر .

والحج هو : قصد مكة للتعبد لله سبحانه بأداء المناسك . فهو رحلة ربانية من بدايتها إلى نهايتها، فتبدأ بإخلاص النية لله تعالى ، ثم تتجه إلى مكان محدد (مكة المكرمة) ؛ لأداء

---

٢٥ سورة الحج

مناسك محددة بطريقة مرسومة من قبل الرب سبحانه ثم تنتهي بالعودة إلى البلد ودعاء الله بالاستجابة والقبول.

وفي القيام بتأدية الشعائر الإسلامية في رحاب هذا البيت ، تجديد لذكرى النعمة التي شرّف الله بها خليله إبراهيم عليه السلام ، وتخليد لمبدأ الوحدة للواحد الأحد .

وفي الطواف بالبيت واستلام أركانه معنى من معاني التوحيد ، والاستسلام لربّ هذا البيت ، والإذعان لطاعته، وتضرعهم لله في يوم عرفات مظهر العبودية لربّ العباد، تراهم بعرفات محرمين ، خاشعين متذللين ،داعين ومهللين ومستغفرين تائبين قد طرحوا الدنيا وراءهم وأقبلوا على الله، تعالت منهم الأصوات بالتلبية استجابة لداعي الله :لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

ومن منافع الحجّ اجتماع المسلمين في هذه المشاعر العظيمة ، وتجديد لرابطة الإسلام وأخوة الدين، والتعارف والتقارب بين أفراد الأمّة الإسلامية المتفرقة في أقاصي الدنيا ، والتناصح والتعاطف، والتضامن والتعاقد على الوفاء بالعهد لتحقيق أهداف الإسلام ونشر تعاليمه الصحيحة ، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيقا للمنافع التي أشار تعلى بقوله :" **وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق ليشهدوا منافع لهم** " . بل حتى المنافع الدنيوية في الحجّ مباحة حيث قال تعالى: " **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** " أي: لينالوا في قصدهم بيت الله منافع دينية، كالعبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول الأرباح الدنيوية.

وأعظم منفعة المنفعة الإيمانية المتعلقة بالعبادة والإخلاص فيها ، وبأداء النسك على الوجه الأتم المشروع، وبطلب القبول والمغفرة والرضوان قال الله تعالى :" **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ**

فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) "[٢٦].

والحج له أوقات محدده تتكرر كل عام وهو شهر (ذو الحجة) من التاريخ الهجري إنها رحلة إيمانية جميلة وعظيمة (لا يدركها إلا من جربها) فهي رحلة يحن إليها قلب كل مسلم ويتمنى أن ينال شرف الحج إلى بيت الله العتيق .

[٢٦] سورة البقرة

الفصل الخامس صوم رمضان

لكل أمة من الأمم تواريخ مهمة وأحداث حافلة تحيا ذكراها بطريقة معينة ، فهي تنظر إلى ذلك الحدث على أنه نقطة أو منعطف في تاريخ البلد غير مجرى مسيرتها .

والأمة الإسلامية لديها أحداث غيرت مجرى التاريخ ،ليس تاريخها فقط بل تاريخ البشرية كافة ، ومن تلك التواريخ المهمة هو تاريخ نزول القرآن الكريم، الكتاب الرباني الذي لم تر البشرية ولن تعرف مثله .

لقد شاء الله أن يكون نزول القرآن الكريم في شهر رمضان (الشهر التاسع من الأشهر العربية) قال الله تعالى " **شهر رمضان الذي أُنزِل فيه القرآن** "[٢٧] ، ولما كانت تلك نعمة ربانية عظمى فإنَّ واجبنا نحو النعمة هو شكر الرب سبحانه و من الشكر (العمل الصالح) ومن هنا فإن المسلمين يصومون ذلك الشهر استجابة لله وطاعة لأمره و أداءً لفرضه عليهم.

فصيام شهر رمضان واجب على كل مسلم ومسلمة(غير حائض ولا نُفساء) بالغ عاقل في كل عام ، قال تعالى " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)** [٢٨]فالآية تشير بوضوح إلى الحكمة من تشريع الصيام وهي التقوى ، والتقوى محلها القلب وهي تدفع العبد إلى العمل الصالح وتبعده عن غير ذلك ، وعدَّه الرسول الكريم ﷺ من أركان الإسلام ومبانيه العظام فقال :ط بُنِيَ الإسلام على خمس :شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله و إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان".

---

[٢٧] سورة البقرة آية ١٨٥

[٢٨] سورة البقرة

ولما كان العبد قد يتعرَّض للطوارئ في حياته فقد أباح الله للمسلم أو المسلمة أن يفطر في تلك الظروف على أن يصوم في أيام أخرى من السنة يحددها هو بنفسه، ومن تلك الظروف السفر والمرض، فالمسافر والمريض له أن يفطر في رمضان ويصوم بعد ذلك متى شاء، فالله يريد بالمسلمين اليسر ولا يريد بهم العسر والتضييق قال تعالى : " **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** .. " [٢٩]

والصوم هو : الامتناع عن المفطرات من أذان الفجر (قبل طلوع الشمس) إلى غروب الشمس أما المفطرات فهي ثلاثة أساسية :

١. الأكل . ٢ / الشرب ٣ / الجماع .

فعلى المسلم الامتناع عن هذه الثلاثة خلال نهار رمضان إلى غروب الشمس ، ثم له أن يأكل ويشرب ويجامع إلى أذان الفجر من اليوم الثاني وهكذا حتى نهاية شهر رمضان .

بالإضافة إلى تحقيق الاستجابة لله في صيام رمضان فإن فضله كبير وأجره جزيل فمن ذلك قول الرسول الكريم ﷺ : "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ". إيماناً بأن الله أوجبه واحتساباً أي طلباً للأجر من الله وحده ، فياله من فضل فكل ما مضى عن المسلم من ذنوب وتقصير ومعاصي يكفرها الله عنه إذا التزم بصيام رمضان إيماناً واحتساباً .

ولما كان الهدف الأسمى من الصيام هو الحصول على التقوى فقد حث الله المسلمين على التزود من الأعمال الصالحة عموماً وفي شهر رمضان خصوصاً، وشرع قيام الليل وهي: صلاة تؤدى في ليالي رمضان، ورغَّب في المحافظة عليها طيلة الشهر الكريم فقال ﷺ : "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه "، كذلك الصدقات، وقراءة القرآن الكريم بالتدبر،

---

٢٩ سورة البقرة

والإكثار من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والاستغفار، ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام، وفي المقابل فقد حذر من السلوكيات المشينة فقال ﷺ : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " وقول الزور هو: القول الباطل وقال أيضاً : " الصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم " وهذه السلوكيات يرفضها الإسلام في رمضان وغيرها ولكنها تتأكد أكثر في رمضان .

ولقد فتح الله لعباده المسلمين باب خير آخر بأن شرع لهم الصيام طيلة العام (عدا أيام العيدين)، ورغَّب فيه دون أن يفرضه عليهم فقال ﷺ: "من صام يوما في سبيل الله،باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً" ، فالمسلم يحرص على أن يكون له نصيباً من الصيام للحصول على هذه الأجر وتربيةً لنفسه .

وهكذا فإن الصيام يربي المسلم ويهذب أخلاقه ويقربه إلى الله ،ويزرع فيه قضية مهمة جداً يحتاجها كل إنسان وهي قضية المراقبة الذاتية ، فالمسلم أثناء صيامه لا يطَّلع عليه أحد فيمكنه أن يأكل أو يشرب دون أن يراه أحد لكنه بيقينه أن الله مطلعٌ عليه وعالم بما يعمل يترك ذلك، ويصبر على الجوع والعطش ، طلباً لمرضاة الله ،وكل إنسان بحاجة ماسة إلى يكون هو رقيب نفسه بحيث يسير على الأخلاق الحسنة دون حسيب أو رقيب .

وقبل أن نختم الكلام عن رمضان لابد من الإشارة إلى فضل عظيم ونعمة كبرى وهدية ربانية للمسلمين أخبرنا الله بها في كتابه الكريم ، فقال تعالى : " **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)**" [٣٠]، ليلة القدر هي الليلة التي أنزل الله فيها القرآن الكريم لذلك فقد ضاعف الله فيها الأجر للعاملين بأكثر من

---

[٣٠] سورة القدر

ألف شهر (أكثر من ٨٣ سنة) وبمعنى آخر من عمل صالحاً في تلك الليلة فإن أجر ذلك العمل أكثر من أجر نفس العمل لأكثر من ١٠٠٠ شهر !!!!!في تلك الليلة ، وفضل آخر أخبر به الرسول الكريم ﷺ فقال : " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه " .

وهكذا يكون ختام أركان الإسلام بتنوعها فالشهادتان هي المدخل للدين وبوابته العظيمة والتي يجب أن تستمر مع العبد طيلة حياته ولا ينفك عنها أبداً، ثم الركن الثاني الذي يتكرر يومياً خمس مرات على الأقل وهو واجب على كل مسلم ومسلمة ،ثم ينتقل الشرع الحكيم إلى فرض يتكرر في السنة مرة واحدة ، ثم ينتقل إلى واجب في العمر مرة واحدة وهو الحج، وهكذا نرى التنوع في هذه الأركان من حيث تكرارها وتنوعها .

وهناك تنوع آخر في هذه الأركان وهو التنوع العبادي ،فالشهادتان بين العبد وربه ، والصلاة ظاهرة أمام الناس (غالباً) ، والصوم خاصة وعامة فهو يمتنع عن المفطرات ظاهراً وباطناً، والزكاة الأصل فيها أنها ظاهرة للعموم ، والحج يشترك فيها كل الحجاج مع بعضهم.

وتنوع ثالث وهو التربية الإيمانية، فالصلاة تنمِّي الخشوع والخضوع لله، والصيام يزرع التقوى والمراقبة الذاتية، والزكاة تحارب الأنانية وتربي تزكية النفوس وتساعدها في الخروج من سيطرة الشح وحب المال وتربط بين الأغنياء والفقراء، والحج يجمع بين العبادة الإيمانية والعبادة المالية .

هذا جزء من بيان عظمة هذا التشريع الرباني ومن حكمه الكثيرة ، فالحمد لله على ذلك ،واسأل الله أن يجعلنا من الملتزمين بهذا الدين والمداومين على ذلك، وأن يرزقنا الثبات عليه حتى نلقاه .

الباب الثاني

أركان الإيمان

في بريطانيا حيث التقدم المادي والرقي الحضاري والتطور الإنساني حدثت قصتنا ، دَخَلت الشرطة يوماً إلى شقة مهندس كبير فوجدوه ميتاً ، وبعد البحث والتحري عثروا في شقته على رسالة من المهندس يذكر فيها أنه انتحر ولم يقتله أحد،وهنا اندهش الجميع ؛ مهندس مشهور ولديه من المال والجاه الشيء الكثير فلماذا ينتحر؟ وقد كانت الإجابة من المهندس نفسه فقد كتب في رسالته :

لقد فكرت في أمري، فقلت: لماذا درست وتفوقت ؟ فكانت الإجابة؛ للحصول على وظيفة مرموقة، ومال وفير وشهرة كبيرة . ثم فكرت لماذا أرغب في الحصول على المال والجاه والشهرة ؟ فكانت الإجابة؛ لأعيش كما أحب . ثم فكرت لماذا أعيش ؟ وبعد طول تفكير وتأمل لم أجد إلا إجابة واحدة على هذا السؤال الكبير وهي أني أعيش لكي أموت !! فقررت أن أختصر الطريق وأموت من الآن .

" أونسيس " ابنة المليونير اليوناني الشهير ، ورثت من أبيها مليارات الدولارات ، وبحثت عن السعادة في كل طريق وعملت كل ما يمكن أن تعمله أي امرأة ،سافرت وبنت القصور ، وامتلكت أفخم السيارات، وأحاطت نفسها بالإعلام ، وعملت المنكرات، و في نهاية المطاف قالت إنها لم تجد السعادة فانتحرت . "كارينجي" أكبر عالم نفس أمريكي في زمانه ، وصاحب الشهرة الكبيرة والمال الوفير، والمؤلفات الكثيرة ومنها كتابه المشهور " دع القلق وابدأ الحياة " وُجِدَ منتحراً بعد مشوار الشهرة والمال. يا ترى لماذا انتحر هؤلاء وغيرهم؟ ألم يحصلوا على المال ! ألم يحصلوا على الشهرة !! ألم يحصلوا على القصور !!!

نعم حصلوا على كل هذا ولكنهم لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه إنها السعادة ، فلو سألت كل من تعرف ومن لا تعرف ولو سألت نفسك قبل الآخرين : ماذا تريد في حياتك ؟ وما أهم ما تسعى إليه ؟

ستجد إجابات مختلفة ومتفاوتة (المال ، الجاه ، الزواج ، الرفاهية ، ...) لكنها تتفق على القضية الجوهرية للإنسان وهي تحقيق السعادة ، فالمال والزواج والجاه كلها وسائل يتوقع المتحدث أنها تحقق له السعادة في هذه الحياة الدنيا ، فلا خير في مال يجلب التعاسة وكذلك الجاه وأيضا الزواج ومثله الرفاهية، وهكذا فالمطلب الذي يسعى إليه الجميع هو السعادة، فهل طريق السعادة هو هذه الأمور (المال ، الزواج ، ....) ؟

إن النماذج التي ذكرناها في البداية توضح أن طريق السعادة ليس ذلك، وفي الجانب الآخر نقرأ لسير أناس لم يملكوا المال الكثير ولم يحصلوا على الشهرة العظيمة ومع ذلك كان يقول أحدهم: نحن في سعادة لو علم عنها الملوك وأبناؤهم لقاتلونا عليها بالسيوف . وآخر لا يجد من المأكل إلا ما يسد جوعه ومن الملبس ما لا يستر بدنه ومن المركب إلا قدميه وهو يعيش سعيداً ويموت حميداً.

إن الفرق بين الفريق الأول والفريق الثاني هو ما في القلوب، فالفريق الأول قلوبهم خاوية من الإيمان، والفريق الآخر قلوبهم مملوءة بالإيمان، فخسر السعادة الفريق الأول وفاز بها الفريق الثاني، ولعل السر في ذلك أن السعادة تكون في القلب والقلب لا يسيطر عليه إلا خالقه سبحانه، وبمعنى آخر :السعادة هبة ربانية ونعمة إلهية يعطيها الله ﷻ لمن عرف طريقها وسار عليه مهما كان وضعه ومهما كانت ظروفه، ويمنعها عن كل من لا يسلك طريقها ولو كان أغني عباد الله وأقواهم وأكثرهم جاهاً ، فالعاقل يطلب السعادة من واهبها بالطريق الذي رسمه خالق الإنسان، والتعيس هو الذي يبحث عنها في غير هذا الطريق .

وقد رسم لنا الله طريق السعادة وطريق الحياة الطيبة، كما بيَّن طريق التعاسة والحياة النكد وعلى العبد أن يختار أي الطريقين يريد قال تعالى:" **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)**" [٣١]

فقد ذكر الله سبحانه شرطين للحصول على الحياة الطيبة السعيدة هما : الإيمان + العمل الصالح .

كما أشار سبحانه إلى أن هذه الشروط ليست خاصة بالذكر بل تشمل الأنثى أيضاً، وهي من الآيات القليلة التي بذكر فيها الذكر والأنثى بالنص.

وفي الآية بيان لنتيجة حتمية لا تقبل الشك " **لَنُحْيِيَنَّهُ** " والذي جزم هو الذي بيده مفاتيح القلوب وبيده تصريفها كما يشاء . وأما الفريق الآخر :فيقول الله تعالى "**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)**[٣٢]فالقاعدة الربانية لكل من أعرض عن ذكر الله تقول: أنه سيعيش ولكن حياته ستكون ضنكا، والضنك هو: الحياة بلا اطمئنان ولا راحة ولا سعادة، فهو لن يموت (إلا أن يشاء الله) ولكنه سيعيش بهذه الصورة .

وبعد هذا البيان الرباني لابد أن نتحدث عن حقيقة الإيمان والعمل الصالح ،لنعمل بهما فنحصل على الحياة الطيبة.

أما الإيمان فقد بينه الرسول الكريم ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام: ما الإيمان ؟ فقال – ﷺ– : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " فهي ستة أركان للإيمان :

١. الإيمان بالله

---

٣١ سورة النحل

٣٢ سورة طه

٢. الإيمان بالملائكة

٣. الإيمان بالكتب

٤. الإيمان بالرسل

٥. الإيمان باليوم الآخر

٦. الإيمان بالقدر خيره وشره .

ومن القواعد المهمة جداً هنا الإجابة على سؤال عظيم وهو : هل الإيمان يزيد وينقص ؟

والجواب : نعم إنه قابل للزيادة والنقص على حسب ما وقر في قلب العبد وعلى مقدار أعماله ، وبالجملة فالإيمان يزيد بالطاعات (مثل الصلوات والصيام ، وقراءة القرآن ومساعدة المسلمين، والصدق والإخلاص و ...) وينقص بالمعاصي (مثل الزنا وشرب الخمر، والغيبة والنميمة، والغش والكذب و ....) ، فعلينا ملاحظة أنفسنا في كل وقت والسعي الحثيث نحو زيادة الطاعات، والتقليل من المعاصي والمبادرة للتوبة منها .

أما العمل الصالح فهو كل عمل يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة ،الفردية أو الجماعية، بشرط أن تكون لله وحده وليس لغيره، ولا يوجد حصر للأعمال الصالحة فهي في زيادة وفي تنوع بحسب الزمان والمكان والظروف ، ولعل هذا أحد أسرار الشريعة الإسلامية في قابليتها لكل زمان ومكان ولكل البشر .وقبل أن نختم الحديث عن الأعمال الصالحة اسمح لي عزيزي القارئ لي أن أزف إليك هذه البشرى : فمن رحمة الله بعبادة أنه فتح لهم باباً عظيماً لكسب الأجور ألا وهو تحويل العادات إلى عبادات، فالأكل والشرب والنوم وملاعبة الأولاد والزوجة وغيرها كثيرة في حياتنا ، فكل هذا يمكنك أن تحصل منه على أجر رباني يزيد من إيمانك وذلك بشرطين :

أولهما: أن لا يكون العمل معصية بذاته مثل :الكذب والنميمة وشرب الخمر

وثانيهما : أن يخلص النية في عمله لله فلا يكون قصده غير رضا الله .

أما ثمرات الإيمان فهي أكثر من أن تحصى وسنكتفي بذكر أهمها :

- الإجابة عن الأسئلة المحيرة لكل إنسان، وهذه الأسئلة هي التي سببت القلق لدى الكثير لعدم معرفة الإجابة الصحيحة عليها وهي : من الذي خلقنا ؟ ولماذا خلقنا ؟ وما مصيرنا بعد الموت والإيمان الصحيح يجيب عنها فالذي خلقنا هو الله ، وقد خلقنا لنعبده كما قال تعالى " **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** "[٣٣] والعبادة هي كل عمل يحبه الله ويرضاه، أما مصيرنا بعد الموت فقد بيَّنه القرآن الكريم في آيات كثيرة والسنة الصحيحة في أحاديث مستفيضة يعرفها كل مسلم ، فالجميع سيموت والجميع سيحاسب والجميع سيجازى وفي النهاية إمَّا خلود في جنة عرضها السماوات والأرض – نسأل الله من فضله – وإمَّا خلود في جهنم وبئس المصير ، كما بين لنا الله طريق الجنة وطريق النار .
- الراحة والاطمئنان لكل ما يحدث للعبد في حياته لعلمه بأن المتصرف في هذا الكون هو أرحم الراحمين، بل إنه (المؤمن) يحصل على الخير في كل أموره خيرها وشرها ،كما قال الرسول الكريم – ﷺ– " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سرَّاء شكر فكان خير له وإن إصابته ضرَّاء شكر فكان خيراً وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن "
- التفاؤل في الحياة والسعي الحثيث نحو العمل، والجد والاجتهاد في كل أموره الخاصة والعامة فهو في عمله ووظيفته مجد ومخلص ويبذل قصارى جهده وهو مع أهله وجيرانه يتعامل معهم أحسن التعامل فلا غش و لا كذب ولا نفاق ،لأنه في كل ذلك يحتسب الأجر عند الله وهو يحاول تطبيق قول الرسول الكريم – ﷺ– : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" فهو ليس يعمل فقط بل يتقن، ليحصل على محبة الله .

ومن أجل الحصول على هذه الثمار وغيرها ، علينا التعرف على أركان الإيمان والسعي في تطبيقها.

---

٣٣ سورة الذاريات

الفصل الأول الإيمان بالله

مما يُذكر في التاريخ : أن أحد الحكماء تجادل مع قوم في وجود خالق لهذا الكون ،فهم ينفون وجود خالق لهذا الكون ، فاتفقوا على موعد معين للمناظرة وبحضور مجموعة من الناس كشهود .

وفي اليوم المحدد تأخر الحكيم في الحضور فقال خصومه : لقد تأخر لخوفه من المناظرة .

وبعد انتظار وصل الحكيم ، فبادره خصومه : تأخرت عمداً لخوفك من المناظرة !

فأجابهم : بل كنت في الطريق إليكم ولكني رأيت عجباً أوقفني فتأخرت عليكم !

فقال الجميع : ماذا رأيت ؟ فقال : رأيت خشباً سقط من الأشجار ، ثم تقطَّع على شكل ألواح، ثم جاءت المسامير وبدأت تعمل مع الألواح ، وبعد فترة وجيزة أصبحت سفينة تسير في النهر، وتنقل الناس من ضفة إلى أخرى دون أن يكون لها قائد يتحكم بها أو يسيرها فوقفت مندهشاً فسرقني الوقت فلم انتبه ! .

وهنا وقف الخصوم أمام الجميع وقد بدا عليهم علامات النصر ، فقال أحدهم : أهذا حكيمكم !! أي عقل هذا الذي يصدق مثل هذا الكلام أشجار تتقطع ومسامير تتحرك وسفينة تجري كل هذا دون قائد أو مدبر ! ما بالكم ياناس ! أتصدقون ذلك ؟! .

عندها وقف الحكيم شامخاً فقال : يا هذا إذا كان هذا لا يمكن لسفينة واحدة فكيف بك بسماوات وأرض وجبال وأنهار و..... أيعقل أن يكون كل هذا بلا خالق ! أيعقل أن يكون هذا الكون بلا خالق ! أيمكن تسير كل هذا الكون الفسيح بلا مدبر ! أيهما أولى بعدم العقل.

نعم لا يعقل ولا يتصور أن لا يكون هناك خالقٌ ومدبرٌ لهذا الكون الفسيح .

ومن هنا كان مفتاح الإيمان وأول أركانه وبابه الذي يدخل منه لبقية الأركان بل وللحياة كلها هو (الإيمان بالله) ، لذا كان جواب الرسول العظيم ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان

قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره." فبدأ بالإيمان بالله فمن لم يؤمن بالله لا يمكن أن يؤمن بكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، والعكس صحيح فمن آمن بالله حق وحقيقة فإنه يؤمن بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر والقدر، لأنها كلها من عند الله فكيف لنا أن نعرف الملائكة إلا من الله ،وكيف لنا أن نتعرف على الرسل إلا بالتأييد الرباني، وكيف لنا أن نتعرف على الكتب السماوية إلا من الله، وكيف لنا أن نوقن بيوم القيامة إلا بما اخبرنا به الله ،وكيف لنا أن نؤمن بالقدر إلا إذا كان من الله، فكان مرجع الإيمان كله وأركانه إلى الإيمان بالله ، فعلى كل إنسان أن يتفكر ويقلب فكره ويتأمل في هذه المخلوقات ليعرف ربه وخالقه ، وعلى المسلم اخص أن يعرف حقيقة الإيمان بالله وما يقتضيه هذا الإيمان ؛ليلتزم به قولاً وفعلاً واعتقاداً .

فالنتيجة المنطقية أن يكون هناك خالق وهو الله سبحانه وتعالى،ولما كان يتعذر وجود قائدين للسيارة أو للسفينة أو للطائرة أو للمركبة أو للدراجة أو في أي عمل فكيف بتسيير أمور الكون بانتظام وتدبير ودقة فلابد أن يكون ذلك لخالق واحد وليس أكثر، كما قال تعالى : " **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)** "[٣٤] .إذ لو كان هناك إلهين لحاول كل منهما أن تكون له الغلبة ، ولنفترض أن أحدهما أراد أمراً لكن الآخر لا يريده فما النتيجة؟ لابد أن يحدث هذا الأمر أو لا يحدث فإن حدث فقد تغلب الأول ، وإن لم يحدث فقد تغلب الثاني، وهكذا سيعلو (يتغلب) أحدهما على الآخر فيكون الغالب هو الإله والثاني ليس بإله ، فالإله لا يغلبه أحد ، ومقتضى ذلك أن يكون هناك إله واحد فقط ويستحيل وجود إلهين اثنين ومن باب أولى أكثر من اثنين.

---

[٣٤] سورة المؤمنون

ومن الأدلة على الإيمان بالله : النظر والتفكر في المخلوقات عموماً وفي الإنسان خصوصاً، فمن تفكر في نفسه وخلقه وحسن ذلك ودقته وعظمته أيقن وبلا شك أن ثمة خالق حكيم عليم عظيم هو الذي أوجد الإنسان ودبر أموره ، ونحن نسمع كثيراً عن بعض علماء الغرب في هذا الميدان بالذات كيف وصلوا إلى تلك الحقيقة الربانية وأيقنوا بها، والشواهد على ذلك كثيرة معروفة .

والإيمان بالله يتضمن **أربعة أمور** ذكرها سلفنا الصالح وعملوا بها وبينها علماؤنا هي :

١ــالإيمان بوحدانية الله.

٢ــالإيمان بربوبيته.

٣ــالإيمان بأسمائه وصفاته.

٤ــالإيمان بألوهيته.

ولما كان الله هو الخالق سبحانه فهو الوحيد الذي يستحق أن يعبد ، وهذا أحد معاني الإيمان بالله وهو الإيمان بإلوهيته، والمقصود بها أن تكون عبادتنا وتوجهنا في أعمالنا وفي كل عباداتنا لله وحده لا شريك له، وهذا النوع من التوحيد هو الذي رفضه المشركون على عهد رسول الله ﷺ فإنهم أقروا بالإيمان بوجود الله ولكنهم أشركوا مع الله في عباداتهم .

ولا يكفي أن نؤمن بوجود الله وبوحدانيته بل لابد من توحيده في العبادة فلا تصرف العبادة إلا لله وحده " **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**"[٣٥] هكذا قالها إبراهيم – عليه السلام– وهكذا يجب أن يقولها ويطبقها كل مؤمن بالله .

[٣٥] سورة الأنعام

فالدعاء لا يكون إلا لله كما قال تعالى: " **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)" غافر وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)**[٣٦] والخوف من الله " **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)**[٣٧] والرجاء والمحبة الكاملة وغيرها من الأعمال القلبية كلها تُصرف لله وفي الله كما قال الرسول الكريم – ﷺ – : " من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان".

كذلك الصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة وقراءة القرآن و غيرها من أعمال الجوارح كلها تكون لله وحده لا شريك له .

أما الإيمان بأسمائه وصفاته فمعناه: أن نوقن أن لله أسماءً وصفاتٍ تليق به سبحانه ، ولا نستطيع أن نحيط بكل أسمائه وصفاته بل لنا أن نؤمن بما اخبرنا به عن نفسه في كتابه (القرآن الكريم) وعلى لسان رسوله – ﷺ – فنتقيد بذلك ولا نتجاوزه إلى غيره، فكل ما أخبر به عن نفسه نؤمن به ونوقن به ونعمل به مثل السميع العليم الحكيم الرزاق الرحمن الرحيم وهكذا وليس لأحد مهما كان أن يضيف أسماءً جديدة من عنده .

وأسماء الله كثيرة لا نعرفها كلها منها ما أشير إليه في الحديث حيث قال الرسول الكريم – ﷺ – : " إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ." نسأل الله أن يعيننا على معرفتها وحفظها والعمل بها لعلها تكون سبباً في دخولنا الجنة.

أما الإيمان بالصفات فيقتضي الإيمان بالصفة وبآثارها ونتعبد الله بتلك الصفة، فمثلاً صفة الرحمة تقتضي الإيمان برحمة الله وبآثار تلك الرحمة على المخلوقات عموماً من البشر

[٣٦] سورة الجن
[٣٧] سورة آل عمران

وغيرهم من المخلوقات، ثم نتقرب إلى الله بطلب رحمته من خلال الأعمال الصالحة، كما نفرح بتلك الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، وهكذا بقية الصفات الربانية .

تلك هي حقيقة الإيمان بالله : الإيمان بوجوده ووحدانيته، والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته ، فمن حققها والتزم بها قولاً وفعلاً فقد حقق الإيمان بالله على ما أمر الله ورسوله ، وليبشر بالثمار العظيمة والتي من أعظمها الراحة والاطمئنان والسعادة التي يجدها المؤمن في نفسه ، فهو يعلم أن الخالق المتصرف لكل أمور الحياة هو الرحيم الذي بيده مفاتيح القلوب، وهو الحكيم الذي له الحكمة المطلقة والقاهر الذي يقهر الظالمين في الدنيا والآخرة وهو يملك العدل المطلق فلا يُظلم عنده أحد ، فإذا كان كل هذا وغيره فلم الهم والحزن المستمرين بل ولم الانتحار؟.

هذا هو الركن الأول والقطب الأعظم من أركان الإيمان الستة ، والله نسأل أن يرزقنا الإيمان به وجميل التوكل عليه وأن يفتح قلوبنا ويزيدنا إيماناً وتسليماً .

الفصل الثاني الإيمان بالملائكة

عن أبي هريرة -رضي الله عنه – عن النبي– ﷺ – "أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى. فأرصد الله له على مدرجته ملكاً. فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا. غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه". **٣٨**

الله أكبر يرسل الله له ملك !! سبحان الله ما أعظمها من نعمة وما أفضلها من بشرى ، بشرى بحب الباري لك إذا كنت تحب فلاناً في الله وهكذا من يسير في طريق الفالحين ومع الفالحين– اسأل الله أن نكون جميعاً كذلك.

لقد أرسل الله لهذا العبد الصالح مَلَك من الملائكة ، فمن هم الملائكة؟ ومن أين خلقوا ؟ وكم عددهم ؟ وما وظائفهم ؟ وما ثمار الإيمان بهم ؟ وهل لديهم القدرة على مساعدة البشر ، وما مقدار قوتهم ؟ .. هذا هو موضوع حديثنا في هذه الحلقة – بإذن الله – فنقول مستعينين بالله:

الملائكة : خلق من خلق الله لهم صفات محددة ولديهم قدرة على التغيير ،لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة قال تعالى : " **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ (١٧٧)**"[٣٩]فقد ذكره على أنه من البر وأتى به بعد الإيمان بالله واليوم الآخر مما يعني

---

٣٨ رواه مسلم

٣٩ سورة البقرة

أنه قرين لذلك ، وقال أيضاً : "**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** " (٢٨٥)[٤٠] وفي حديث جبريل المشهور، قال ﷺ عندما سئل عن الإيمان: (الإيمان :أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)[٤١].

والإيمان بالملائكة يعني: الإيمان بوجودهم كما ذكره الله عنهم في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. ولتحقيق الإيمان بالملائكة سنتعرف على بعض صفاتهم وما جاء في شأنهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

- ✓ خلق الله الملائكة من النور ، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ -: "**خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان من مارج من نار. وخلق آدم مما وصف لكم**".[٤٢]
- ✓ خلقت الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** " (٣٠)[٤٣] فخاطبهم قبل خلق آدم مما يدل على وجودهم قبل آدم عليه السلام.
- ✓ الملائكة خلق عظيم لا يعلم عظمهم إلا الله وحده، فقد ذكر الرسول الكريم ﷺ أنه رأى جبريل (أحد الملائكة) ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب.

---

[٤٠] سورة البقرة
[٤١] رواه مسلم
[٤٢] رواه مسلم
[٤٣] سورة البقرة

- ✓ عدد الملائكة كثير جداً لا يحصيهم إلا من خلقهم – سبحانه- ، فقد قال تعالى : " **وما يعلم جنود ربك إلا هو** " [٤٤] وقال – ﷺ – في وصف البيت المعمور في السماء وهو بيت يقابل الكعبة في الأرض: " يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه"[٤٥]، لا حظ لا يعودون إليه أي يأتي ملائكة آخرون كل يوم فيا سبحان الله،بل إن نبينا ﷺ ذكر لنا عدد الملائكة الذين يسحبون جهنم – نعوذ بالله منها – كم تتوقع ؟ استمع لهذا الحديث : "**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك**)[٤٦] يعني أربع مليار وتسعمائة مليون ملك . فما أعظم الخالق سبحانه !
- ✓ أنهم معصومون من الذنوب والمعاصي لا يقربونها،قال تعالى:" **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)**"[٤٧]. وهم مع عصمتهم من الذنوب والمعاصي دائموا الطاعة لله سبحانه، قال تعالى :" **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)** [٤٨]
- ✓ لهم قدرة على التشكل بصورة بشر ، ففي قصة إبراهيم عليه السلام قال تعالى : " **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)** "[٤٩]

---

[٤٤] سورة المدثر ٣١

[٤٥] رواه مسلم

[٤٦] رواه مسلم

[٤٧] سورة التحريم

[٤٨] الأنبياء

[٤٩] سورة الذاريات : ٢٤-٢٨

فهم قد دخلوا على إبراهيم بصورة بشر لذا قدم لهم الطعام، وكذلك حين جاء جبريل عليه السلام إلى مريم العذراء –عليها السلام – في صورة بشر، قال تعالى:" **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)**" [٥٠] . وغيرها

- ✓ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ،ففي قصة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام السابقة : " ... **فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)**"[٥١] .

أما وظائف وأعمال الملائكة فهي كثيرة منها :

١. حفظ العباد : قال تعالى : " **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة** ..."[٥٢]

٢. كتابة وإحصاء أعمال المكلفين من خير أو شر، قال تعالى: "**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** "[٥٣]، قال تعالى: "**كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون** "[٥٤]. ففي هذا رسالة لنا جميعاً في أن نراقب ونحاسب في كل أقوالنا وأعمالنا فهي مكتوبة ومسجلة، فهلا حرصنا على تسجيل كل خير وتجنب كل شر!!

٣. تتبع حِلَقَ الذِّكْر، فقد قال رسول الله ﷺ: (**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر. فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم...**)[٥٥].

٤. نصرة المؤمنين :قال تعالى: "**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** "[٥٦] ، قال الربيع بن أنس : "ففي غزوة بدر وبينما رجل من

---

٥٠ سورة مريم

٥١ سورة الذاريات

٥٢ سورة الأنعام٦١

٥٣ سورة ق ١٨

٥٤ سورة الإنفطار ١١ –١٢

٥٥ رواه البخاري

المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوتَ الفارس يقول: "أقدم حَيْزُوم إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً قال: فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِم (قطع) أنفه، وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "صدقتَ، ذلك من مَدَد السماء الثالثة"[٥٧] .

٥. الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: " **ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم** "[٥٨]. الحمد لله على نعمه، فقد جعل ملائكةً تستغفر لنا؛ وما ذاك إلا لأنا مؤمنين فلك الحمد والشكر يا رب ونسألك الثبات حتى الممات على ذلك .

٦. ابتلاء واختبار العباد ، واستمع لتلك القصة الغريبة : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال له: أيُ شيء أحب إليك؟ فقال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه الملك: فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال له الملك: وأي المال أحب إليك؟ فقال: الإبل، فأعطاه ناقة عشراء، وقال: بارك الله فيها.وأتى –أي الملَكُ– الأقرع، فقال: أيُّ شيء أحب إليك؟ فقال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه –أي الملك– فذهب وأعطي شعراً حسناً، فقال الملك: فأيُّ المال أحب إليك؟ فقال: البقر، فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.وأتى –أي الملَك– الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله عليَّ بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه الملك، فردّ الله إليه بصره، قال: فأيَّ

---

٥٦ **سورة الأنفال ٩**

٥٧ **رواه مسلم**

٥٨ **سورة غافر ٧**

المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداً.فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل ولهذا وادٍ من بقره، ولهذا وادٍ من غنم.ثم إنه –أي الملَك– أتى الأبرص في صورته –أي في صورة الأبرص حين كان أبرص– وهيئته، فقال –الملك– له: رجل مسكين انقطعت به الحبال فلا بلاغ له اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، أسألك بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال له الأبرص: إن الحقوق كثيرة، فقال له –الملك– كأني أعرفك تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله تعالى؟ فقال الأبرص: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال له الملك: إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال للأبرص فردَّ عليه الأقرع مثل ما ردَّ على الأبرص، فقال له الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال له الأعمى: قد كنت أعمى فردَّ الله علي بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فو الله لا أجهدك بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك".[٥٩]

ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بمن ذكر الله لنا اسمه في القرآن و السنة الصحيحة ومنهم :

- جبريل – عليه السلام– أمين الوحي، وميكال أمين القطر –عليه السلام – قال تعالى: " **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** "[٦٠] .
- وممن ذكر اسمه في السنة المطهرة منكر ونكير – عليهما السلام – ، وهما الملكان الموكلان بسؤال العبد في قبره كما قال رسول الله ﷺ :(**إذا قُبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير** ..)[٦١].

٥٩ رواه البخاري

٦٠ سورة البقرة ٩٨

٦١ رواه الترمذي وصححه الألباني

وقبل أن نختم قولنا هذا لابد من يبان بعض ثمرات الإيمان بالملائكة الكرام –عليهم السلام:

- ❖ تعظيم الخالق سبحانه حيث خلق هذا الخلق العظيم والكثير، فهو على كل شيء قدير.
- ❖ توحيد الخالق سبحانه وصرف العبادة له وحده لا شريك له ، فكل مخلوق مهما كان فلابد من افتقاره للخالق، فلا يمكن للمخلوق أن يستغني عن الخالق ،فهذه الملائكة مع عظم قدرها وخلقها فإنهم يعبدون الله وحده لا يفترون ولا يتوقفون .
- ❖ دفع الغرور عن النفس، والافتخار بالعمل، فالملائكة على دوام طاعتهم خاضعين له سبحانه كما قال تعالى :" **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** "[٦٢] ، وهم مع ذلك يسألونه الصفح والمغفرة عن التقصير في العمل، كما ثبت أن الملائكة تقول لربها: "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"[٦٣].
- ❖ الاجتهاد في البعد عما حرمه الله، خوفاً من الله أولاً، ثم حياءً من الملائكة الذين لا يفارقون بني آدم، ويكتبون ويسجلون أعمالهم.

الاقتداء بهم في حسن نظامهم، وإتقان أعمالهم: فقد قال ﷺ (ألا تَصِفُّون كما تصف الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال: يتمون الصفوف الأُوَلْ، ويتراصَّون في الصف) وهذا لا يختص بالصلاة فقط بل في كل شؤون حياتنا .

---

[٦٢] سورة الأنبياء ٢٠

[٦٣] صحيح الترغيب والترهيب

الفصل الثالث الإيمان بالكتب

لقد ظلت البشرية لقرون طويلة وأزمان عديدة تبحث عن منهج يحقق لها السعادة ، وكتاب يرشدها إلى طريق الصواب، وقد حاول البشر ولا يزالون يحاولون أن يضعوا لهم منهجاً يسيرون عليه في حياتهم ليأخذ بهم إلى بر الأمان .

وما عَلِم هؤلاء أن الخالق سبحانه لم يترك عباده هملاً بلا منهج ولا كتاب، فمن رحمته وحكمته أن أرسل لنا كتباً مع أنبياءه ورسله توضّح لكل البشرية الطريق القويم والحق المبين ، ولما كان محمداً ﷺ آخر الرسل والأنبياء ، ورسالته شاملة لجميع الرسالات السابقة ، كان من أركان الإيمان عندنا (نحن المسلمين) الإيمان بكل الكتب السماوية السابقة ، فمن مزايا ديننا الإسلامي أنّه يدعو أتباعه للإيمان بجميع الكتب السماوية بلا استثناء ، يدعو إلى الإيمان بالتوراة المنزّلة على موسى عليه السلام، وبالإنجيل المنزّل على عيسى عليه السلام ،و الزبور المنزّل على داود عليه السلام ، والقرآن المنزّل على محمد ﷺ، بل وجعل الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة : ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أتى جبريل –عليه السلام – إلى النبي ﷺ وقال له:أخبرني عن الإيمان ،قال:"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " قال :صدقت. [٦٤]

إن الإيمان بالكتب يتضمن عدة أمور منها :

- ✓ التصديق واليقين بأن الله أنزل كتباً على أنبياءه رحمة للخلق وهداية لهم، ليصلوا بها إلى السعادتين في الدنيا وفي الآخرة .

---

٦٤ رواه مسلم

- ✓ نحن لا نعرف جميع الكتب ، بل نعرف منها : التوراة على موسى ، الإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، صحف إبراهيم وموسى ، والقرآن الكريم على محمد ﷺ.
- ✓ تختلف هذه الكتب في بعض شرائعها التفصيلية، فليست جميعها بنفس التشريع حسب ظروف المرسل إليهم وما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ومن أجل مصلحة البشرية ، ومن حكمة الباري – سبحانه – أن تكفل الله بحفظ آخر كتبه ودستور البشرية الدائم (القرآن الكريم) حتى لا يحدث له ما حدث للكتب السابقة من تحريف حين وُكِل حفظها للبشر فقال تعالى " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)** "[٦٥] ، فالذي أنزله هو الذي تكفل بحفظه ، وها نحن الآن وبعد أكثر من ١٤٠٠ سنة من بداية نزول القرآن الكريم ولم يحصل له تحريف،نعم كانت هناك محاولات من بعض الحاقدين ولكنها لم تفلح ولن تنجح ، فقد سلّمه الله من كل تحريف وبقي دستوراً خالداً للبشرية جمعاء وسيظل كذلك .

ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب كان من المهم أن يستوعب جميع ما في الكتب السماوية، ويكون هو المرجع في كل القضايا حتى لو كانت مذكورة في الكتب السماوية السابقة كما قال تعالى: " **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)**"[٦٦].

---

٦٥ سورة الحجر

٦٦ سورة المائدة

فالقرآن مهيمن وهذا أشمل من معنى التصديق، فالهيمنة تشمل التصديق وغيرها من المعاني من السّيطرة والرّقابة والحفظ والشّهادة ، كما أنَّ القرآن مصدّق للكتب السابقة معترفٌ أنّها من عند الله تعالى أنزلها على رسله – عليهم السلام – وعلينا الإيمان بما عَلِمنا اسمه منها كالتوراة والإنجيل والزبور، وأمّا مالا نعرفه منها فنؤمن به إجمالاً.

والقرآن يصدّق ذلك ويصدّق ما صحّ من أخبار الكتب السماوية السابقة، كالأخبار التي لم تحرّف من التوراة مثل الرّجم. كما وأنّ القرآن يصدّق بما فيها من العقائد الصحيحة ويتفق مع الكتب السماوية السابقة بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويتفق معها في أصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة قال الله تعالى :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)** "[٦٧] وكذلك أخبر القرآن عن الصلاة والزكاة و أنّ الله عزّ وجلّ تعبّد بها من قبلنا في قوله تعالى:"**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ (٨٣)** "[٦٨] وتتفق الكتب المنزّلة في الدعوة إلى الفضائل ، والترغيب فيها ، والترهيب من الرذائل والتنفير، منها فكلّ كتب الله تعالى تدعو إلى حُبّ الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة العدل ، وإحقاق الحقّ ، والإحسان ، والصدق ،والصبر ، والأمانة، والوفاء ، والرحمة ،وما إلى ذلك من الفضائل ، ومكارم الأخلاق التي تسعد بها البشرية في كلّ زمان ومكان ، كما وأنّ كلّ كتب الله تعالى نهت عن الظّلم ، والخيانة ، والكذب ،والغدر ، والقسوة ، وما إلى ذلك من الرذائل التي تُورِدُ البشرية موارد الهلاك.

[٦٧] سورة البقرة
[٦٨] سورة البقرة

وللإيمان بالكتب ثمرات كثيرة منها :

- ✓ العلم بعناية الله لعبادة حيث أنزل لهم كتباً .
- ✓ محبة الله لما أنعم علينا به من إنزال الكتاب (القرآن الكريم) وهذه من أجل النعم
- ✓ التعَّرف على شيء من حكمة الله في شرعه ، حيث شرع لكل قوم ما يناسبهم
- ✓ شكر الله على هذه النعمة العظيمة وذلك بالعمل بما في هذا القرآن الكريم .
- ✓ محبة واحترام وتقدير ذلك الكتاب العزيز لأنه من العزيز الكريم .

الفصل الرابع الإيمان بالرسل

لقد اقتضت حكمة الباري – سبحانه – وعدله ألا يعذب أحد من الناس حتى تقوم عليه الحجة ، ومن أجْلِ إقامة الحجة فقد تكفل الله بإرسال الرسل كما قال تعالى في كتابه الكريم " **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)**[٦٩] ، ومن هنا فإن الإيمان بالرسل يعتبر من القضايا الأساسية والمهمة والضرورية لدى المسلم بل هو أحد أركان الإيمان الستة .

والإيمان بالرسل يتضمن :

- ✓ الايمان بأن الله أرسل رسولاً أو نذيراً لكل أمة وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله : "**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)**"[٧٠] **وقال أيضا : " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ... (١٣٦)[٧١] ،لذا كان عدد الأنبياء والرسل كثير .
- ✓ الإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام بلا تفريق بينهم في الإيمان، فالكل مرسل من عند الله كما قال تعالى في كتابه العزيز "**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** .."[٧٢]. فقوله " **لا نفرق بين أحد من رسله** " بمعنى أنا لا نفرق بينهم من ناحية الإيمان بهم وإن اختلفوا في أزمانهم وشرائعهم .

---

٦٩ سورة النساء

٧٠ سورة فاطر

٧١ سورة النحل

٧٢ سورة البقرة ٢٨٥

- ✓ الإيمان بأن الله – ﷻ – فضلَّ بعض الرسل على بعض كما قال " **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.... (٢٥٣)**"[٧٣] ، وقال أيضاً : " **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ .. (٥٥)** "[٧٤]
- ✓ النبوة والرسالة اصطفاء من الله تعالى لا تنال بالعمل ولا بالقول ولا بأي طريق آخر ،فهي منّة ونعمة من الله يهبها لمن يشاء من عباده قال تعالى : " **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)**"[٧٥] أي أن الله يختار من الناس رسلاً يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونوا إلا صفوة الخلق على الإطلاق، ومن هنا كان مناسباً ختم الآية بقوله "**السميع البصير**" فالذي اختارهم واصطفاهم عالم فقد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختيارهم كما قال تعالى: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (١٢٤)**"[٧٦].
- ✓ الأنبياء والرسل بشر مثل بقية البشر يأكلون ويشربون ويتعبون ويتزوجون.. إلخ وفرقهم الأساسي أنهم يوحى إليهم من الله فلا علم لهم إلا ما علمهم الله كما قال تعالى : " **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ .. (١١٠)**"[٧٧] ، ويقول تعالى معاتباً بعض الكفار : " **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ (٧٥)**[٧٨]

---

[٧٣] سورة البقرة

[٧٤] سورة الاسراء

[٧٥] سورة الحج

[٧٦] سورة الانعام

[٧٧] سورة الكهف

[٧٨] سورة المائدة

- ✓ الأنبياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، ومن باب أولى نفع الغير أو دفع الشر عنهم ، فتلك مسألة يختص بها الله وحده دون غيره كما قال تعالى : " **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)**[٧٩] والخطاب في الآية لنبينا محمد -ﷺ- وكذلك بقية الأنبياء .
- ✓ كل الأنبياء يُعطَون من الآيات والدلائل والبراهين التي تؤيد نبوتهم وتجعل الناس يؤمنون بأنهم أنبياء يوحى إليه من الله ، وهذه الآيات والمعجزات تختلف باختلاف الأنبياء والرسل، وباختلاف الأقوام ، وباختلاف الأزمان، أي بحسب ما يقتضيه الحال ، قال الرسول – ﷺ – : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن ، أو آمن ، عليه البشر " .
- ✓ دين الأنبياء واحد ودعوتهم واحدة لكل البشر ، فقد كان خطاب الأنبياء للناس كافة ولكل قوم " أن اعبدوا الله "كما قال تعالى : " **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (٣٦)**"[٨٠] ، نعم قد تختلف الشرائع و القوانين ولكن تبقى القضية الأساسية وهي عبادة الله وحده لا شريك له فالأنبياء كأنهم أخوة لأب واحد وأمهات مختلفة كما قال الرسول الكريم – ﷺ-: " الأنبياء أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[٨١].

[٧٩] سورة الأعراف
[٨٠] سورة النحل
[٨١] رواه مسلم

- ✓ الأنبياء يصيبهم ما يصيب البشر من الموت ، فالموت أمر حتمي كتبه الله على كل الخلق بلا استثناء ، فها هو القرآن الكريم يخاطب الرسول الكريم – ﷺ– قائلاً له : " **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠)**" [٨٢] ، فالجميع سيموت ثم الجميع سيبعث مرة أخرى .

- ✓ من الحكم الربانية ، ومن علم الله المطلق بكل ما حدث وسيحدث في العالم فقد ختم الرسالة والنبوة في محمد –ﷺ– فكان هو آخر الأنبياء والرسل الكرام – عليهم السلام – فلا نبي ولا رسول بعده كما قال تعالى : " **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)**"[٨٣]، وقال – ﷺ – : " إن مثلي مثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين "[٨٤]. ومن لوازم ختم النبوة والرسالة لمحمد – ﷺ – أن كانت رسالته للناس كافة بخلاف الأنبياء قبله فقد كان النبي يرسل لقومه خاصة كما قال – ﷺ – : " أعطيت خمسا ، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : وذكر منها وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة."[٨٥]
- ✓ من مهام الأنبياء تبيين الخير للناس وتحذيرهم من كل شر كما قال –ﷺ –:"إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم"[٨٦]، وكذلك نبينا محمد –ﷺ– أرشدنا إلى كل خير وأنذرنا من كل شر، فكل خير في إرشاداته وكل شر في تحذيراته .

---

٨٢ سورة الزمر

٨٣ سورة الأحزاب

٨٤ رواه البخاري

٨٥ رواه البخاري

٨٦ ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير

✓ الأنبياء لا يستطيعون أن يحدثوا تغييراً أو تبديلاً أو تحويراً أو تعديلاً في أحكام الله وأوامره ، وإنما هم متّبعون لما يوحى إليهم كما قال الله تعالى لرسوله – ﷺ – : **{قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥)**[٨٧] بل جاء التهديد والوعيد له في تغيير أو تبديل أو زيادة ما يبلغ به قال تعالى : " **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)**[٨٨] ، و الوتين هو:العرق الذي يغذي القلب ، وهذا يجعلنا على يقين تام بكل ما صح عن الرسول الكريم – ﷺ – بأنه من عند الله وليس من عنده – ﷺ – .

تلك هي عقيدتنا في الرسل والأنبياء فنحن نتقرب إلى الله بحبهم ، ونقتدي بهم ، ونجتهد في معرفة سيرهم ، ونصدق بكل ما صح عنهم ، ونعبد الله بالطريقة التي رسموها لنا فيما صح عنهم . اللهم اجمعنا بهم واحشرنا في زمرته

[٨٧] سورة يونس

[٨٨] سورة الحاقة

الفصل الخامس الإيمان باليوم الآخر

جاء أحد الكفار إلى الرسول – ﷺ – وقد أخذ عظماً وفتته أمام الرسول – ﷺ– وقال : يا محمد هل يستطيع ربك أن يحيي هذه ؟ فقال الرسول – ﷺ– : نعم يحييها ويدخلك النار. ثم أنزل الله هذه الآيات : " **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)**[٨٩]**إلى آخر السورة**

إنها القضية الكبرى قضية (الإيمان باليوم الآخر) ، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان ، و حق أن يكون ركناً ، بل إنه أكثر الأركان ارتباطاً مع الإيمان بالله، فكثيراً ما نقرأ في القرآن الكريم " **من آمن بالله واليوم الآخر** " " **لمن آمن بالله واليوم الآخر** " " **لمن كان يرجو الله والدار الآخرة** " وغيرها كثير .

ومن الدلائل على أهمية هذا الركن وشأنه العظيم : تعدد أسمائه في الكتاب والسنة حيث أنه ذكر بأكثر من (٥٠) خمسين اسماً ،ولا توجد قضية في القرآن والسنة ذُكرت بهذا الكم من الأسماء ، و أيضاً مع كثرة الأسماء فقد تكرر ذِكرُ بعض الأسماء بصورة كبيرة فمثلاً اسم (اليوم الآخر) ذكر أكثر من ١٠٠ مرة واسم يوم القيامة أكثر من ٧٠ مرة و(يوم البعث، ويوم الدين، والحاقة، والقارعة) وغيرها كثير ، فما الإيمان باليوم الآخر ؟ وما مراحل ذلك اليوم ؟ وكيف ننجو في ذلك اليوم ؟ كل هذا وغيره سنتطرق إليه.

الإنسان يمر بخمس مراحل :

١. مرحلة العدم: حيث الإنسان لم يخلق بعد كما قال تعالى : " **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)**"[٩٠]

[٨٩] سورة يس
[٩٠] سورة الإنسان

٢. مرحلة الحمل: حين يكون الإنسان في بطن أمه " **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث**"[٩١]

٣. مرحلة الدنيا :حين يخرج الإنسان من بطن أمه" **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)** "[٩٢] ، وهذه المرحلة هي التي عليها مدار السعادة أو الشقاء وهي دار الامتحان والاختبار .

٤. مرحلة البرزخ : وهي من بعد موت الإنسان إلى حين قيام الساعة أي مرحلة وضع الإنسان في قبره لحين بعثه من جديد قال تعالى : " **وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)** "[٩٣]

٥. مرحلة يوم القيامة قال تعالى : " **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)** "[٩٤] ، وهي آخر المرحل وفيها السعادة أو الشقاء الأبدي والذي لا بعده سعادة أو شقاء.

والإيمان باليوم الآخر يتعلق بالمرحلة الرابعة والمرحلة الخامسة (البرزخ ويوم القيامة) .

وأهم القواعد التي يجب الإيمان بها فيما يتعلق باليوم الآخر هي :

✓ الإيمان بأن جميع البشر بل والمخلوقات ستموت حتى الملائكة الكرام – عليهم السلام – فإن الله قد كتب الفناء على الجميع فلا يبقى إلا هو سبحانه كما قال تعالى : " **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦)** "[٩٥] ، وقال تعالى : " **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)**"[٩٦].

---

[٩١] سورة الزمر ٦
[٩٢] سورة النحل
[٩٣] سورة المؤمنون
[٩٤] سورة المؤمنون
[٩٥] سورة الرحمن
[٩٦] سورة العنكبوت

- ✓ لا أحد يعلم متى يموت فعِلمُ ذلك لله وحده فقط قال تعالى : " **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)**[٩٧]
- ✓ تبدأ قيامة كل عبد بعد موته مباشرة وبمعنى آخر فالقيامة على نوعين: قيامة خاصة لكل عبد وهي التي تبدأ بعد موته و قيامة عامة لكل المخلوقات حين يشاء الله.
- ✓ الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأنه حق كما أخبر بذلك القرآن الكريم وبين ذلك الرسول العظيم ﷺ .
- ✓ أن العذاب والنعيم في القبر يعتمد على إجابة العبد كما أخبر بذلك الرسول الكريم –ﷺ– : "فعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، ..ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . قال .: فتخرج تسيل، كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها

[٩٧] سورة لقمان

خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذين بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال .: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال .: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال .: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ " لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً . ثم قرأ " ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق" فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري،

فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[٩٨].

- ✓ الإيمان بما يسبق قيام الساعة مما صح في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ والتي ذكرها العلماء –رحمهم الله –تحت مسمى : علامات الساعة ، وهي كثيرة لا يمكن ذكرها جميعاً هنا في هذه الدقائق ولكن سنشير إلى بعضها والمهم هو اليقين والجزم بما صح منها.
- ✓ لا يعلم وقت القيامة الكبرى (الساعة) إلا الله وحده، فلا نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وحين سئل الرسول الكريم – ﷺ– عن موعد الساعة جاءت الإجابة ربانية في قرآن يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى : " **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤)**[٩٩] ، و لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. أي أن كلانا لا يعلم وقتها.
- ✓ الإيمان بأن جميع الخلق يُعاد خلقهم وبعثهم من جديد استعداداً للحساب والجزاء قال تعالى : " **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا**

[٩٨] ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه

[٩٩] سورة النازعات

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)[١٠٠] فالله – سبحانه – قد وضع لنفسه وعداً وهو إعادة الخلق كما بدأه أول مرة وهو فاعل ذلك بلا شك ولا ريب فهو على كل شيء قدير .

- ✓ اليقين التام بأن بعد البعث يأتي الجزاء والمناقشة والسؤال ، وفق قواعد ربانية بينها القرآن الكريم والسنة النبوية منها : " **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)** "[١٠١] ، والعدل المطلق " **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)** "[١٠٢]، و إطلاع العبد على أعماله وإقامة الشهود " **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)** "[١٠٣]، وقاعدة الكرم الرباني " **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)** [١٠٤]، وأخيرا قاعدة السؤال كما قال – ﷺ – : " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم ."
- ✓ الإيمان بالجزاء الرباني لكل الناس، فلا ينبغي أن يكون هناك تكليف ثم حساب ومناقشة ثم لا يتبعها جزاء، فهذا لا يكون للعاقل من الناس والله ﷻ من باب أولى، بل أخبرنا الرسول الكريم – ﷺ – عن دقة الجزاء بقوله : " لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء [١٠٥]. أي يقتص من الشاة ذات القرون للشاة الجلحاء (التي بلا قرون).

---

[١٠٠] سورة الأنبياء
[١٠١] سورة المدثر
[١٠٢] سورة فصلت
[١٠٣] سورة النور
[١٠٤] سورة الأنعام
[١٠٥] رواه البخاري

- ✓ الناس من حيث الجزاء بعد الحساب والمناقشة على قسمين لا ثالث لهما : فريق في الجنة وفريق في النار (السعير) "**وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)**"[١٠٦] فكل مكلف سيكون مع أحد الفريقين بناءاً على عمله في الدنيا .
- ✓ الإيمان بأن هذا الجزاء للعباد سيكون هو مصيرهم الأبدي، فهم خالدون مخلدون فيه إما نعيم دائم وإما عذاب دائم لا ينتهي ، قال تعالى عن الكافرين : " **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥)**[١٠٧] وقال عن المؤمنين : " **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (١٢٢)**[١٠٨].
- ✓ الإيمان بأن الدار الآخرة هي دار جزاء وليست دار عمل فما قدمه الإنسان من عمل في حياته يجد نتيجته في آخرته أي من بعد موته إلى حين حصوله على الجزاء العادل ،

وقبل أن نختم الكلام عن هذا الركن المهم اسمحوا لي أن أزف لكم تلك البشرى ، قال رسول الله – ﷺ: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه.

إنه ظل الله ، وأنا على يقين من قدرتك على أن تكون أحد هؤلاء السبعة – بإذن الله – .

---

[١٠٦] سورة الشورى
[١٠٧] سورة الأحزاب
[١٠٨] سورة النساء

الفصل السادس الإيمان بالقدر

ها نحن نصل إلى الركن السادس والأخير من أركان الإيمان، وبه تكتمل أركان الإيمان التي بينها الرسول الكريم ﷺ حينما أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له:أخبرني عن الإيمان ،قال :" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " ، فلا يتم الإيمان حتى يؤمن العبد بالقدر خيره وشره.

والنصوص المخبرة عن قدر الله ووجوب الإيمان به كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى :" **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)**"[١٠٩]. وقوله :" **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)**"[١١٠].

ونظراً لخطورة هذا الموضوع وأهميته وتضارب الناس فيه ، فأرجو منك التركيز والتأمل فيما سنذكره في هذه الأسطر لعلها تعينك – بعد الله – في تحقيق هذا الركن العظيم وتطبيقه .

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أركان :

الركن الأول : **العلم** : وهو الإيمان بعلم الله الشامل المحيط ،فهو سبحانه عليم بالأمور كلّها دقيقها و جليلها ،سرّها وعلنها فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء قال الله تعالى :" **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)**"[١١١].هل لاحظت دقة التعبير القرآني " **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ** " الله أكبر كم ورقة تسقط في السنة بل في الشهر بل في اليوم وربما في الساعة، فالله سبحانه وتعالى يعلم متى وكيف وأين ستسقط هذه

[١٠٩] سورة القمر

[١١٠] سورة الأحزاب

[١١١] سورة الأنعام

الورقة ، بالإضافة إلى " **حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ** " حبة صغيرة وفي ظلمات !! نعم فالله يعلم عنها كل تفاصيلها فما أعظم الخالق سبحانه !!

الركن الثاني: **الكتابة** وهي الإيمان بأنّ الله كتب مقادير كلّ شيء إلى قيام الساعة ، كما قال رسول الله ﷺ يقول :"إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" .

الركن الثالث: **المشيئة** الإيمان بمشيئة الله العامة وقدرته الكاملة النافذة ، فكل ما حدث في السماوات والأرض كبير أو صغير ، عظيم أو حقير فإنّه بمشيئة الله تعالى وقدره وتحت سمعه وبصره قال الله تعالى :" **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)**[١١٢] " وقال سبحانه :" **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ (١١٢)**[١١٣] " وقال الله سبحانه :" **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)** "[١١٤]. وهذا لا ينافي مشيئة البشر وحريتهم بل توافقها لأن الله حين خلق الإنسان وكلّفه جعل له حرية الاختيار في سلوك الطريق، ولما كان علم الله مطلق ،فهو يعلم – سبحانه – باختيار كل عبد من عباده، فهو مكتوب عنده أن فلان سيختار الطريق الفلاني ولكنه – سبحانه – لا يجبره عليه ،وللتقريب نقول لو أن مدرساً كتب في ورقة قبل أن يختبر طلابه بأن فلان سينجح و فلان لا ينجح دون أن يعلم الطلاب بناءاً على معرفته بهم فهو أستاذهم ، ثم اختبر الطلاب وظهرت النتائج واتضح أن ما توقعه الأستاذ كان صحيحاً،فهل يحق للطالب الراسب أن يعترض على أستاذه بأنه قد كتبه راسباً !!! هذا لا يعقل ولو اعترض فلا يقبل اعتراضه فالأستاذ كتب بناءاً على معرفته بطلابه ،ولم يجبر الطالب على

[١١٢] سورة التكوير

[١١٣] سورة الأنعام

[١١٤] سورة يس

عدم الإجابة ، فكذلك الله (ولله المثل العلى) فالله أعلم بعباده فهو الذي خلقهم فالذي خلق أدرى بما خلق وأدرى بما سيختاره هذا المخلوق ، فكتب ذلك مع إعطاء العبد حرية الاختيار .

الركن الرابع : **الخلق** أي أن الله خالق كل شيء ومقدره وميسره لما خلق له كما قال تعالى :" **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)**"[١١٥] وقال الرسول الكريم ﷺ :" إن الله خالق كل صانع و صنعته".

فما أصابك من مرض ورزق وحياة وموت وأكل وشرب وزراعة وصناعة وغيرها كلها تنطبق عليها تلك المراتب الأربعة .

أما ثمار الإيمان بالقدر فهي كثيرة جداً وسنكتفي بذكر بعضها :

- ✓ إنّ الإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته باستقامة ، فلا تبطره النعمة لأنه يعلم أنّ كلّ ما أصابه من نعم وحسنات هي من الله قال الله تعالى :" **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ (٥٣)**"[١١٦] إذا أُصيب بضراء وبلاء فلا يجزع ولا ييأس بل يحتسب ويصبر ، بل ينظر إليه على أنه من عند الله الرحمن الرحيم الحكيم –سبحانه – وأبعد من ذلك يعتبر البلاء فرصة للحصول على الأجر الوفير كما قال – ﷺ – : "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير –وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن– : إن أصابته سرّاء شكر فكان خير له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خير له ." هذا حال المؤمن إن أصابته الضرّاء صبر على أقدار الله وانتظر الفرج من الله واحتسب الأجر فنال أجر الصابرين، وإن أصابته سرّاء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح أو نعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر

---

١١٥ سورة الصافات

[١١٦] سورة النحل

الله وذلك بالقيام بطاعته سبحانه فهو حاصل على الأجر في كلا الحالتين ، والعبد لا يخلو من هاتين الحالتين في كل حياته.

- ✓ الرضا والطمأنينة لعلمه بل يقينه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وعلمه برحمة رب العالمين له ، فحتى لو بدى له أن الأمر على غير ما يريد فهو على يقين من أن هناك مكان آخر يكتمل فيه الحساب والجزاء وهو اليوم الآخر، فيلقي السكينة على قلبه ويتقبل كل ما يأتيه قال الله تعالى:" **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)**[١١٧].
- ✓ والإنسان إذا رضي بالقدر استراح من الحزن والهمّ قال رسول الله ﷺ :" المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير ،احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنّي فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قَدَرُ الله وما شاء فعل . فإنّ لو تفتح عمل الشّيطان "، وفي المقابل نسمع كثيراً عن حالات الانتحار في الشرق أو الغرب فهاهي أفضل دولة في العالم من حيث الدخل المادي للفرد(السويد) تسجل أعلى نسبة انتحار في العالم ، فمع توفر المادة وتطور الحياة والرفاهية إلا أن ذلك لم يجعل العبد سعيداً، ولعل من أهم أسباب ذلك – والله العلم- عدم الإيمان بالقدر، فالحمد لله على نعمة الإسلام والحمد لله على نعمة الإيمان ، والحمد لله على نعمة الإيمان بالقدر خيره وشره .

أخي المسلم أختي المسلمة على المرء أن يستعيذ من سوء القضاء فقد ورد في الحديث عن النبيّ ﷺ:" اللهم إنّي أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء ،وسوء القضاء، وشماتة الأعداء " .وكذلك ورد عن النبيّ ﷺ الاستعاذة من شرّ القضاء في دعاء الوتر :" اللّهمّ اهدني فيمن

[١١٧] سورة الحديد

هديت ، وعافني فيمن عافيت، وتولّني فيمن توليّت، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شرّ ما قضيت، إنّك تَقضي ولا يُقضى عليك ، و إنّه لا يَذِلُّ من واليت ولا يَعِزُّ من عاديت تباركت ربّنا وتعاليت ". فالإيمان بالقدر لا يتنافى من الاستعاذة من شر القضاء بل إن الاستعاذة من شر القضاء هي من الإيمان بالقدر .

وبذلك تكون دائرة الإيمان قد اكتملت بأركانها الستة بدأناها بالإيمان بالله وختمناها بالإيمان بالقدر كما جاءت مرتبة على لسان الرسول الكريم ﷺ .وقبل ختام الكلام عن الإيمان لابد من التذكير بقضية هامة جداً تتعلق بالإيمان ألا وهي : هل الإيمان يزيد وينقص ؟

لقد أجاب القرآن الكريم عن هذا السؤال في عدة آيات منها:" **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ** .."**الفتح ، وقوله :" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)**[١١٨]. وغيرها من النصوص .

وأما كيف يمكن زيادة أو نقصان الإيمان فنقول :إنَّ الإيمان يزيد بالطاعات(مثل: الصلوات والذكر والصيام والخلق الحسن و.. وينقص بالعصيان(الزنا والربا وشرب الخمر والغيبة وعقوق الوالدين والخلق السيء و..) .

و مما يزيد الإيمان كذلك :صحبة أهل الإيمان والصلاح، فإن صحبتهم ترشد الإنسان إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، والإنسان ضعيف بنفسه يحتاج إلى المقارنة مع غيره، ولذلك تجد أن الإنسان الذي هو في جماعة إذا أقبلوا على طاعة كان من المسارعين إليها والمنافسين فيها، فإذا انفرد وحده جاءه الكسل والنعاس والنوم ولم يستطع أن يفعل ما كان يفعله في جماعة، إلا بتدريب شاق على النفس وجهاد، ولذلك أمر الله بصحبة الأخيار، فقال: "**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ**

[١١٨] سورة الأنفال

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)"[١١٩] فإذا كان هذا الخطاب للرسول الكريم ﷺ وهو الذي ينزل عليه الوحي فمن باب أولى غيره ، ونحن في هذا الزمان أشد حاجة لذلك، فعلى العاقل أن يجتهد في معرفة الصالحين والسير معهم في " طريق الفالحين " وليصبر على ما يلاقيه من أذى منهم (أحياناً) ، وفي المقابل الابتعاد عن أهل الفسق والعصيان فإنهم من أعظم السارقين فهم لم يسرقوا منك مالاً بل قد سرقوا أهم وأعظم ما تملك في هذه الحياة الدنيا ألا وهو الإيمان ، ولا قيمة لعبد بلا إيمان لأنه سيخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين وكن على يقين بأن هذه الدنيا ممر وليست مستقر، فليتزود من الإيمان بقدر الإمكان قبل أن يأتيه ملك الموت حينها يندم يوم لا ينفع الندم .

[١١٩] سورة الكهف

الباب الثالث

رسول الإسلام

إن العمر الحقيقي للإنسان ليس بعدد السنوات بل بما يحققه من إنجازات وبما يساهم فيه لبناء الحضارات والرقي بالبشرية إلى أسمى الدرجات، فهناك الملايين بل المليارات من البشر ممن عاش على هذه الأرض لسنوات عديدة لكنه لم يترك له بصمة فيها ، وفي المقابل هناك من عاش سنوات محدودة لكنه لا يزال يُذكر فيشكر ولا تزال سيرته تُروى للأجيال .

ومن البديهي أنه كلما كانت المساهمة في مجالات أكبر وأوسع كان الذكر أبقى ، فمن ساهم في مجال الهندسة والرياضيات والطب سيكون ذكره في كل هذه المجالات ومن ساهم في مجال واحد سيكون ذكره أقل ،ليس هذا فحسب بل لابد من النظر في نوعية تلك المساهمة، ومدى حاجة الناس لها على مختلف مستوياتهم ولجميع أجناسهم، فالإنجاز الذي يحتاج إليه الناس أكثر وشريحته أكثر وأشمل لا شك سيكون صاحبه أكثر ذكراً .

وأمر آخر وهو أن تخرج تلك المساهمة عن طور النظرية إلى طور التطبيق، أي أن تكون تلك المساهمة قابلة للتطبيق وليست كلاماً ونظرية مجردة ليس لها واقع ملموس ، أو لا يمكن تحقيها على أرض الواقع ، فهناك العديد من النظريات الحالمة التي ظلت في الأدراج والسبب هو عدم إمكانية تطبيق تلك النظرية؛ تلك أهم صفات الإنجازات التي أبقت ذكر أصحابها العظماء .

ومن مقتضيات العدل الرباني ألا تنحصر جميع الإنجازات في أمة معينة ولا زمن محدد ، فلكل أمة من الأمم عظيم أو أكثر تفتخر بسيرهم وأعمالهم وتسطر إنجازاتهم بمداد من الذهب ، لأنهم ساهموا بدور في بناء تلك الأمة والرقي في نهضتها في زمن ما.

وهناك نوع خاص من البشر وهم قليل جداً تجاوزت إنجازاتهم أمتهم لتشمل البشرية جميعاً وظهرت آثارهم في مختلف أصقاع الأرض ، فحق على البشرية ردُّ جميل هؤلاء وشكرهم ، ومن شكرهم دراسة سيرتهم والنظر والتأمل ، فيها وتربية الأجيال على تلك السير العطرة ؛ لعلها تساهم في نهضة البشرية وإخراجها من بحر المتاهات والفوز بالسعادة الإنسانية .

وعلى رأس أولئك الصنف وأفضلهم محمد ﷺ الذي لم يتجاوز عمره ٦٥ عاماً لكنه قدَّم للبشرية المنهج النظري والتطبيقي للحصول على السعادة المنشودة والغاية المقصودة لعموم البشر ، فكان واجباً على كل مسلم بل وكل إنسان دراسة سيرة محمد ﷺ وأخذ الدروس والعبر منها والسعي في تطبيقها .

وحتى نكون منصفين نتركك مع مقتطفات من سيرته ﷺ فهي كفيلة لبيان صدق ما ذكرنا فإلى ذلك :

الفصل الأول : الطفل اليتيم

تبدأ قصتنا عام ٥٧٠ م وفي شبه الجزيرة العربية وهي في غرب قارة آسيا، وعند الكعبة المشرفة حيث كانت تعيش قبيلة تسمى قبيلة قريش، وهم سادة مكة والمتولين أمرها وأمر البيت المقدس(الكعبة) الذي كان العرب يحجون إليه ويعظمونه ، لذا كانت هذه القبيلة أشرف قبائل العرب وأفضلها .

وهاهو سيد قبيلة قريش في زمانه (عبد المطلب) يختار لولده عبد الله وكان لديه ١٠ من الأبناء آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، ، ويتم الزواج ويفرح الزوجان ببعضهما ويعيشان أياماً سعيدة وبعد أيام قليلة خرج عبد الله متاجرًا إلى الشام (شمال جزيرة العرب) ، وللاستراحة نزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن هناك، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة.

سمعت الزوجة الحنون بموت زوجها الحبيب فحزنت حزناً شديداً فقد كانت تحبه مع أنهما لم يمضيا معاً إلا أياماً معدودة ، لكنها تحملت وتصبرت من أجل جنينها من زوجها الحبيب فقد ثبت لها أنها حامل من زوجها عبد الله ، وخلال تلك الفترة وفي شهر فبراير أو أوائل مارس سنة ٥٧١ م حدثت قصة عجيبة في مكة :

ذلك أن أبرهة بن الصباح الحبشى، النائب العام عن النجاشى على اليمن (جنوب شبه الجزيرة العربية)، لما رأى العرب يحجون إلى الكعبة بنى كنيسة كبيرة بصنعاء (عاصمة اليمن)، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بني كنانة، فدخلها ليلًا فلطخ قبلتها بالعذرة. ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وسار بجيش كبير . عدده ستون ألف جندى . إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلاً من أكبر الفيلة، وكان في الجيش ٩ فيلة أو ١٣ فيلاً، وواصل سيره حتى بلغ المغَمَّس (مكان قرب مكة) وهناك عَبّأ جيشه وهَيّأ فيله، وتهيأ لدخول مكة، فلما

كان في وادى مُحَسِّر (بين مزدلفة ومنى وادي قريب من الكعبة) برك الفيل، ولم يقم ليتقدم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول، وإذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبيناهم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. وكانت الطير أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر ثلاثة أحجار؛ حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص، لا تصيب منهم أحدًا إلا تقطعت أعضاؤه وهلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يموج بعضهم في بعض، فتساقطوا بكل طريق، وأما أبرهة فبعث الله عليه داء تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ، وانصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

وأما قريش فكانوا قد تفرقوا في الشِّعاب، وتحرزوا في رءووس الجبال خوفًا على أنفسهم، فلما نزل بالجيش ما نزل رجعوا إلى بيوتهم آمنين.

ونظراً لأهمية هذا الحدث العظيم فقد أرّخ العرب هذا العام وأسموه بعام الفيل ، وفي هذا العام وبعد خمسين يوماً أو أكثر بقليل أي في عام ٥٧١ م وفي مكة وَلدَت آمنة بنت وهب وليدها الوحيد وأرسلته إلى جده عبد المطلب الذي أسماه محمد لعله يكثر حامدوه ، لقد ولد محمد وأبوه ميت ولم ير أباه فبقي في رعاية جده عبد المطلب وبين أحضان أمه آمنة ، فهل استمر الوضع ؟

لقد كان من عادة العرب أن يعطوا أبنائهم الصغار إلى مرضعات ثقات في الصحراء يتولن أمر إرضاعهم ورعايتهم حتى سن معين ، وكان من نصيب محمد ﷺ مرضعة تسمى (حليمة السعدية) ولندعها تتحدث عن ذلك فتقول :

خرجت من بلدتي مع زوجي وابن لي صغير أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، نتلمس الرضعاء. قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا، فخرجت على أتان (أنثى الحمار) لى قمراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تَبِضُّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في مكاننا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج،

فخرجت على أتاني تلك، فلقد أذَمَّتْ بالركب حتى شق ذلك عليهم، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لزوجي: والله ، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال : لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أرْبِعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله ، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنًا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شِباعًا لُبَنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى

يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا ولم يستمر الأمر طويلاً فقد خشيت حليمة على الطفل فقررت إرجاعه إلى أمة وأرجعته وعمره ست سنوات.

وهكذا عاد الطفل اليتيم إلى أمه بعد الرضاع ليبدأ قصة جديدة ومرحلة صعبة ، فقد خرجت أمه من مكة إلى يثرب (المدينة) للزيارة فقطعت نحو خمسمائة كيلو متر ومعها ولدها اليتيم . محمد ﷺ وخادمتها أم أيمن، و عبد المطلب، فمكثت شهرًا ، وبينما هي راجعة إذ لحقها المرض في أوائل الطريق، ثم اشتد حتى ماتت بالأبْوَاء بين مكة والمدينة.

وعاد به عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحزن في قلبه نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد أثار الجروح القديمة، فَرَقَّ عليه فكان لا يدعه لوحدته ، بل يؤثره على أولاده، فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالًا له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام صغير حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأناَ، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ذلك.

لقد استمر الموت يلاحق المقربين لهذا الطفل _ لحكمة ربانية _ فبعد فقد أباه في بطن أمه وفقد أمه وهو في سن السادسة لم تمض سنتان أي أن عمر الطفل ثمان سنوات يُتوفى جده الحبيب عبد المطلب ، ويعهد برعايته لعمه (شقيق أباه) أبي طالب .

وبدأ الطفل يكبر ليصبح شاباً وقد أصبح أفضل قريشٍ أخلاقاً فقد عرف بينهم بـ " الصادق الأمين " ، وفي الخامسة والعشرين من عمره تسمع به امرأة شريفة في قريش لها تجارة رابحة تسمى (خديجة) فتطلب منه أن يخرج في تجارتها وتعطيه أفضل ما تعطي غيره فوافق وخرج في مالها ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

وفي سن الخامسة والعشرين خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة – رضي الله عنها – ، ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من صفات كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة . وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبي عليهم ذلك . فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها ، التي ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً وثروةً وعقلاًا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

وكل أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم،ولدت له: أولاً القاسم ، ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله ، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن

وقبل أن نختم الحلقة الأولى من حياته – ﷺ – لابد من ذكر القصة التي حدثت حين كان عُمر محمد ﷺ خمسة وثلاثين سنة ، لبيان كيف كان عقله ﷺ وكيف كانت نظرة قومه إليه :

ففي تلك السنة جاء سيل كبير فهدم الكثير من الكعبة حتى أوشكت على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلون فيها مهر بغي ولا بيع رباً ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومى، فأخذ المعول وقال: الله لا نريد إلا الخير، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شيء تبعه الناس في الهدم في اليوم الثاني، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزّأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءًا منها. فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بنّاء رومي اسمه: باقوم. ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود (أحد أركان الكعبة) اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في

مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسًا، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكّموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه ، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه.

وهكذا عاش الطفل اليتيم بين قومه صادقاً أميناً صاحب عقل راجح وذكاء مُتَّقد، لكن حياته الحقيقية لم تبدأ بعد فثمة أمور وأحداث عظيمة تنتظره ، فقد كان ذلك كله مقدمة وتهيئة لتلك النفس الشريفة للقيام بأعظم مهمة عرفها البشر ، فكيف ستكون البداية هذا ما سنعرفه في الورقات القادمة .

الفصل الثاني الرسالة

حين بلغ محمد ﷺ سن السابعة والثلاثين حبّب الله إليه العزلة عن قومه، والمكث بعيداً عنهم في غار حراء في جبل النور على بعد نحو ميلين من مكة – (وهو غار طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع الذراع) – فيقيم فيه شهر رمضان (الشهر التاسع من الأشهر العربية)، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك الواهية، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد، ولا طريق يطمئن إليه ويرضاه.

وبعد سنتان ونصف من ذلك ظهرت علامة أخرى فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت وظهرت حقيقة ، واستمر الوضع هذا لمدة ستة أشهر ، ثم حين بلغ الأربعين من عمره وفي شهر رمضان وفي غار حراء حدث الأمر الخطير، فقد جاءه الحق كما ذكرت ذلك عائشة – رضي الله عنها – حيث قالت: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ: قال: (ما أنا بقارئ)، قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:" **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**"[١٢٠]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: (زَمِّلُوني زملوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: (ما لي؟) فأخبرها الخبر، (لقد خشيت على نفسي)، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم،

---

١٢٠ سورة العلق الآية ١

وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل ابن أسد) ابن عم خديجة – وكان امرأ تنصر في الجاهلية، يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي –فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجيّ هم؟) قال:نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِىَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي، وفَتَر الوحي.

ولنعد لمحمد ﷺ حيث يقول : (جاورت بحراء شهراً فلما قضيت هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فخشيت على نفسي فذهبت مسرعاً إلى أهلق وقلت:(زملوني، زملوني)، فدثروني فنزلت قوله تعالى : "**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**"[١٢١] .

قام رسول الله ﷺ بعد نزول ما تقدم من آيات سورة المدثر، بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وحيث إن قومه لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم وجدوا آباءهم على ذلك، وكانوا مع ذلك متصدرين للزعامة الدينية في جزيرة العرب، ومحتلين مركزها الرئيس، ، فقد كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم.

---

١٢١ سورة المدثر آية ١- ٥

لقد كان الله قادراً على نصرة رسوله من أول يوم في الرسالة لكنه – سبحانه – أراد أن يعلم البشر والناس أجمعين أن طريق التغيير وطريق الدعوة ليس سهلاً وليس مفروشا بالورود ، بل يحتاج إلى تضحية وبذل وصبر ومصابرة ومجاهدة ، كما أنه ثمة سنن كونية وسنن ربانية يسير فيها هذا الكون ومن ذلك : التغيير في النفس البشرية وخاصة التغيير العقائدي فحري بكل داعية وكل مسلم أن يتعرف على تلك السنن ويلتزم بها ولا يحاول الخروج عنها مهما كان هدفه وغايته.

وكان من الطبيعى أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على ألصق الناس به من أهل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق والخير، ويعرفونه بتحرى الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جَمْعٌ عُرِفوا بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي ﷺأم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة وابن عمه علي بن أبي طالب . وكان صبيًا يعيش في كفالة الرسول ﷺ وصديقه الحميم أبو بكر الصديق. وهؤلاء هم أول من أسلم .

و مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، ولم يجهر بها النبي ﷺ ،إلا أنها عرفت لدى قريش، وفشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، ، لكنهم لم يهتموا به كثيرًا حيث لم يتعرض رسول الله ﷺ لدينهم، ولم يتكلم في آلهتهم ، ثم نزل قول الله تعالى : "" **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**" [١٢٢] فدعا رسول الله ﷺ عشيرته ، وقال: (الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له). ثم قال: (إن الناصح لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله

[١٢٢] سورة الشعراء آية٢١٤

لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً).

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقاً لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به. فوالله ، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

وبعد تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته وهو يبلغ عن ربه، صعد النبي ﷺ ذات يوم على الصفا(جبل صغير قرب الكعبة)، ثم جعل ينادى قريشاً والقبائل في مكة فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش. فلما اجتمعوا قال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي بسَفْح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟).

قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله ، فقال: يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله ، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضرًا ولا نفعًا، ولا أغنى عنكم من الله شيئًا.

ثم ذكرهم بأسمائهم حتى بلّغ ابنته فقال:يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي، أنقذى نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، ولا أغنى عنك من الله شيئاً.

وهكذا جهر الرسول ﷺ بالدعوة وبدأ بإعلانها على الملأ فزاد عدد المسلمين ، وهنا بدأت قريش تعلن حربها للدين الجديد ، واتخذت عدة أساليب وطرق منها : إثارة الشبهات، ومنع الناس من سماع القرآن ، واتهام الرسول ﷺ بالسحر والجنون وغيرها من الأساليب ، وكان من أشد الأساليب قسوة الإيذاء للرسول الكريم ﷺ وأتباعه مثل صهيب بن سنان الرومي الذي كان يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول.و بلال الحبشيالذي كان يُسلَّم للصبيان،

يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول: أحَدٌ أحَدٌ، وكان يُخرج إذا حميت الظهيرة، فيطرح على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يُقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك: أحد،أحد.

وكان عمار بن ياسر ،أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبي ﷺوهم يعذبون فقال: (صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية ـ أم عمّار ـ في قُبُلها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام

وكان خباب بن الأرت حدادًا، فلما أسلم عذبوه بالنار، فكانت توضع الحديدة المحماة على ظهره أو رأسه، وكانت زِنِّيرَةُ أمَةً رومية قد أسلمت فعذبت في الله ، وأصيبت في بصرها حتى عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتني، وهذا من الله ، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد.

وهكذا لم يسلم الرجال ولا النساء، ولكن ماذا عسى أن يفعل محمد ﷺ وكيف سيواجه ذلك؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث الصراع في مكة

لقد بدى لأهل مكة أن الدِّين الجديد يزداد في الانتشار، وأن وسائلهم حتى الآن لم تكن كافية لمنعه ، واتفقوا على أنه لابد من التخلص من الرسول ﷺ، ولكن كيف وعمه يمنعه؟ فقرروا أن يجروا معه المفاوضات وتكررت أكثر من مرة حتى وصل الأمر إلى التهديد ،؛ فقد جاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك شأناً وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد حدثناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا ، من شتم آبائنا، ، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. عَظُم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فقال ﷺ: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه)، ثم استعبر وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أُسْلِمُك لشيء.

ومع هذا فلم يسلم الرسولﷺ من الأذية ، فمن ذلك ،كان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتيبة ببنتى رسول الله ﷺرقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة حتى طلقاهما. وكانت امرأة أبي لهب . أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان – لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ – فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلًا، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي ﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمّالة الحطب،ولم يكن من الحكمة المواجهة مع قريش لأن ذلك ربما يقضي على كل المسلمين كما أن التربية الإيمانية لم تكتمل بعد لإعداد جيل يتحمل مسؤولية الدعوة .

ومن باب الأخذ بالأسباب أمر الرسول الكريم ﷺ صحابته بالهجرة إلى الحبشة لوجود ملكٍ لا يُظلم عنده أحد ، وفعلاً خرج بعض المسلمين ثم بعد فترة أخرى تبعهم فوج آخر من المؤمنين ليبقوا هناك يعبدون الله . علمت قريشاً بالهجرة فحاولوا إغراء الملك بالهدايا والوشاية على الصحابة الكرام ، لكن الله أبطل مكيدتهم ، وأبقى الملك المسلمين في أمان ورعاية واطمئنان

ولأن الله هو مدبر الأمور ومسيرها كما يشاء فقد جعل الفرج والمبشرات تخرج من بين البلاء والشدائد ، فمع هذا التعذيب والتنكيل وبعد ست سنوات من البعثة يسلم اثنين من كبار رجالات قريش ومن أشدهم قوة ومنعة هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ، ليكون إسلامهما نصراً للمسلمين ونكاية لقريش الكافرين، وهكذا يجري الله من الأسباب ما يحقق به مراده .

ويروي لنا ابن عباس كيف كان إسلام عمر فتحاً فقال: سألت عمر بن الخطاب: لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام. ثم قص عليه قصة إسلامه. وقال في آخره: قلت – أي حين أسلمت –: يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم)، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، ، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلىّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ(الفاروق) يومئذ، عندها أدركت قريش أنه لابد من المفاوضات مع الرسولﷺ فأرسلت عتبة،حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَةِ في العشيرة، والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول ﷺ: (قل يا أبا الوليد أسمع). قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت

تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺيستمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، قال: (فاسمع منى)، قال:أفعل، فقال: " **بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**" [١٢٣] [فصلت:١: ٥]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها، يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك). فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.بعدها زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل، ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبى الله ﷺ والقيام دونه، كائنًا ما كان، فاجتمعوا وتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا

[١٢٣] سورة فصلت آية ١ وما بعدها

بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل).

واشتد الحصار، وقُطِع الطعام عن بني هاشم ، فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يبكون من الجوع .ومر عامان أو ثلاثة أعوام والأمر على ذلك، وفي محرم سنة عشر من النبوة نقضت الصحيفة وفك الحصار.

ولم تنته الشدائد على الرسول الكريمﷺ فقد حدث أمر أحزنه حزناً شديداً ، ففي شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة مرض أبو طالب ، ثم لم يدم طويلاً فوافته المنية وتوفي ، فحزن عليه الرسول ﷺ ، ولم تمض ثلاثة أيام حتى توفيت خديجة زوج الرسول الكريمﷺ ويزداد الحزن على الرسول العظيم ﷺلقد أراد الله أن يجعل نبيه يتعلق به – سبحانه- فقط وليس بالبشر فهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله ، فالذي يمنع ويحمي من الناس وغيرهم هو الله وحده وما أولئك إلا أسباب أجراها الله لزمن معين لحكم يعلمها سبحانه .

وبعد موت أبي طالب زادت أذية قريش لرسولنا الكريم ﷺ وللرعيل الأول ، حينها قرر الخروج من مكة والدعوة لعلها تجد قبولاً أكثر من قريش ، وفي شوال سنة عشر من النبوة(٦١٩ م) خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، سارها ماشيًا على قدميه ، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب أي واحدة. فلما انتهي إلى الطائف عمد ثلاث إخوة من رؤساء ثقيف (أهل الطائف) ، ودعاهم إلى الإسلام فقال أحدهم : أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال آخر:والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: (إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني). وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا:

اخرج من بلادنا. فلما أراد الخروج تبعه أطفالهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له أي صفينوجعلوا يرمونه بالحجارة وبالكلام القبيح ،حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺفجلس واطمأن،ثم دعا قائلاً : (اللهم إليك أشكو ضَعْف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي؟ أم إلى عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).إنه الارتباط بالله وحده لا غيره ، عقيدة التوحيد، فكل مصيبة وبلية تصغر وتهون إن كان الله غير غاضب على العبد ، فما أجملها من كلمات وما أعظمه من درس للناس وللمسلمين بالخصوص وللدعاة بالأخصويسمع الله تلك الكلمات فيرسل جبريل ، لنستمع للرسول الكريم ﷺوهو يتحدث عن عودته فيقول : فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب – وهو المسمى بقَرْنِ المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين – أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة: – قال النبي ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا) ، عندها صمم الرسول ﷺالعودة إلى مكة للدعوة ،فقال له زيد : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعنى قريشًا، فقال: (يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه).

فما هو الفرج وكيف سيكون المخرج وكيف سينصر الله دينه ويظهر نبيه .

الفصل الرابع الفرج والمخرج

نحن الآن في السنة العاشرة من البعثة (٦١٩ م)، وعلى مقربة من شهر ذي الحج حيث يتوافد العرب إلى مكة للحج ، فقد قرر الرسول ﷺ أن يعرض نفسه على الأفراد والقبائل ، ويدعوهم إلى الإسلام ، كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من البعثة ، وقد بدأ يطلب منهم أن يؤووه وينصروه ويمنعوه حتى يبلغ ما بعثه الله به، فأسلم بعض الأفراد أما القبائل فلم تسلم .

إن الله إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه ، ففي سنة ١١ من البعثة وفي موسم الحج عاد الرسول الكريم ﷺ يعرض نفسه على القبائل ، وكان من حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يراه مشركي مكة.

فخرج ليلة ومعه أبو بكر وعلى، فمر على عدة قبائل فلم تجب ثم مر رسول الله ﷺ ، فسمع أصوات رجال يتكلمون فذهب حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب (المدينة المنورة) فلما لحقهم رسول الله ﷺ قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج، قال: (من موالي اليهود؟) أي حلفائهم، قالوا: نعم. قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود (كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة ، أن نبيًا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج)، فلا تسبقنكم اليهود إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته، وأسلموا.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور المدينة إلا وفيه ذكر رسول الله ﷺ ، تلك كانت بداية الفرج والمخرج.

وفي موسم عام ١٢ من البعثة (٦٢١ م) التقى ١٢ رجلاً من المدينة بالرسول الكريم ﷺ وبايعوه عند العقبة وسميت بيعة العقبة الأولى ، يرويها أحد الحاضرين وهو عبادة بن الصامت فيقول : أن رسول الله ﷺ قال: (تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله ، فأمره إلى الله ؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه). قال: فبايعناه على ذلك.

وبعد تمام البيعة أرسل الرسول معهم إلى يثرب أول سفير في الإسلام ليعلمهم دينهم الجديد ويدعو بقية أهل يثرب وكان صاحب هذا الشرف مصعب بن عمير ﷺ ، فذهب معهم فأحسن التعليم وأجاد في الدعوة ، وقبل حلول موسم الحج التالي . أي حج السنة الثالثة عشرة . عاد مصعب إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر النصر، ويقص عليه خبر إسلام أهل يثرب.

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة (٦٢٢م) حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب يقول أحد فرسان بيعة العقبة الثانية:

خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺبالعقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل ، مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان من نسائنا، وحضر الرسول ﷺ ومعه عمه العباس فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسائكم وأبناءكم). فأخذ البراء بن مَعْرُور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيًا، لنمنعنك مما نمنع أُزُرَنا منه، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء

الحرب وأهل الْحَلْقَة، ورثناها كابرًا عن كابر.

قال: فاعترض القول. والبراء يكلم رسول الله ﷺ – أبو الهيثم بن التَّيَّهَان، فقال: يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها – يعنى اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله إن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: (بل الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الْهَدْمُ، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم).

لقد كان من أبرز نتائج تلك البيعة وجود وطن يمكن أن يلجأ إليه المؤمنين ويعيشون فيه دون تعذيب أو أذى ، لذا كان لابد من ترك الوطن الأصلي (مكة) والهجرة إلى المكان الجديد (يثرب) ، فمهما كانت مرارة ترك الأوطان وصعوبتها إلا أنها تهون عند الدين وعبادة الله في أمان واطمئنان .

وفعلاً بدأ المسلمون الهجرة إلى يثرب على شكل أفراد أو مجموعات صغيرة ، أما القائد الرسول الأعظم فقد بقي في مكة ؛ لحين إتمام الأمور وتصفية أحوال المسلمين ، وكل هذا يسير وفق رعاية ربانية .

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم، فصاروا يبحثون عن وسائل هذا الخطر ، وفي يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من البعثة ، الموافق ١٢ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢م – أي بعد شهرين ونصف تقريبًا من بيعة العقبة الكبرى – عقد في (دار الندوة) أخطر اجتماع حيث توافد إلى هذا الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية ؛ ليتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء سريعاً على حامل لواء الدعوة الجديدة محمد ﷺ قبل أن يهاجر إلى يثرب وتزداد شوكته ، وكان القرار التاريخي هو أن يأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ، ثم يُعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يذهبوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلا يقدر قبيلته على حرب قومهم جميعاً، فيرضون بالفدية، ويعطوها.

وأخبر الله رسوله ﷺ بالخطة وأمره بالهجرة ، وخطط الرسول للهجرة مع صاحبه أبي بكر .

وفي ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، الموافق ١٣/١٢ سبتمبر سنة ٦٢٢م.خرج الرسول ﷺ وجعل على فراشه علياً ومر بين الفتيان الذي أتوا لقتله وهو يقرأ قوله تعالى " **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فهم لا يبصرون** " ، واختار شخصاً خبيراً بالطرق ليدله على طريق مختلف إلى يثرب(المدينة المنورة) .

علمت قريش بخروج الرسول الكريم ﷺ وهجرته إلى يثرب (المدينة) فلاحقوه ووضعوا الجوائز لمن يرشدهم عليه ، لكن الله حفظه وسلّمه لقد كانت العناية الربانية للرسول الكريم ﷺ في هجرته جلية وواضحة ومع ذلك فقد أخذ الرسول الكريم ﷺ من الأسباب المادية ما يستطيع ليُعلِّم الناس كلهم أن التوكل على الله لا يعني أبدا التخلي عن الأسباب بل إن من التوكل على الله الأخذ بالأسباب التي يستطيعها البشر، فمن الأسباب التي عملها الرسول الكريم ﷺ :

١. تجهيز الرواحل (الإبل) وإعدادها .
٢. الخروج ليلاً .
٣. تغيير مسار السفر إلى المدينة .
٤. اختيار شخص عارف بالطريق الجديد .
٥. التخفي عن العيون وبين الكهوف .
٦. أمره لعلي رضي الله عنه أن يبقى في فراشه ليلاً ، ليوهم الكفار بأنه مازال في البيت.

وهكذا استمر الموكب الكريم وفي يوم الجمعة (١٢ ربيع الأول سنة ١ هـ/ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ٦٢٢م) دخل رسول الله ﷺيثرب، وسميت المدينة المنورة. وكان يومًا مشهودًا ، فقد ارتجت البيوت والسكك بأصوات الحمد والتسبيح، وبدأت مرحلة جديدة في حياة النبي الكريم ﷺ ، مرحلة بناء الدولة الإسلامية

فكيف سيكون ذلك ؟

الفصل الخامس : البناء والمواجهة

إنَّ عبقرية رسول الإسلام ﷺ لا تكمن في الدعوة فقط بل في كل الأمور ، ومن أبرزها بناء المجتمع الإسلامي الجديد وقيام الدولة الإسلامية على أسس سليمة وقوية وراسخة جعلت منها دولة يشهد لها القريب والبعيد ، والصديق والعدو، واستطاعت أن تجعل لها بصمات واضحة على تاريخ البشرية ، ولا يزال هذا الأثر واضحاً حتى بعد مرور أكثر من ١٤٠٠ سنة وسيظل هذا الأثر إلى ما شاء الله ، فكيف استطاع رسول الإسلام ﷺ عمل ذلك ؟ لاشك أن التأييد الرباني هو الأساس وراء كل هذا، ولكن هذا التأييد كان وفق خطوات وبرامج وأسباب رُسِمت للرسول ﷺ ، فلنعد إلى السيرة العطرة للتعرف على تلك الأسباب:

دخل رسول الإسلام المدينة وأول خطوة خطاها رسول الله ﷺ بعد ذلك هو بناء المسجد النبوي، واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته صلى الله عليه وسلم، فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبِن والحجارة ويقول:

اللهم لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرة ** فاغْفِرْ للأنصار والمهَاجِرَة

ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، وميدان يلتقي فيه المسلمون لتذويب ما بينهم من أحقاد وخلافات، وزرع الحب والأخوة والترابط، ومقر لإدارة جميع شؤون الدولة الجديدة ، ومع هذا كله كان دارًا يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون.

ثم كانت الخطوة الثانية التي لم تر البشرية مثلها ولم تعرف لها شبيه ، ألا وهي خطوة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، أخي بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: "

وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ"[١٢٤] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة. ، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون ويكون أساس الولاء والبراء هو الدين.

وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة ، والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال ، ومن ذلك ما حدث بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الذي قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا، فاقسم مالي نصفين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلوه على السوق، وبدأ بالتجارة فأصبح من كبار تجار المسلمين في المدينة.

حقا لقد كانت خطوة الأخوة من الخطوات الحكيمة والرائدة لبناء مجتمع سعيدٍ ، يترابط فيه الناس ويتناصحون ويبذلون من أنفسهم ؛ مما ساهم في حل الكثير من المشاكل التي يمكن أن تعصف بالمجتمع ، ومنع كل من يسعى في خلخلة المجتمع الجديد .

هذا ما يتعلق بالمسلمين ، لكن ثمة فئة أخرى في المدينة غير مسلمين ، فماذا عمل الرسول ﷺ معهم ؟

أقرب الناس للمسلمين في المدينة هم ا اليهود وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، لكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله ﷺ معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام. وفيما يلى أهم بنود هذه المعاهدة:

إن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك . وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. وإن النصر للمظلوم. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

---

[١٢٤] سورة الأنفال آية ٧٥

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة لها احترامها وسيادتها ، عاصمتها المدينة ، قائدها رسول الله ﷺ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ، ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي ﷺ قبائل أخرى في المستقبل بمثل هذه المعاهدة، حسب ما اقتضته الظروف. وبقيت فئة ثالثة لم تظهر إلا في المدينة ألا وهي فئة المنافقين (وهم مَن يُظهِرون الإيمان ويُبطِنون الكفر) ، فكان من حكمة النبي ﷺ أن يتعامل معهم بما يظهرون ويترك سرائرهم لله وحده ﷻ. وهكذا كانت الخطوات الثلاث كفيلة ببناء مجتمع مترابط متعاون ، يعرف كل منهم ماله وما عليه ، ويسعى في توظيف طاقاتهم ؛ لخدمة الدين الجديد والمساهمة في بناء الدولة الجديدة ، كما ساهمت في توضيح علاقات المسلمين بغيرهم وبمن حولهم بناءاً على الاحترام والتقدير لكلا الطرفين .

أما قريش فقد أغضبها ما حصل للرسول ﷺ وما هيأ الله له من أسباب النصر والتمكين ، فسعت في محاربة الرسول ﷺ بطرق جديدة فبعد مصادرة أموال أصحابه المهاجرين والاستيلاء على دورهم في مكة قرروا اغتيال الرسول ﷺ ولم يكن هذا مجرد وهم أو خيال، فقد تأكد لدى رسول الله ﷺ من مكائد قريش ما جعله يضع حراسة عليه حتى نزل قوله تعالى : "**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**"[١٢٥] ، فقال ﷺ: (يا أيها الناس، انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل). ولم يكن الخطر مقتصراً على رسول الله ﷺ، بل كان يحدق بالمسلمين كافة، فقد كان المسلمون لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فكان المسلمون يأتون للرسول ﷺ ويستأذنوه في قتال الكفار والمعتدين فيقول : لم يُأذن لي بعد حتى أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين ولم يفرضه عليهم، قال تعالى: " **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**"[١٢٦] ، وأنزل معه آيات بين لهم فيها أن هذا الإذن إنما هو لإزاحة الباطل وإقامة شعائر الله، قال تعالى:" **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** "[١٢٧]

[١٢٥] سورة المائدة آية ٦٧

[١٢٦] سورة الحج آية ٣٩

[١٢٧] سورة الحج آية ٤١

ولما نزل الإذن بالقتال كان من الطبيعي أن تكون البداية في قتال (قريش) كفار مكة ، ولا يعني هذا بالضرورة مقاتلهم في مكة أو في المدينة ولكنه يعني السماح بقتالهم بأي أسلوب ، فاختار الرسول الكريم ﷺ أن يعترض قوافل قريش في الطريق والاستيلاء ، عليها نظراً للظلم الذي تعرض له الصحابة الكرام ، ونهب قريش لأموالهم لرد جزءٍ من تلك الأموال .

فقرر الرسول الكريم ﷺ السيطرة على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجارتها، واختار لذلك خطتين:

الأولى: عقد معاهدات الحلف أو عدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق، أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة.

الثانية: إرسال البعوث بشكل مستمر إلى هذا الطريق.

في صفر سنة ٢ هـ، الموافق أغسطس سنة ٦٢٣م، خرج رسول الله ﷺ بنفسه في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة يعترض عيراً لقريش، فكانت هذه أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

فكيف ستسير الأمور؟ وماذا سيفعل الكفار؟ وكيف ستكون المواجهة؟.

الفصل السادس : الغزوات النبوية

بعد نشأة الدولة الإسلامية وتكوينها لابد من مرحلة جديدة في المواجهة ،لقد كانت الفترة الماضية فترة بناء وتحصين وتثبيت العقيدة السليمة في نفوس الصحابة ، تمهيداً للمهمة الكبرى في إنقاذ البشرية من ظلمات الكفر، فلا بد أن تكون البداية في صناعة الإنسان المسلم وغرس الإيمان في قلبه ، ليكون نموذجاً يُحتذي به .

ثم جاءت مرحلة المواجهة والقتال ورد الظلم والتي بدأت من :

١. غزوة بدر :

علم الرسول الكريم ﷺ بخروج قافلة كبيرة لقريش بقيادة أبي سفيان ، تحمل ثروات طائلة لكبار أهل مكة ورؤسائها: ألف بعير مملوءة بأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي. ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلا، فقال لصحابته :" هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها". أي تصيبوا منها .

واستعد رسول الله ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، عندها علمت قريش بخروج الرسول الكريم ﷺ لاعتراض قافلتها فقررت المواجهة والقتال فاستعدت بنحو ألف وثلاثمائة مقاتل.

علم أبو سفيان بخروج النبي ﷺ فغير طريق القافلة فنجت ، وأخبر قريشاً بذلك وحثهم على العودة ولكنهم رفضوا وأصروا على القتال والقضاء على الرسول الكريم ﷺ، وهنا وقف الرسول الكريم ليستشير صحابته في القتال حيث أنهم خرجوا للقافلة وليس لمقاتلة جيشٍ كبير ، فأجمعوا على القتال والجهاد في سبيل الله عندها انطلق الجيش الإسلامي للمواجهة .

وفي بدر (مكان يبعد عن المدينة حوالي ١٠٠ كم غرب المدينة) التقى الجيشان واستعد كل منهما للقتال ،فعبأ رسول الله ﷺ جيشه. ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: (هذا

مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله). ثم بات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع شجرة هنالك وكان ذلك ليلة الجمعة، السابع عشرة من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وفي صباح ذلك اليوم بدأت المعركة الأولى بين المسلمين وكفار قريش وأوحى الله إلى ملائكته: " **أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ**" [١٢٨] ، وأوحى إلى رسوله: " **أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ**"[١٢٩] – أي إنهم ردف لكم، أو يردف بعضهم بعضًا أرسالاً، لا يأتون دفعة واحدة. ونصر الله المؤمنين نصراً عظيما.

ولئن كانت بدر سبباً في فرح المسلمين ، فقد كانت سبباً في حزن الكافرين والمنافقين وكذلك اليهود الذين كانوا يطمحون للتخلص من المسلمين والقضاء على الدعوة الجديدة ، لذا حاول بعض فئات اليهود التعرض للمسلمين والنيل منهم والتحرش بنسائهم (أي إنهم نقضوا العهد) فما كان من الرسول الكريم إلا أن حاصرهم ثم أبعد بعضهم عن المدينة.

ثم تتابعت الغزوات والحروب بين الرسول الكريم وقريش ، فجاءت غزوة أحد في شوال من سنة ٣ هـ وانكسر فيها المسلمون واستشهد منهم ٧٠ رجلاً منهم حمزة عم الرسول الكريم ﷺ ، وبعد غزوة أحد تجرأ بعض قبائل اليهود في إظهار حقدهم ووصل الأمر إلى موقف غريب :

فقد خرج ﷺ إليهم في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه ببعض المال – وكان ذلك واجباً عليهم حسب بنود المعاهدة – فقالوا : نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلى وطائفة من أصحابه. وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وتآمروا بقتله ﷺ، وقالوا : أيكم يأخذ هذه الرحى (حصى كبيرة)، ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟... فقال

---

[١٢٨] سورة الأنفال آية ١٢

[١٢٩] سورة الأنفال آية ٩

أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سَلاَّم بن مِشْكَم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم ، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله ﷺ يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما هَمَّتْ به يهود، وما لبث رسول الله ﷺ أن بعث إلى اليهود يقول لهم : (اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه). فرفضوا فحاصرهم الرسول الكريم ثم أبعدهم عن المدينة وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة ، وكان بين تلك الغزوات سرايا يبعثها الرسول الكريم إلى بعض القبائل القريبة من المدينة من أجل توطين الأمن والاستقرار .

إن الانشغال بالغزوات والقتال لا يعني أبداً توقف بناء الإنسان وتقوية الإيمان وترسيخه في القلوب فقد كانت الآيات القرآنية التربوية تنزل والأحاديث والمواقف النبوية تتماشى معها ، بالإضافة إلى تشريعات تضمن تحقيق السعادة للناس ، بل إن الحروب والغزوات كانت ميداناً تربوياً خصباً لتعليم المسلمين أحكام الجهاد وتطبيقه عملياً . واستمر الحال على ذلك حتى سنة ٥ هـ ، حيث خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة، يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ، ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش،ثم خرجوا إلى غطفان (قبيلة كثيرة العدد) ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب له من استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين، فقد قدم المدينة لغزوها حوالي عشرة آلآف مقاتل من مختلف المناطق وكان قائدهم أبي سفيان .ولما علم الرسول ﷺ بذلك سارع إلى التشاور مع أصحابه في خطة الدفاع عن المدينة، فقال سلمان الفارسيرضي الله عنه : يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدَقْنَا (حفرة كبيرة) حول مساكننا. وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك. فوافقوا على هذا الرأي وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة وحفر خندقاً حول المدينة

وشارك معهم الرسول الكريم ﷺ فقد قال البراء بن عازب : رأيته ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى واري عني الغبار جلدة بطنه أي لا يستطيع رؤية جلد بطنه ﷺ من أثر التراب عليه .

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها، فالتجأوا إلى فرض الحصار على المسلمين، وقالوا : مكيدة ما عرفتها العرب. ثم حاولوا اقتحام الخندق لكنهم لم يستطيعوا فاستمروا في حصار المدينة ، وفي هذه الأثناء نقض من بقي من اليهود العهد مع الرسول ﷺ ،فاشتد الأمر على أهل المدينة حتى وصف الله هذا الموقف في كتابه بقوله "...**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**"[١٣٠]، وكان الرسول ﷺ وصحابته يكثرون من دعاء الله وطلب النصرة منه، فأجاب الله دعاءهم ونصرهم ، ففرق شمل أعدائهم وأرسل عليهم ريحاً شديدة باردة فرقتهم وأقتلعت خيامهم ، فقرروا الانسحاب والعودة إلى الديار وترك المدينة.

وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله إلى المدينة من تلك الغزوة ، جاءه جبريل فأمره بالخروج إلى اليهود الذين نقضوا العهد أثناء غزوة الأحزاب ، فتحرك الرسول الكريم ﷺ ومعه صحابته نحو آخر مجموعة من اليهود في المدينة المتحصنين في ديارهم ، فحاصرهم حتى استسلموا ونزلوا على حكم الرسول ﷺ .لقد كانت غزوة الأحزاب هي آخر غزوة تغزوها قريش ضد الرسول الكريم ﷺ .

وتطورت الظروف في الجزيرة العربية إلى حد كبير لصالح المسلمين، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام(مكة)، الذي كان قد صدهم عنه المشركون منذ ستة أعوام ، حيث رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو بالمدينة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلَّق بعضهم وقصَّر بعضهم، فأخبر بذلك

[١٣٠] سورة الأحزاب آية ١٠

أصحابه ففرحوا ، وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر.وفي يوم الاثنين ١ من شهر ١١ من السنة ٦ هـ خرج الرسول ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة لأداء العمرة ومعه ١٥٠٠ من صحابته بلا سلاح إلا سلاح المسافر. وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان في مكان يسمى الحديبية،علمت قريش بذلك فعزموا على منع الرسول ﷺ من دخول مكة بأي ثمن فاستعدوا للمواجهة ،ثم تدخل الوسطاء من العرب بين الرسول ﷺ وقريش ، وبدأت الرسل من قريش تأتي إلى الرسول ﷺ من أجل التفاوض وعقد الصلح ، وبعد عدة لقاءات وافق الطرفان على عقد صلح بين الطرفين كان من أهم بنوده :

- ✓ أن الرسول ﷺ يرجع من عامه، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها.
- ✓ وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.
- ✓ من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه – أي هارباً منهم – رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد – أي هارباً منه – لم يرد عليه.

فحزن المسلمون لذلك الصلح حيث أنهم لن يعتمروا ، كما أن فيه إشارة ضعف وخاصة البند الأخير ، لكن الرسول ﷺ المؤيد بالوحي طمأنهم وقال لمن حاوره :(إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري ولن يضيعني أبداً).وفي طريق عودة المسلمين إلى المدينة نزل قوله تعالى : " **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**"[١٣١] **سورة الفتح**"[١]

فكيف سيكون هذا الصلح فتحا عظيماً وكيف ستتعامل قريش مع هذا الفتح ؟

---

١٣١ سورة الفتح آية ١

الفصل السابع: النهاية

نحن الآن في بداية السنة السابعة من الهجرة ، كانت المدينة مستقرة داخلياً حيث أن اليهود جميعاً خرجوا منها ، كما أن العدو الخارجي الأول والأخطر عقد صلحاً مع المدينة فلا حرب ولا اعتداء .

وهذا كان أفضل وضع للدعوة وانتشارها بين الناس ليس في الجزيرة العربية فقط بل وحتى خارج الجزيرة ، وهذا ما فعله الرسول الحكيم ﷺ فبالإضافة إلى الدعوة بين القبائل العربية فقد أرسل الرسول الكريم ﷺ إلى الملوك في ذلك الزمان مثل النجاشي ملك الحبشة وهرقل قيصر الروم ، وكسرى ملك فارس ، والمقوقس ملك مصر وغيرهم .

و لا يعني نهاية السرايا والبعوث فلم يزل في جزيرة العرب بعض القبائل المعادية للدعوة والتي لابد من أخذ الحيطة منها ، لذا بعث ﷺ مجموعة من السرايا لمناطق مختلفة لم يحصل فيها قتال كثير .

خروج اليهود من المدينة لم يكن يعني خروجهم من الجزيرة ، فهم لا يزالون في منطقة خيبر المحصنة والتي تبعد عن المدينة حوالي ١٠٠ كم وكانت منطلقاً لتخطيط اليهود وتدبير مكائدهم ضد المسلمين ، فقرر الرسول الكريم ﷺ أن يغزو خيبر ويفتحها ، فتجهز وأخبر أصحابه بذلك فخرجوا جميعاً في بداية العام السابع من الهجرة .

كانت خيبر مدينة ذات حصون قوية وكثيرة (ثمانية حصون متداخلة) مما جعل مهمة الرسول ﷺ صعبة في البداية ، فحاصرهم وقاتلهم وهم ينتقلون من حصن إلى حصن واشتدت المعركة ، وبعد أكثر من شهر فتح الله على رسوله ﷺ خيبر وحصل منها على غنائم كثيرة ووفيرة ، وخرج اليهود بعدها من جزيرة العرب بشكل نهائي .

واستمرت البعوث والسرايا النبوية لدعوة قبائل نجد وما حولها حتى جاء وقت عمرة القضاء على حسب الاتفاق بين الرسول الكريم ﷺ وقريش ، فخرج ﷺ إلى مكة وأدَّى العمرة ثم عاد إلى المدينة المنورة ، واستمر في نشر الدعوة وتعليم الناس والقرآن ينزل بالتشريعات والتنظيمات للمجتمع الإسلامي حتى جاءت سنة ٨ من الهجرة وفيها حدث أمر عظيم :

فلقد كان الصلح بين الرسول وقريش يقتضي أن لا يعين أي من الطرفين على حرب المحالفين للطرف الآخر ، لكن قريشاً نقضت العهد وأعانت بعض العرب على المحالفين للرسول الكريم ﷺ ، ووصل الخبر إلى الرسول فتجهز وأعد الجيش للزحف على مكة ومباغتة أهلها ، ولما كان الجيش الإسلامي على مشارف مكة علمت قريشاً بالأمر وأيقنت أنه لا قِبَل لها بمقاتلة الجيش الإسلامي فأعلنت استسلامها .

وفي يوم ١٧ رمضان عام ٨ من الهجرة دخل رسول الله ﷺ مكة، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول:"**جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**"[١٣٢] ، " **قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**" [١٣٣] ، والأصنام تتساقط على وجوهها ، ثم صلى بالكعبة وخاطب قريشاً قائلاً: (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟) قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: (فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: "لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ" اذهبوا فأنتم الطلقاء)، هكذا هي النفوس الكبيرة تعفو حين تقدر ، فمع كل ما عملته قريشاً من قتل وتعذيب ومقاتلة والسعي في الصد عن دين الله

[١٣٢] سورة الإسراء آية ٨١

[١٣٣] سورة سبأ آية ٤٩

يقول " لا تثريب عليكم " وانتم " الطلقاء " فلاإله إلا الله ما أعظمه من رسول وما أرحمه وصدق الله فيه " **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** "[١٣٤] .

وهكذا عادت مكة إلى حاضرة الإسلام وإلى الدين الحق ، وكان فتح مكة هو أعظم فتح حصل عليه المسلمون في هذه الأعوام، تغير لأجله مجرى الأيام، وتحول به جو العرب، فقد كان الفتح حداً فاصلاً بين السابقة عليه وبين ما بعده، فإن قريشاً كانت في نظر العرب حماة الدين وأنصاره، والعرب في ذلك تبع لهم، فخضوع قريش يعتبر القضاء الأخير على الدين الوثني في جزيرة العرب، لكن هذا لا يعني القضاء النهائي على كل المعاندين بل بقي فئة قليلة استطاع الرسول ﷺ القضاء عليهم ، وكان من أشدها غزوة حنين والتي كانت آخر الغزوات الكبيرة للرسول قبل عودته إلى المدينة ظافراً بفتح مكة .

ومع الانتصار النبوي على قريش بدأت وفود القبائل في الجزيرة العربية تأتي إلى المدينة وتعلن إسلامها أمام الرسول الكريم حتى سمي عام ٩ هـ بعام الوفود وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً و تضاعف عدد المسلمين حتى أن الجيش الإسلامي الذي كان قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح (٨ هـ) يصبح أكثر من مئة ألف في حجة الوداع (١٠ هـ) .

لقد تمت الدعوة وتكامل بناء المجتمع الإسلامي ، وأصبح الإسلام هو الدين الأقوى في جزيرة العرب ، وأصبحت مكة تحت السيطرة الإسلامية وما يتم فيها إلا ما يوافق الشريعة ، ومن أجل إتمام الرسالة وتحقيق الهدف المنشود فقد قرر الرسول الكريم الحج في عام(١٠) من الهجرة فأعلم الناس وانتشر الخبر ، فتوافد الناس من كل مكان إلى المدينة من أجل شرف مصاحبة النبي الكريم ﷺ في رحلة الحج.

---

[١٣٤] سورة الأنبياء آية١٠٧

وفي شهر ذو القعدة من عام ١٠ هـ خرج الموكب الكريم متوجهاً إلى مكة لأداء مناسك الحج اقتداءاً بالرسول الكريم ﷺ ، ووصل إلى مكة وفي يوم عرفة (٩ ذي الحجة) خطب الرسول الكريم خطبته العظيمة ومما جاء فيها : "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب اللّه، أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا أولات أمركم، تدخلوا جنة ربكم ، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد" ثلاث مرات.

وبعد أن فرغ النبي ﷺمن إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى:" **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**" [١٣٥].

لقد كَمُلَ الدين واكتملت الرسالة وتحقق الهدف من بعثة الرسول الكريم ﷺ، وهذا كله إشارة إلى قرب وفاة الرسول الكريم ﷺ ، فبعد أن رجع الرسول الكريم ﷺمن الحج واستقر في المدينة بدأت مقدمات النهاية .

في شهر صفر سنة١١هـ – وكان يوم الاثنين – شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، وارتفعت حرارته ، وقبل خمسة أيام من وفاته فدخل المسجد متعطفاً ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة حتى جلس على المنبر ، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال:" أيها الناس، إليَّ "، فثابوا إليه، فكان مما قاله : " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ، وعرض نفسه

---

١٣٥ سورة المائدة آية ٣٢

للقصاص قائلاً: (من كنت جلدت له ظَهْرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عِرْضاً فهذا عرضي فليستقد منه).

وجاء اليوم الأخير فبينما المسلمون في صلاة الفجر ليوم الاثنين - وأبو بكر يصلي بهم – كشف الرسول ﷺ ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، ولما ارتفع الضحى، دعا النبي ﷺ فاطمة فسَارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشيء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك - أي فيما بعد - فقالت: ساريَّ النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم ساريني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

وبدأ الاحتضار بسيد البشر، فجعل يُدخِل يديه في الماء فيمسح به وجهه، يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات" ، حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم، الرفيق الأعلى).

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تم له ﷺ ثلاث وستون عاماً وزادت أربعة أيام.

وهكذا أُسدل الستار على أعظم إنسان وأفضل من خلق الله من الإنس والجان ، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده .

اسأل الله أن يحشرنا في زمرته وأن يرزقنا شفاعته وإتباع سنته ،

الباب الرابع

دستور الإسلام

إن أهم ما يميز الإسلام هو أنه منهج رباني ودستوره دستور رباني وبالتالي لا يعتريه ما يعتري المناهج البشرية من القصور والنقص والخلل .

ذلك الدستور هو القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي رسم للإنسان حياته في جميع جوانبها، فبين له كيف يتعامل مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين بل وكيف يتعامل مع الكون كله ، كما وضع التشريعات اللازمة لضمان حياة سعيدة للناس أجمعين فلم يترك شيئاً يحتاجه العبد في حياته الدنيا والآخرة إلا ووضع له أسسه وبين له طريقته ، فهو الذي يهدي إلى الطريق الأفضل في كل شيء "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** " [١٣٦].

إن قوة أي منهج تكمن في خصائصه وما يتمتع به من مميزات تجعله يتفوق على بقية المناهج ، ومن بين تلك الخصائص ما يلي :

١. إنه كتاب منزل من عند الله "**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ** "[١٣٧] ، فالذي انزله العليم وهو أعلم بمن خلق وبما يناسب هذه المخلوقات ، كما أنه خبير بما كان وما يكون وما سيكون على مدار التاريخ والمستقبل .
٢. أنه مبارك "**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** "[١٣٨] فهو مبارك أي كثير البركة والخير في كل وجه.
٣. أنه محفوظ بحفظ الله له كما ذكرنا سابقاً، وهذا يعني سلامة المنهج على مدار التاريخ البشري ، إنه الحفظ الرباني للقرآن الكريم كما قال تعالى عنه "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** "[١٣٩] فهو الدستور الدائم والمنهج الخالد للبشرية أجمعين ، لذا تكفل الله بحفظه فلا لا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا باطل " **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**

---

[١٣٦] سورة الإسراء آية ٩
[١٣٧] سورة ص آية ٢٩
[١٣٨] سورة الأنعام آية ٩٢
[١٣٩] سورة الحجر آية ٩

(٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "[١٤٠]

وإليك القصة التالية :

كان للمأمون – وهو أمير إذ ذاك – مجلس ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما انتهى المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعده. فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما انتهى المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتب نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتُرِيت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الورّاقين فتصفحوها، فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

٤. أنه يحوي كل ما يمكن أن يحتاجه الإنسان في حياته العامة والخاصة قال تعالى :" **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** "[١٤١] .

تلك هي أهم خصائص المنهج القرآني ، المنهج الذي تحدى الله البشر جميعاً أن يأتوا بمثله فقال " **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**"[١٤٢]، كما أن هذا التحدي لا يزال قائماً بل أعلن القرآن الكريم عجز

[١٤٠] سورة فصلت آية ٩١ ـ ٩٢

[١٤١] سورة الأنعام آية ٣٨

[١٤٢] سورة الإسراء آية ٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البشر عن الإتيان ولو بسورة فقال: "**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** " [١٤٣] فهلا عرفنا حق هذا الكتاب والتزمنا به .

فما فضل قراءة القرآن والعمل به ؟ وما آداب تلاوته ؟

القرآن الكريم هو : كلام الله العظيم وصراطه المستقيم، وهو أساس رسالة التوحيد، وحجة الرسول ﷺ الدامغة وآيته الكبرى، وهو المصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، وهو الرحمة المهداة للناس، والنور المبين للأمة، كما قال تعالى:" **الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** "[١٤٤] من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أعرض عنه وطلب الهدى في غيره أضله الله .

وتلاوة كتاب الله من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وهو التجارة الرابحة التي لن تبور قال تعالى: " **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور**"[١٤٥] ، كما أن في قراءته الأجر الكبير فقد قال ﷺ :" من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: "ألم" حرف، ولكن "ألف" حرف، و"لام" حرف، و"ميم" حرف " ،وأشار ﷺ إلى منزلة من يكون ماهراً في القرآن بقوله: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " والسفرة الكرام البررة هم الملائكة الكرام ، وإليك بشرى نبوية أخرى : (يقال لصاحب القرآن

---

١٤٣ سورة البقرة آية ٢٣ ـ ٢٤

١٤٤ سورة إبراهيم آية ١

١٤٥ سورة فاطر آية ٢٩

: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها) فكلما كانت القراءة في الدنيا أكثر كانت المنزلة في الجنة أعلى، فالحمد لله

ثم إن هناك درجة أعلى من القراءة فقط ألا وهي تعلمه ، فقد قالﷺ : " تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه" ، ومن شفع له القرآن فلابد أن يكون من الناجين ، بل إن من يتعلم القرآن ويعلمه هو خير الناس فلئن كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** "[١٤٦]) فإن أخير هذه الأمة هو كما قال المصطفى ﷺ: "خيركم مَن تَعلمَ القرآن وعلَّمه" فحصل من الآية والحديث أن أخير الناس أجمعين هو مَن تَعلم القرآن وعلَّمه ، لذا جاء الحث على الاجتماع لتعلم القرآن ففي الحديث عن الحبيب ﷺ :"ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده" **فهذه** أربع ثمار :

١. نزلت عليهم السكينة (الاطمئنان).
٢. غشيتهم الرحمة أي غطتهم
٣. حفتهم الملائكة أي أحاطت بهم .
٤. ذكرهم الله فيمن عنده .

فلا إله إلا الله ما أعظمه من فضل وما أجلها من نعمة ، فالحمد لله .

أمَّا تدبر القرآن الكريم ففيه آيات وأحاديث كثيرة لا يمكننا حصرها وسنكتفي بالإشارة إلى أهمها :

- لقد أشار الله في كتابه أنه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر فقال :" **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو**

[١٤٦] سورة آل عمران آية ١١٠

الْأَلْبَابِ"[١٤٧] يقول الشيخ بن سعدي –رحمه الله – :(أي : هذه الحكمة من إنزاله ، ليتدبر الناس آياته ، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها . فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه ، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة ، تدرك بركته وخيره . وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن ، وأنه من أفضل الأعمال ، وأن القراءة المشتملة على التدبر ، أفضل من سرعة التلاوة ، التي لا يحصل بها هذا المقصود).

- التحذير والنهي عن الإعراض عن التدبر في القرآن الكريم قال تعالى:" **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ"**[١٤٨] يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : " يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، " وآية أخرى يقول تعالى:" **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"**[١٤٩] فكأن من لم يتدبر بالقرآن فقلبه عليه أقفال تمنعه من ذلك تمنع وصول الحق والخير له فيخسر السعادة والحرمان من الفوز في الدارين .

أما أهم آداب تلاوة القرآن الكريم فهي :

١. إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن من العبادات الجليلة كما سبق بيان فضلها، وقد قال الله تعالى: "**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء"**[١٥٠]،وقال النبي ﷺ: "اقرءوا القرآن وابتغوا فيه وجه الله عز وجل"**.**

[١٤٧] سورة ص آية ٢٩
[١٤٨] سورة النساء آية ٨٢
[١٤٩] سورة محمد آية ٢٤
[١٥٠] سورة البينة آية ٥

٢. أن يقرأ بقلب حاضر يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه، ويخشع عند ذلك قلبه، فيرتله ترتيلاً(يقرأه بتمهل) ويستحضر بأن الله يخاطبه في هذا القرآن لأن القرآن كلام الله عز وجل.

٣. أن يقرأ على طهارة لقوله تعالى:" **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** "[١٥١]ولأن هذا من تعظيم كلام الله عز وجل.

٤. أن لا يقرأ القرآن في الأماكن المستقذرة ، أو في مجمع لا يُنصت فيه لقراءته لأن قراءته في مثل ذلك إهانة له.

٥. أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة ، لقوله تعالى: "**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**"[١٥٢] ، ولئلا يصده الشيطان عن القراءة.

٦. أن يُحسِّن صوته بالقرآن ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "ما أذن الله لشيء (أي ما استمع لشيء) كما أذن لنبي حَسَنُ الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به".

تلك أهم آداب تلاوة القرآن الكريم ، على المسلم أن يحرص على تطبيقها والالتزام بها ليحصل له الأجر الوفير والعلم الغزير والدرجة العالية الرفيعة .

وللتعرف أكثر على هذا الدستور سنتحدث في الفصول القادمة عن بعض القضايا المهمة عن هذا الكتاب العزيز

[١٥١] سورة الواقعة آية ٧٩

[١٥٢] سورة النحل آية٩٨

الفصل الأول الإعجاز العلمي في القرآن

لقد أشرنا سابقاً إلى التحدي الرباني للبشر بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو بسورة واحدة ، فعجز البشر وسيعجزون وهذا يعني أن هذا القرآن معجزة خالدة مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة وغير محصورة ، ومن وجوه الإعجاز والتي ظهرت في الفترة الأخيرة الإعجاز العلمي أي وجوه وإشارات ذكرها القرآن الكريم قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ولم يثبتها البشر إلا في الوقت الحاضر ، ومن حكم ذلك – والله أعلم – ليوقن الناس أجمعين أن هذا الكتاب من عند الله رب العالمين .

ومن قصص الإعجاز العلمي :

- ✓ في نهاية الثمانينات من القرن العشرين ميلادي طلبت فرنسا من دولة (مصر) استضافة مومياء (فرعون مصر) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة .. حُملت المومياء، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياء واكتشاف أسرارها، وكان رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياء الفرعونية هو البروفيسور (موريس موكاي).كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياء، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس موكاي) مختلفاً للغاية ، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل ظهرت نتائج تحليله النهائي .. لقد كانت بقايا الملح العالق فيجسده أكبر دليل على أنه مات غريقاً ! وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورا، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه ! لكن ثمة أمراً غريباً مازال يحيره وهو كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها ؟ رغم

أنها استخرجت من البحر! كان (موريس موكاي) يعد تقريراً نهائياً عما كان يعتقده اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في إذنه قائلا لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء ، ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر واستغربه ، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة ، فقال له أحدهم إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق! فازداد ذهولاً وأخذ يتساءل: كيف يكون هذا ؟ وهذه المومياء لم تكتشف أصلا إلا في عام ١٨٩٨ ميلادية أي قبل مائتي عام تقريباً، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام! وكيف يستقيم في العقل هذا والبشرية جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم الا قبل عقود قليلة من الزمان فقط!؟ جلس (موريس موكاي) ليلته محدقا بجثمان فرعون ، يفكر بإمعان عما همس به صاحبه له من أن قرآن المسلمين يتحدث عن نجاة هذه الجثة بعد الغرق .. بينما كتابهم المقدس(إنجيل متى ولوقا) يتحدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا موسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه البتة ..وأخذ يقول في نفسه : هل يعقل أن يكون هذا المحنط أمامي هو فرعون مصر الذي كان يطارد موسى!؟ وهل يعقل أن يعرف محمدهم هذا قبل أكثر من ألف عام وأنا للتو أعرفه!؟ لم يستطع (موريس) أن ينام ، وطلب أن يأتوا له بالإنجيل، فأخذ يقرأ في (سفر الخروج) من الإنجيل قوله " فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد" .. وبقي موريس موكاي حائراً، فحتى الإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة! وبعد أن تمت معالجة جثمان فرعون وترميمه، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق بمقام فرعون! ولكن (موريس) لم يهنأ له قرار ولم يهدأ له بال ، منذ أن هزه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة! فحزم أمتعته وقرر أن

يسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين وهناك كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق ، فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى : " **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** "[١٥٣] ورجت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته (لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن) ..!

- ✓ في عام (١٢٨٤هـ ١٨٧٣م) خرجت البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة (تشالنجر) فعرف الإنسان أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية، ولقد كانت هذه الأسرار ثمرة رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام وهي تجوب في جميع بحار العالم. ولأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلمية في عام (١٣٦١هـ-١٩٤٢م)، فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار والتي استمرت لسنوات عديدة أن المناطق اللقاء بين الأنهار والبحار (مناطق المصبات) تكون المياه فيها في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب، ويفصل بينهما ماء المصب الذي يعتبر حجراً على الكائنات الحية الخاصة بالبحار والأنهار، وأن ماء المصب محاط ببرزخ مائي يفصل بين البحر والنهر. وذلك ما قرره القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام على لسان نبي أمي عاش في أرض صحراوية ليس فيها نهر ولا مصب، قال تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**"[١٥٤] .

---

[١٥٣] سورة يونس آية ٩٢

[١٥٤] سورة الفرقان آية ٥٣

✓ وآخر الإعجازات التي سنتحدث عنها هي في قوله تعالى :(**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**"[١٥٥] فلماذا خص تغيير الجلد ؟

الجلد هو أكبر عضو في جسم الإنسان، إذ تبلغ مساحته ٢ م٢ ، وتنمو خلايا الجلد وتموت وتستبدل نفسها باستمرار، وقد بين علم التشريح أن الجلد ليس كما كان الناس يتصورونه بأن جسم الإنسان حساس كله للألم بل الحقيقة هي كما يقول الدكتور خالص جلبي : (إن انتشار الأعصاب تحت الجلد شيء لا يكاد يصدق، وتنتهي الألياف العصبية بجسيمات خاصة يختص كل نوع منها بنقل حس معين، فهناك جسميات تنقل الحر، وأخرى تنقل البرد، وثالثة للمس والضغط، ورابعة للحس و الألم، وخامسة تختص بنقل الحس العضلي أو ما يسمى بالحس العميق ، وهكذا تتنوع الإحساسات وتتباين. وهذا ما أثبته العلم الحديث، حيث توصل العلماء المجتمعون في المؤتمر الذي عقد بمدينة نيويورك، والذي كان الهدف منه إظهار ما تفعله خلايا البشرة وكيف تعمل؟ فكانت النتائج : أنه عندما يصاب المرء بحروق شديدة، فإن بعض وظائف الجلد البيولوجية والكيمائية تتوقف أو تتعطل، وقد يكون توقفها أخطر من فقد الجلد نفسه، ومن نتائج ذلك أن ينعدم إحساس الإنسان بالحرارة أو أي مؤثر آخر .

هكذا هو الأسلوب الرباني فلا يكفي أن يدخل الكافرين النار فقط بل لابد من أن يستمر عذابهم في النار – والعياذ بالله – بلا نهاية فكلما نضجت جلودهم وماتت الإحساس بالنار بدل الله جلودهم ليتجدد لهم العذاب خالدين مخلدين .

[١٥٥] سورة النساء آية٥٦

تلك بعض المعجزات ولا يزال المجال مفتوحاً للعالم ليتعرف على أسرار القرآن العلمية كما قال تعالى:" **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"[١٥٦].

وقبل ختام تلك الأسطر لابد من التنبيه أنه عند الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن لابد أن تكون الآية واضحة في الاستدلال والحقيقة العلمية مؤكدة وليست طور الدراسة والتجريب حتى لا يلتبس الأمر فتتغير النظرية العلمية بعد الدراسة فتكون ميداناً للطعن في القرآن .

١٥٦ سورة فصلت آية ٥٣

الفصل الثاني: تفسير أعظم سورة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)الفاتحة: ١ – ٧

قد يكون من السهل على الإنسان أن يفسر كلام غيره من البشر ، ولكن من الصعب جداً أن يفسر كلام رب البشر ، والموضوع يكون صعباص حين يكون الكلام حول أعظم ما أنزله الله على البشر ، تلك هي سورة الفاتحة التي قال عنها الرسول ﷺ : " ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها " وقال أيضاً إنها أعظم سور القرآن ، بل ثبت أنه حين أنزلت هذه السورة فتح باب من السماء لم يفتح من قبل ، كما أنها السورة الوحيدة التي يجب قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة ولا تصح الصلاة بغيرها لقول الرسول ﷺ : " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج " وأم القرآن هي الفاتحة وخداج يعني ناقصة .

القرآن يحوي ١١٤ سورة ويتكون من أكثر من ٦٠٠ صفحة ، ومع ذلك فإن هذه السورة التي لم تتجاوز الأربعة أسطر حصلت على تلك المنزلة العظيمة فما هو السر يا ترى؟ ، وما هي الحكمة من ذلك ؟.

إننا بلا شك **لا يمكن** أن نحيط بحكم الرب سبحانه ولكننا نستطيع أن نجتهد في معرفة الحكم وهي قابلة للزيادة ، فنحن قد نعرف بعض الحكم ولكننا بلا شك لا نستطيع أن ندرك كل الحكم ، فمن الحكم – والله أعلم– :

١ / أنها تتحدث عن الرب سبحانه وما يستحقه في إيجاز لا يوجد في غيرها: فـ " رب العالمين " إشارة إلى الخالق الرازق والمتصرف بالعالمين وليس المسلمين ، فقط فهي دعوة لكل العالمين أن ربكم يرغب منكم الإيمان به ، " الرحمن الرحيم " إشارة إلى أسماء الله وصفاته وما يستحقه من الصفات التي منها الرحمة لكل العالمين ، " إياك نعبد وإياك نستعين " فالذي خلق ورزق هو الذي يستحق أن تصرف له العبادة لا لغيره .

٢ / تخبر الإنسان بما يجب عليه نحو خالقه من العبادة والاستعانة به وحده ، ولما كان العبد فقيراً ضعيفاً قد يعتريه من المصائب ما يعيقه عن الطريق المستقيم فهو يسال القادر على كل شيء أن يهديه إلى صراطه المستقيم.

٣ / فيها إشارة إلى يوم القيامة"مالك يوم الدين" هذا الإيمان الذي يجعل العبد يتقبل الحوادث والهموم والمشاكل في الدنيا بصدر رحب ، كما يدفعه إلى العمل الصالح للحصول على ما عند الله في ذلك اليوم .

٤ / فيها إشارة إلى تذلل العبد بين يدي ربه لكي يجنبه طريق الجاهلين وطريق العالمين غير العاملين ، و يرزقه طريق العالمين العاملين .

والآن إلى تفسير السورة :

١ . " **بسم الله** " : أي أبتدأ باسم الله ، الله العظيم الحليم الرحيم ، وهكذا يجب أن نكون في كل شأن من حياتنا ، وفي العمل و الأكل والشرب والسفر و... البدء باسم الله .

" **الرحمن الرحيم** ": اسمان لله سبحانه يدلان على سعت رحمة الله التي وسعة كل شيء من الإنس والجن والحيوانات وجميع الكائنات .

٢ . " **الحمد لله رب العالمين** " : الحمد هو الثناء على الله لكمال صفاته وأفعاله ، فله الحمد الكامل على كل شيء وعلى كل الأحوال فهو " رب العالمين " أي المربي لجميع خلقه – وكل ما سوى الله مخلوق – فهو خالقهم ورازقهم والمنعم عليهم ومرشدهم إلى مصالحهم ، بل ويرعاهم حتى مماتهم ثم حشرهم وحسابهم .

٣ . " **الرحمن الرحيم** ": تكرار مرة أخرى على صفة الرحمة وما ذاك إلا – والله أعلم – لإخبار العباد بسعة رحمة الله ﷻ وعدم اليأس والقنوط منه حتى لو ارتكبت أكبر الكبائر ، فربك رحيم فعد إليه ولا تتردد .

٤ . " **مالك يوم الدين** " : إنه يوم القيامة يوم الجزاء ، يوم الفوز أو الخسران يوم تظهر فيه حقائق الناس عموماً ويستوي فيه الغني والفقير والملك والحقير ، فالمالك الوحيد لذلك اليوم والمتصرف فيه هو الله ، فالكل خاضع له ولعظمته سبحانه ، خائفاً من عقابه راجياً ثوابه ، فهَلّا أخذت العدة لذلك اليوم .

٥ . "**إياك نعبد وإياك نستعين** " : الخالق هو الله والرازق هو الله والمتصرف هو الله ، ومالك يوم الدين هو الله فلابد أن يكون المعبود هو الله ، فنحن لا نعبد غير الله هكذا هي في " إياك " أنت فقط يا رب .

فالعبادة هي التي من أجلها خلقنا الله وأوجدنا في هذه الحياة الدنيا ، العبادة بمعناها الواسع الذي يشمل الصلاة والصيام .. كما يشمل المعاملات مع الناس ، و الأخلاق الحسنة كما يشمل المعاملات الاقتصادية ، فالعبادة تشمل الحياة كلها ، وما أجمل أن يكون ذلك كله لله وحده ، ولما كان هذا صعب على النفس أمرنا الله أن نطلب العون منه وحده لتحقيق ذلك الهدف النبيل فهو القادر على إعانتك على تحقيق العبادة له .

٦ . " **اهدنا الصراط المستقيم** " : الصراط المستقيم هو الطريق القويم ، طريق الحق الذي يرضي الرب ويسعد به العبد فيفوز في الدنيا والآخرة ، والهادي لذلك هو الله وحده ولذا فنحن نطلبه منه وحده .

٧ . "**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**": الناس ثلاثة أقسام :

١ / جاهل .

٢ / عالم غير عامل بما يعلم .

٣ / عالم عامل بما يعلم .

فالقسم الأول هم الضالون الذين لا يعرفون الطريق المستقيم وإن كان لديهم من العلم المادي الشيء الكثير ، والقسم الثاني وهم أشد ولهم عذاب شديد الذين علموا ولكنهم تعمدوا ترك العمل أو تعمدوا مخالفة ما علموا به من الحق فمالوا على التحريف والتزوير للحق ، وأما القسم الثالث فهم الذين انعم الله عليهم بنعمة العلم بالحق وبنعمة العمل بما علموا من الحق نسأل الله أن نكون منهم .

فنحن نسأل الله أن يرشدنا إلى طريق المنعم عليهم ويجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين .

وانظر إلى هذا الحديث العظيم الذي يبين علاقة العبد بربه أثناء قراءته لهذه السورة في الصلاة (حاول أن تتخيل نفسك في الصلاة) :

قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : " الحمد لله " قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال " الرحمن الرحيم " قال الله : أثنى عليّ عبدي ، فإذا قال : "مالك يوم الدين " قال الله : مجّدني عبدي فإذا قال : "إياك نعبد وإياك نستعين "

قال الله : هذا بيني وبين عبدي ،فإذا قال : " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

فهل نستشعر مثل هذا الموقف والكلام في صلاتنا ؟!

وأخيراً فقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى أن نطلب من الله أن يحقق لنا تلك الدعوات في نهاية قراءتنا لهذه السورة بأن نقول " آمين " والتي تعني اللهم استجب بعد كل مرة نقرأ فيها هذه السورة أو نسمعها من الإمام في الصلاة.

تلك أعظم سور القرآن ، ولكن ما أفضل آية في القرآن ؟

الفصل الثالث: تفسير أفضل آية وأقصر سورة

ما أجمل الحديث عن أعظم كتاب ، ويكون الجمال أكثر حينما يكون الحديث عن أفضل ما في هذا الكتاب ، و تكون روعة الجمال عند الحديث عن أفضل آية في ذلك الكتاب العزيز .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) البقرة: ٢٥٥

إذا كانت الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن من بين ١١٤ سورة فإن هذه الآية (آية الكرسي) أفضل آية من بين أكثر من ٦٠٠٠ آية في القرآن الكريم ، ولذا ورد في فضلها الشيء الكثير ومن ذلك :

١ / أنها أعظم آية في القرآن كما أخبر بذلك الرسول ﷺ .

٢ / أنها تحفظ العبد الذي يقرأها حين يذهب إلى فراشه للنوم الليل كله حتى يصبح كما أخبر بذلك الرسول ﷺ

٣ / قال الرسول ﷺ : " من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة فلا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت " فالحمد لله ثم الحمد لله قراءة آية الكرسي (أقل من دقيقة من الزمن) بعد كل صلاة مكتوبة – وفي كل يوم خمس صلوات مكتوبة –كافية بإذن الله لدخول العبد الجنة حين يموت العبد على ذلك.

وإليك تفسير هذه الآية العظيمة :

" **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** " : إنها القضية الكبرى التوحيد لله وحده والتي تتكرر كثيراً في القرآن الكريم ، وهي القضية التي يبني عليها العبد حياته في الدنيا ويجازى على ذلك في الآخرة ، " لا إله إلا هو " ومن صفات الله الواحد " الحي " الحياة المطلقة الذي لا يموت فالحياة الحقيقية والدائمة والمطلقة هي لله وحده ، فكل الكائنات تموت ولا يبقى إلا الله ومع هذه الحياة فهو " قيّوم " أي قائم بنفسه دون الحاجة لغيره وقائم على غيره ، وأما غيره فلا يقوم إلا به سبحانه فهو قيّم على غيره ، فغيره مفتقر إليه وهو غني عن خلقه، فالخالق والرازق والإله لا يحتاج إلى غيره .

" **لا تأخذه سنة ولا نوم** " ومن كماله أنه لا يتطرق إليه " السِّنة " وهي النعاس الذي يسبق النوم حتى ولو كان بسيطاً ومن باب أولى أن لا يأخذه " النوم " بل ولا ينبغي له أن ينام ، فهو المربي لخلقه المدبر لشؤونهم الراعي لمصالحهم ومعاشهم فأنَّى له أن ينام ولمن يترك الخلق .

" **له ما في السموات وما في الأرض** " الملك المطلق لكل ما في السموات والأرض من مخلوقات علمناها أم لم نعلمها ظاهرة أم باطنه لله وحده ، فالذي خلق يعلم ما خلق وهو الذي يحق له أن يتصرف ويملك ما خلق ، وبما أن كل ما سوى الله مخلوق فكل ما سوى الله ملك لخالقه وهو الله .

"**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** " ومن اكتمال الملك والتصرف أن لا يشفع أحد إلا بإذن الخالق ، بل حتى أفضل البشر وهم الرسل والأنبياء – عليهم السلام – لا يشفعون إلا بعد أن يأذن الله لهم بذلك ، وحتى الملائكة ، فالشفاعة كلها لله وحده .

" **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** " إنها الإحاطة الكاملة التامة لجميع الخلق ولجميع الأمور في الماضي والحاضر والمستقبل ، المخفي والظاهر ،

للإنس والجن بلا استثناء ، كما أنه لا يمكن للعباد أن يعلموا إلا بعد مشيئة الله بذلك والعلم بصفات الخلق وعلومه وأسمائه فهذا ليس للبشر طريق لمعرفته إلا بعلم الله لهم .

" **وسع كرسيه السموات والأرض** " يا لعظمة هذا الكرسي – وهو موضع قدمي الرب – يسع السموات والأرض على عظمتها وعظمة ما فيها ، والكرسي ليس هو أعظم المخلوقات بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش وهذا لا يعلم قدره إلا الله ، كم تحتار العقول وتقف الأفهام أمام عظمة هذه المخلوقات فكيف بخالقها سبحانه.

إن العبد ليقف أمام هذه الآيات وليس له إلا أن يسلم لخالقها ويتشرف فيكون عبدا لهذا الخالق.

" **ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** " : لا يثقله ولا يتعبه حفظ السموات والأرض على عظمتهما وعظمة ما فيهما ، فهو القوي القادر كما أنه العلي بذاته وقدرته على جميع مخلوقاته ، وهو العظيم الذي تتصاغر أمامه عظمة كل المخلوقات

وبعد هذا الاستعراض السريع لبعض معاني هذه الآية أعتقد لأخي القارئ الكريم أنك أدركت السر والحكمة في كونها أعظم آية في القرآن الكريم ، فهي بمفردها تمثل عقيدة المؤمن بربه ، وحقيقة عبوديته لهذا الخالق العلي العظيم .

تفسير اقصر سورة

أما أقصر سورة في القرآن الكريم فهي سورة الكوثر ، قال تعالى: "**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣)**"[١٥٧].

سورة الكوثر هي أقصر سور القران الكريم ، ومع ذلك فهي تمثل حقائق مهمة في حياة المؤمن ، فهي تمثل صورة من صور الأذى الذي تعرض إليه الرسول ﷺ – ويمكن أن يتعرض له كل مؤمن – كما أنها تمثل عناية الله ورعايته لعبده وللمؤمنين معه. وهي كذلك تمثل دفاع الله سبحانه عن عبده ورسوله . وهذا ليس خاص به . أمام كيد أعدائه مما يساعد المؤمن على الثبات على هذا الدين .وهي تعطينا حقيقة تكررت كثيراً في القران الكريم وهي: كيف ينبغي للعبد أن يتعامل مع نعم الله ؟ ." **إنا أعطيناك الكوثر**": و الكوثر هو: الخير الكثير ومن الخير الكثير ما يعطيه الله لرسوله ﷺ يوم القيامة نهر يقال له (الكوثر) طوله شهر ، وعرضه شهر ، ماءه أشد بياضاً من اللبن ، وطعمه أحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، من يشرب منه لا يظمأ بعده أبدا نسأل الله أن يرزقنا ذلك . " **فصل لربك وانحر**": هكذا تكون مقابلة النعم بالعمل الصالح مثل (الصلاة) و (الذبح) وأن تكون لله لا لغيره لأنه هو صاحب الفضل والنعم .

" **إن شانئك هو الأبتر**": أي أن مَن أبغضك وذَمَّك وانتقص منك هو الأبتر أي المقطوع من كل خير ، مقطوع العمل ومقطوع الذكر الحسن .وأما محمد ﷺ فهو المستمر ذكره ، والمستمر أجر عمله ، والمستمر أثره حتى تقوم الساعة .وقد رأينا ذلك وسمعناه فأين ذكر الرسول ﷺ من ذكر أعدائه ، ومن الذي استمر أثر عمله ، ومن الذي كثر أتباعه وأنصاره أليس هو الرسول ﷺ وهذا رد على ذاك الكافر الذي نزلت فيه هذه السورة . الذي كان إذا ذكر الرسول ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبتر – أي مقطوع – ليس له أولاد ذكور – فإذا هلك انقطع ذكره .

[١٥٧] سورة الكوثر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الرابع تفسير سورتي العصر والإخلاص

بعد الحديث عن أعظم سورة وأفضل آية وأقصر سورة ، سنتحدث عن سورة كلماتها قليلة لكنها تحمل معاني عظيمة لا يستغني عنها كل إنسان ، إنها سورة العصر

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) العصر: ١ – ٣

إن من أولويات المنهج الرباني ، بل الهدف الأسمى هو إسعاد الإنسان باعتباره كائن حي موجود على هذه الأرض .

ولا يعلم خفايا هذا الإنسان إلا خالقه،كما أنه لا يعلم خفايا هذا الكون إلا موجده ، فكما أن في الكون خفايا وأسرار فكذلك في الإنسان خفايا وأسرار .

وسعادة الإنسان لا تكون إلا بأمرين أثنين :

١ / إصلاح الفرد الذاتي .

٢ / تعاونه مع بقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه . وعلى مقدار تحقق هذين الركنين تكون السعادة ليس للإنسان فقط بل ولعموم الناس أجمعين وصلاح الفرد يكون بصلاح باطنه وظاهره أو الجوهر والمظهر ، فلا يكون صلاحه بأحدهما فقط فهو مخلوق من جسد ورح ولابد من التوازن بينهما لكي يحصل العبد على الراحة، ولعل ما تعانيه البشرية اليوم من أزمات نفسية ومشاكل اجتماعية ضخمة جداً – مع كل التقدم المادي– سببه هو عدم التوازن بين متطلبات الجسد والروح وطغيان أحدهما على الآخر ، فقد حققت الحضارة البشرية تقدماً كبيراً في المظاهر ولكنها نسيت الأهم وهو الجوهر أو متطلبات الروح، ومن هنا فإن البشرية ستظل تعاني من هذه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المشاكل ما لم تلتفت إلى المنهج الذي يحقق التوازن في الإنسان .وهذا ما تتحدث عنه هذه السورة القصيرة :

" **والعصر** " يقسم الله بالزمان الذي يعيش فيه الإنسان ويحقق فيه ما يريد وبه يحصل على السعادة أو العكس ، وحينما يقسم الله بشيء فهذا إشارة على أهمية ما سيذكر بعده .

" **إن الإنسان لفي خسر** " هكذا يخبرنا الخالق بحقيقة يحتاجها كل إنسان وهي : أن كل إنسان في خسارة، والخسارة هي فقدان رأس المال وأعظم ما يمكن أن يخسره الإنسان هو الخسارة الأخروية بعد الخسارة الدنيوية .

" **إلا** " تلك هي البشرى ، وهذا هو الاستثناء الرباني من الخسارة ، أي أن هناك فريقاً من الناس استطاع أن يفوز وأن يكسب ،هذا الفريق هو الذي حقق الصفات الأربع التالية :

١ / " **الذين آمنوا** " الإيمان الحق الإيمان الكامل ، الإيمان بأركانه الستة التي ذكرها الرسول حين سئل عن الإيمان فقال : الإيمان أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . إيمان يجعل مصدر التلقي والتوجيه واحد هو الله بلا تشتت ولا ضياع فالذي خلق ورزق وأعطى هو الذي يستحق أن يكون مصدر التلقي ، الإيمان الذي يحقق الاستقرار النفسي لأنه يجيب على أسئلة كبيرة وضخمة تدور في ذهن كل إنسان : من الذي خلقنا ؟ ولماذا ؟ من الذي يُسيّر الكون ؟ وكيف ؟ من الذي يرعى شؤون الناس ؟ لماذا التفاوت بين البشر غني وفقير ، ظالم ومظلوم ، قوي وضعيف ؟ هل هذا عدل ؟ هل هناك حياة أخرى ؟ ما مصيرنا بعد الموت ؟

٢ / " **وعملوا الصالحات** " وهذا إحدى ثمرات الإيمان في القلب ، فهو ليس مجرد نظريات تحفظ وتقال فقط بل ويتبعها عمل فهو الإيمان الذي يجعل صاحبه يعمل ، وليس أي عمل وإنما يعمل الصالحات ، وهي الأعمال التي ترضي الرب سبحانه وتحقق العبودية للعبد ، فهو إيمان عملي لجميع مناحي الحياة صلاة وصيام وصدقة .. مما يمثل العلاقة بين العبد وربه، كما أنه

أخلاق وسلوك للعبد مع أهل بيته بالشفقة عليهم والسعي في كسب الرزق لهم ، وهو أيضاً سلوك مع المجتمع في الصدق والوفاء بالعهد وحسن المعاملة .. بل حتى مع الحيوانات فهذا الرسول يخبرنا بأن الله قد غفر لبغي من البغايا بسب سقياها لكلب بعد أن أدركتها الشفقة عليه ورأت ما يعانيه من العطش ، وفي المقابل يعذب الله امرأة ويدخلها النار بسبب هرة حبستها فلم تطعمها ولم تتركها تآكل من الأرض .

٣ / " **وتواصوا بالحق** " وهذه تتعلق بصلاح المجتمع ، فالتواصي بين أفراد المجتمع أمر حتمي ولازم لكل مجتمع ينشد الفلاح والسعادة ، وخاصة حين يكون التواصي بالحق وهو فعل الطاعات وترك المنهيات ، فهو مجتمع يتواصى بالصلاة والصيام والصدقة والصدق والوفاء بالعهد وحسن التعامل وترك الشرك والمسكرات وشرب الخمور والزنا ..إلخ ، ولما كانت هذه صعبة على النفوس قال الله بعدها.

٤ / " **وتواصوا بالصبر** " الصبر على ما في هذه الحياة الدنيا من مصائب ونكبات ، والصبر على مقارعة المنكرات ومجاهدة الباطل والصبر على الأذى ، والصبر على الاستمرار في عمل الطاعات ، فهو ليس صابراً فقط بل يأمر أخاه بالصبر ويحثه عليه.

أرأيتم كم سيكون المجتمع في أطيب حياة ، وكيف ستصبح حياتهم ويحصلوا على السعادة والفلاح ، ومهما حاول البشر أن يحصلوا على السعاة بغير هذا الطريق فلن يصلوا ، فالخالق واحد والرازق واحد والطريق واحد . وبتلك الصفات استطاع المسلمون أن يصلوا إلى أقاصي العالم ويدعون الناس بأخلاقهم قبل كلامهم.

وأما السورة الثانية التي سنتحدث عنها فهي سورة تعدل ثلث القرآن إنها سورة الإخلاص:

" **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)** "[١٥٨].

---

١٥٨ سورة الإخلاص

ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال (قل هو الله أحد تعدل ثُلث القران) وقال أيضاً : من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة) .

ولا عجب أن يكون لهذه السورة هذا الأجر الكبير والثواب العظيم ، ذلك أنها تتحدث عن أهم موجود في الكون وتعطي تصوراً للخالق سبحانه ولبعض صفاته وأسمائه ، وترد على شبه المنحرفين في تصوراتهم عن الله سبحانه وتعالى ، الله الذي خلق الكون ودبره وسيَّره الله الذي له كل ما في السموات والأرض ، الله الغني عن عباده والكل محتاج إليه ، الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ، الله الواحد الأحد في صفاته وأسمائه فلا نظير له ولا شبيه له ، هكذا يأمر الله عبده ورسوله ﷺ أن يقول :

" **قل هو الله أحد** " : الله الكامل في صفاته ، الذي لا غنى لأي مخلوق عنه في كل صغيرة وكبيرة ، ولذا فإن كل المخلوقات تتجه إليه وتلجأ إليه وهو غير محتاج إلى أحد " **الله الصمد** ". وقد كتب الله على بني البشر أن يكون بينهم ولادة فكل إنسان له أب وأم وقد يكون له أبناء وهذا دليل ضعفه وحاجته وافتقاره فاحتاج إلى غيره سواء كان رجل أم امرأة ، أما الخالق سبحانه فهو ليس له أبناء كما أنه ليس له أب ولا حتى زوجه لغناه عن الجميع ومن هنا فإنه" **لم يلد ولم يولد** " والله هو الذي يجمع هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والجلال ، فهو ليس له مماثل في ذلك ولا يمكن أن يكون له مماثل " **ولم يكن له كفواً أحد** " . إنها عقيدة التوحيد التي علمنا إياها الله عبر كتابه وعلى لسان رسوله ، العقيدة التي تجعل المؤمن موحداً لله في كل حياته ، فمن الله يأخذ دستوره وحده لأن الله كاملٌ في صفاته غني عن عباده عالم بمخلوقاته .

وهكذا ينفرد المنهج الرباني عن جميع المناهج الأرضية ، فيرسم للمسلم حياته ، وكيف تكون؟ ويعطيه السعادة الدنيوية والفوز الأخروي ، ولا يمكن لأي منهج مهما كان أن يقارن أو يشابه المنهج الرباني .

الفصل الخامس : تفسير المعوذات

كلامنا عن تفسير آخر سورتين في القرآن الكريم والتي تُسمى ب " المعوذتين " وهما سورة الفلق وسورة الناس ، وإليك تفسيرهما:-

سورة الفلق : **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)**

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرا بالمعوذات في دبر كل صلاة .

بدأت السورة بخطاب الرسول ﷺ – وهو لأمته بعد موته –" **قل** " وهو إرشاد وتوجيه من الخالق سبحانه إلى عباده الضعفاء الذين لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم الشر من المخلوقات خاصة عندما يحين وقت حركتها وعملها وهو الصباح ومن هنا قال الله تعالى " **قل أعوذ برب الفلق** " والفلق هو الصبح الذي يأتي بعد ليل مظلم وأمس .

ولما كانت المخلوقات عموماً فيها خير وشر فقد أرشدنا الله إلى الاستعاذة من شرور هذه المخلوقات .كل المخلوقات . والبقاء على خيرها والحصول عليه ، هكذا هي العناية الربانية لعباده حصول الخير ودفع الشر " **من شر ما خلق** " ، ويأتي بعدها إشارة إلى بعض الشرور الخاصة في ظروف وأزمان معينه فالليل الظلم الذي يخافه الكثير من الناس وما يحصل فيه من جرائم وفواحش ، أكثر شروراً من غيره ، " **ومن شر غاسق إذا وقب** " وهو الليل إذا أقبل .

وأما شرور البشر فهي كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وبعض البشر أكثر وأشد شراً وضرراً من غيره ، ومن أولئك : السحرة الذي يدعون معرفة الغيب ويدعون القدرة على عمل أشياء خارقة

للعادة مما يجعل الكثير من الناس يستسلم لشرورهم ، حتى مع مدنية هذا العصر نسمع ونقرأ ونرى قصصاً عن السحر وشروره وأضراره.

" **ومن شر النفاذات في العقد** " وهي السواحر التي تنفث بكلمات غريبة وعجيبة ويعقدن عقداً للوصول إلى مطلبهم .

" **ومن شر حاسد إذا حسد** " ومن شرور البشر أيضاً ، أولئك البشر الذين يحبون زوال النعمة عن المحسود بكل ما يقدرون من الأسباب ، فاحتاج الإنسان إلى الاستعاذة بالله من شرهم ،كما أمرنا الخالق سبحانه – ربنا – بالاتصال به دائماً وأبداً ، فنحن لا نستطيع أن ندفع الشرور بدون الالتجاء والاستعاذة من رب الفلق ورب الناس .

وآخر ما سنتحدث عنه في التفسير هي آخر سور القرآن ترتيباً في المصحف:

سورةالناس : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

السورة تتحدث عن معركة قديمة قدم البشر منذ أن خلق الله الإنسان ، كما أنها معركة مستمرة إلى قيام الساعة ، بالإضافة إلى أنها معركة يعيشها كل إنسان ذكر أم أنثى ، صغير أم كبير ...الخ وهي معركة جنة أو نار ، فعدوك الشيطان يريد إدخالك معه إلى جهنم و بئس المصير ، وربك يريد منك الانتصار عليه للفوز بجنة عرضها السموات والأرض ، لذا كانت السورة على قسمين :

القسم الأول : " **قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس** "

يبين الاستعاذة بالرب سبحانه ، الرب الراعي والحامي لعباده ، والملك الحاكم المتصرف في ملكه . وكل ما سوى الله مملوك له . والإله هو المستعلي المسير للأمور كما يشاء.

وفي هذه الصفات الثلاث: حماية من الشر ومن كل شيء فهو رب كل شيء ، وملك كل شيء وإليه كل شيء ، وجاء لفظ (الناس) في الصفات الثلاث إشارة إلى كل الناس بدون تخصيص جنس أو لون ، وفي هذا ترقيق لقلوب العباد ليستشعروا حماية الله لهم وبيان لما يمكن أن يعينهم على كيد عدوهم .

القسم الثاني : " **من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس** "يبين المستعاذ منه ، أو عدوك الذي يريد منك معصية (الرب) و(الملك) و(الإله) وهنا يبين لنا الله صفة هذا العدو (الوسواس الخناس)الوسواس هو الصوت الخفي ، والخناس هو الاختفاء والتراجع ، فهو كما قال الرسول ﷺ :" الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس " هكذا هو مع بني آدم ، وهكذا شاء الله أن يكون ، والطريق المنجي منه هو (ذكر الله) فهو لا يخنس إلا عند ذكر الله ، فعليك بهذا السلاح الفتاك .

أما عمله فهو (الذي يوسوس في صدور الناس) كل الناس بلا استثناء ، ولكن من يستمع إليه ويصغي إليه ويعمل بوسوسته يهلك ، ومَن ذكر الله فقد قتله .

وربما تسأل عن ماهية هذا العدو اللدود (من الجنة والناس) قد لا نعلم وسوسة الجن ولكننا بالتأكيد نجد آثارها في واقعنا وحياتنا اليومية فهو مع كل واحد منا كما قال المصطفى ﷺ (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه) يعني من الجن ، أما وسوسة الإنس فنراها ونعلمها ونشاهد آثارها ، فهذا الذي يدعو إلى الفواحش وشرب الخمور ويزينها للناس عموماً ، وبائع الشهوات من الرجال والنساء والكذَّاب والمخادع.....الخ كمٌّ هائل في البشر، فما أشد خطر الجن والإنس على العبد الصالح ، ولكنهم يستصغرون ويذلون بل ويهلكون حينما نستعيذ (برب الناس) (ملك الناس) (اله الناس).وقبل أن ننهي الحديث عن دستور الإسلام إليك هذه القصة كان هناك رجل يعيش في مزرعة بإحدى الجبال مع حفيده الصغير.كان الجد يستيقظ كل يوم في الصباح الباكر ليجلس إلى مائدة المطبخ ليقرأ القرآن ، وكان حفيدة يتمنى أن يصبح مثله في كل

حركه يفعلها. وذات يوم سأل الحفيد جده: يا جدي ، إنني أحاول أن أقرأ القرآن مثلما تفعل،ولكني كلما حاولت أن أقرأه ، أجد أنني لا أفهم كثيراً منه وإذا فهمت منه شيئاً فإنني أنسى ما فهمته بمجرد أن أغلق المصحف، فما فائدة قراءة القرآن إذاً ؟؟ كان الجد يضع بعض الفحم في المدفأة،فتلفت بهدوء وترك ما بيده ثم قال خذ سلة الفحم الخالية هذه وأذهب بها إلى النهر ثم ائتني بها مليئة بالماء ففعل الولد كما طلب منه جده ولكنه فوجئ بالماء كله يتسرب من السلة قبل أن يصل إلى البيت. فابتسم الجد قائلاً له : ينبغي عليك أن تسرع في المرة القادمة يا بني. فعاود الحفيد الكرة وحاول أن يجري إلى البيت ، ولكن الماء تسرب أيضاً في هذه المرة .

فغضب الولد وقال لجدة: إنه من المستحيل أن آتيك بسلة من الماء ،والآن سأذهب وأحضر الدلو لكي أملؤه لك. فقال الجد: لا، أنا لم أطلب منك دلواً من الماء ، يبدو أنك لم تبذل جهداً كافياً يا ولدي. ثم خرج الجد مع حفيده ليشرف بنفسه على تنفيذ عملية ملء السلة بالماء .كان الحفيد موقناً بأنها عملية مستحيلة ولكنه أراد أن يري جده بالتجربة العملية. فملأ السلة ماء ثم جرى بأقصى سرعة إلى جده ليريه وهو يلهث . فخاطبه جده قائلاً : أتظن أنه لا فائدة مما فعلت ؟ تعال و انظر إلى السلة... فنظر الولد إلى السلة المتسخة وأدرك للمرة الأولى أنها أصبحت مختلفة لقد تحولت السلة المتسخة بسب الفحم إلى سلة نظيفة تماماً من الخارج والداخل ، فلما رأى الجد الولد مندهشا ، قال له : هذا بالضبط ما يحدث عندما تقرأ القرآن الكريم قد لا تفهم بعضه وقد تنسى ما فهمت أو حفظت من آياته ولكنك حين تقرأه سوف تتغير للأفضل من الداخل والخارج تماماً مثل هذه السلة .

اسأل الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا، وجلاء أحزاننا وأن يرزقنا تلاوته في الليل والنهار على الوجه الذي يرضيهِ عنا.

الباب الخامس

من أخلاق

الإسلام

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن فلانة فذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال ﷺ: هي في النار . قال: يا رسول الله فإن فلانة فذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تصدق بالأثوار من الأقط (نوع من الطعام) ولا تؤذي بلسانها جيرانها. قال ﷺ : هي في الجنة .

الإسلام ليس دينا فلسفياً ولا نظريات تقال ولا رهبانية ينقطع فيها العبد عن الناس ، ولكنه منهج حياة يعيش مع العبد في كل شؤون حياته ويرشده إلى الصواب، ويبين له التطبيق العملي لما يجب أن يكون عليه ، لذا فهو يحث على حسن الخلق والتعامل الحسن مع الناس أجمعين .

ومن هنا فإن لمكارم الأخلاق وحسن الخلق شأن عظيم في الإسلام ؛ ذلك أن الخُلُق يعتبر التطبيق العملي لما يحمله العبد من مبادئ ونظريات وقناعات ، فعلى مقدار إيمان العبد تكون أخلاقه وعلى مقدار يقينه تكون سلوكياته، فمن أراد أن يتعرف على إيمانه فلينظر إلى أخلاقه وسلوكياته ويقارنها بأخلاق وسلوكيات النبي الكريم ﷺ فإن كانت قريبة منها فإيمانه قوي وإن كانت الأخرى فليراجع إيمانه وليجتهد في تقوية إيمانه.

كما أوضح الرسول الكريم ﷺ أن هناك من السلوكيات العملية التي تكون سبباً في مغفرة الذنوب ودخول الجنة مع إنها في نظر الكثير من الناس أمر يسير ، لكن الشارع الحكيم يريد من المسلمين الارتقاء بالنفس وبالمجتمع، وأن يسعى الجميع من اجل تحقيق العبودية لله في نفسه وأهله ومجتمعه والناس أجمعين ، ومن ذلك ما اخبر به الرسول الكريم ﷺ حيث قال : كانت شجرة تؤذي الناس ، فأتاه رجل فعزلها عن طريق الناس ، قال: فقال نبي الله ﷺ : فلقد رأيته يتقلب في ظلها في الجنة .

إنه عمل بسيط إزاحة شجرة أو غصن لكنه عند الله كبير ويستحق مَن عمله أن يُغفر له ويدخل الجنة ، لأنه فكّر في غيره وقال لعله يؤذي الناس في طريقهم فأزاحه.

ولما كان من الصعب الحديث عن كل الأخلاق الإسلامية فإنا سنشير إلى أهم تلك الأخلاق ، والتي تكثر الحاجة إليها ولها تأثير كبير على الفرد والمجتمع وسنبدأ بالخطوة الأولى نحو الفلاح – بإذن الله – ولنبدأ بتلك الآيات البينات من كلام رب الأرض والسموات :" **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)**[١٥٩].

هل لاحظت تكرار القسم بعدة مخلوقات ؟

دعونا نرجع إلى الآيات مرة أخرى ولنتعرف عليها بشيء من الإجمال :

"**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**" يقسم الله بضوء الشمس (ضحاها) والشمس وضوؤها من مخلوقات الله ، والله له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وليس لنا أن نقسم إلا بالله أو أسمائه وصفاته ، لقول الرسول الكريم – ﷺ – : " من أقسم بغير الله فقد كفر أو أشرك "، ليس حديثنا عن أحكام القسم ولكن بيناه للضرورة ، ولنعد إلى الآيات :

"**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** " قسم آخر من الله بالقمر إذا تلا الشمس (تَلَاهَا) ، والنهار إذا أوضح ما على الأرض (جَلَّاهَا) ، ثم الليل إذا غطى ضوء النهار فتصبح الأرض ظلام (يَغْشَاهَا) ، ثم يقسم بعظمة بناء السماء وبتسوية الأرض (طَحَاهَا)، وآخر ما يقسم به الله في هذه السورة النفس البشرية (أنا وأنت) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .

---

[١٥٩] سورة الشمس ١ - ٧

لقد اقسم هنا سبع مرات ، ولا يقسم الله إلا على شيء عظيم ، فكيف إذا كان القسم مكرر ليس مرة واحدة ولا اثنتين ولا ثلاثة .. بل سبع مرات ، فلابد أن يكون ما بعد القسم أمر مهم وحيوي وضروري فما هو يا ترى ؟

لنقرأ ما بعد الآيات السابقة والسورة نفسها :

" **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** " ذلك هو المقسوم عليه !

إنها طبيعة النفس البشرية فالله قد بين أن لديها قابلية لسلوك الطريقين : طريق (فُجُورَهَا) وطريق (تَقْوَاهَا). وليس لأحد أن يقول : أنه لا يستطيع السير على الطريق الصحيح لأن النفس لديها القدرة على الانحراف عن صراط الله المستقيم ولديها القدرة أيضاً على سلوك الطريق المستقيم.

فأنا وأنت قد ألهمنا الله تلك القدرة وهذه الميزة وبين لنا طريق الخير وطريق الشر، ويبقى السؤال المهم جداً وهو كيف لي أن أجعل نفسي تسير على طريق (تَقْوَاهَا) وتتجنب طريق (فُجُورَهَا)أو العكس – نعوذ بالله – ؟

وقد أجاب الخالق ﷻ لهذه النفس على هذه القضية بكلمات موجزة :

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"

فالقاعدة الربانية تقول : من زكى نفسه أفلح ، ومن دسَّ نفسه أي أهملها وخذلها فقد خاب وخسر.

وكأنك تسأل : كيف أزكي نفسي ؟

والإجابة على هذا السؤال سهلة وبسيطة إذا طبقنا القواعد الخمسة التالية:

القاعدة الأولى : الارادة

بداية الأمور من الإرادة، فكن صاحب إرادة قوية ورغبة شديدة في تغيير نفسك والنهوض بها نحو معالي الأمور ، وتذكر أن نتيجة التزكية هو (الفلاح) كما في الآيات السابقة(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) ،والفلاح كلمة جامعة لكل معاني الخير والنجاح في الدنيا والآخرة.

القاعدة الثانية :

تعرف على وسائل التزكية وطبق ما تستطيع منها : فقد بين لنا الله سبحان ورسوله الكريم – ﷺ – وسائل التزكية وهي بالعموم تعتمد على أمرين اثنين:

١ / فعل الطاعات تقرباً على الله.

٢ / تجنب المنكرات خوفاً من عقاب الله .

والمقصود بالطاعات هنا هو كل ما أمر الله به ورسوله –ﷺ – مثل : التوحيد ، الصلوات الخمس ، والصيام ، والزكاة ،والحج ،والصدقة ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، ومساعدة المسلمين ، وغض البصر ، وحسن الخلق وغيرها كثير .

وفي المقابل ترك المنكرات مثل : الشرك ، وشرب الخمر ، والزنا ، واللواط ، والكذب ، والنميمة والغيبة ، والسرقة ، والتبرج (بالنسبة للمرأة) ، والاستماع إلى المحرمات ، ومشاهدة المنكرات وغيرها .

وعلينا ألا نكتفي بالواجبات أو الفرائض الأساسية فقط بل نرتقي إلى ما هو أفضل ، فزيادة على الالتزام بالفرائض لابد من عمل السنن والإكثار منها مثل : نوافل الصلوات ، والمداومة على ذكر الله ، والاستمرارية في الصدقات، فهذه السنن تجبر ما يحدث من تقصير في الطاعات ،كما أنها تزيد من تزكيتنا لأنفسنا وتعودها على الخير والعمل الصالح.

القاعدة الثالثة :

- تجاوز العقبات : فالطريق لتزكية النفس هو طريق الفالحين وهو طريق المرسلين قبلهم ، وقد اقتضت سنة الله أن يكون طريق الصالحين محفوفاً بالعقبات والأشواك ومن تلك العقبات :

١ / النفس الأمارة بالسوء : فالنفس بطبيعتها تدعوك إلى الكسل وعدم العمل وإلى فعل المنكرات، خاصة إذا توافق تزيين الشيطان كما قل تعالى "**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** "[١٦٠] ، والحمد لله أن كان هناك استثناء في الآية " **إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** " فنسأل الله أن يرحمنا برحمته وان يرزقنا الإخلاص.

٢ / التسويف وطول الأمل : وهو ما يُحدِّث به العبد نفسه بتأجيل العمل الصالح أو تأجيل التوبة إلى وقت آخر أو فرصة أخرى ، وكأنه قد أخذ عهداً من الله بأنه لن يموت الآن أو في هذه السنة ،بل إنَّ غالب الشباب يحدث نفسه بأنه سيتوب بعد مرور سنوات معدودة أو حينما يكبر ، ويقول في نفسه: دعني استمتع بشبابي ثم إذا كبرت أتوب، وهذه حيلة شيطانية فمن يضمن لك أن تعيش ؟ ولو نظرت إلى كبار السن حولك لرأيتهم قلة أي أن غالب من يموت هم في سن أقل من سن الشيخوخة ، ثم مَن يضمن أنك إذا عشت توفق إلى التوبة النصوح ألديك عهد من الله ؟ إن التوبة عبادة لا يوفق لها إلا من يستحقها – بعلم الله – .

القاعدة الرابعة :

التزكية لا تقف عند حد معين ولا تنتهي بزمن معين بل هي مستمرة مع العبد طيلة حياته،كما أنَّ التزكية درجات ومستويات ، والعاقل هو من يرتقي بتزكية نفسه وينقلها من واقع إلى ما هو أفضل ، وهذا كان دأب الصالحين والفالحين فهم لا يقفون عن حد معين مع أنفسهم .

هذا لا يعني أن لا نقع في الأخطاء ، بل على العكس فمن الوارد جداً الوقوع في بعض المعاصي والصغائر لذا لما مدح الله بعض عباده قال: " **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا**

[١٦٠] سورة يوسف آية ٥٣

اللَّمَمَ "[١٦١] فالمؤمن يجتنب كبائر الإثم والفواحش إلا أنه لا يسلم من اللمم ، و اللمم : هي صغائر الذنوب، فالمهم هو تجنب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر حتى ولو وقع العبد في معصية فعليه بالمبادرة بالتوبة العاجلة وعدم التسويف والتأجيل .

القاعدة الخامسة :

ابدأ الآن: فأصعب ما يكون في التزكية هو البداية الصحيحة ، ومن بدأ سيصل– بإذن الله – وكما يقولون مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة ، وبداية تزكية النفس في عمل الطاعات وترك المنكرات، وكن على يقين من توفيق رب العالمين.

وفي الختام ندعو بما كان يدعو به الرسول الكريم –ﷺ – " اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللّهُمّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا. وَزَكّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا. أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلاَهَا.

[١٦١] سورة النجم آية ٣٢

الفصل الأول الصبر

جاء في الإحصاءات الأميركية أن الانتحار يأتي في الترتيب الثاني بين أسباب موت الأميركيين في سن المراهقة والشباب، علما بأن السبب الأول وهو الحوادث (حوادث السير، الحرائق، السقوط من أماكن مرتفعة ..إلخ)، قد يكون حسب رأي أطباء النفس الأميركيين عبارة عن انتحار مقنّع (انتحار على شكل حادثة). وحسب الإحصاءات الأميركية أيضاً فإن أسباب الانتحار تعود بنسبة ٣٠% إلى حدوث اكتئاب شديد و ٣٠% بسبب تفاعل عامل الاكتئاب مع تناول الكحول والمخدرات، بينما نسبة الـ ٤٠% المتبقية تعود لأسباب متفرقة مثل المرض المزمن والمؤلم مثل السرطان أو الشعور بالوحدة في هذه الحياة نتيجة فقدان رفيق الدرب.

وحسب رأي خبراء الصحة النفسية، فإن الانتحار بشكل عام والانتحار بين المراهقين والشباب بشكل خاص هو مشكلة عالمية، تعاني منها جميع مجتمعات العالم السكانية في العصر الحديث ، لأن متطلبات التكيف في المجتمعات العصرية رغم تفاوتها، إلا أن الفشل في التلاؤم والتكيّف ومقابلة التحديات التي تواجه الإنسان العصري هو الذي يؤدي بالإنسان إلى الانتحار أو على الأقل محاولة الانتحار، لذلك فإن بعض أسباب الانتحار وإن كانت تبدو بسيطة (وربما مخيفة) مثل الفشل في الدراسة أو العلاقات العاطفية ، إلا أن السبب الحقيقي يكمن في عدم الرضا عن الواقع الذي يعيشه الإنسان نتيجة تراكم الضغوط النفسية متعددة الأشكال على إنسان المجتمع العصري، وبالتالي فإن سبب الانتحار الظاهري يكون بمثابة " القشة" التي تقصم ظهر البعير – إن صح التعبير– مردها مشاكل الحياة العصرية مثل : الفقد وتفكك الأسرة وعدم الاستقرار في مكان واحد، وفقدان الدعم الاجتماعي من الأسرة والأقارب والأصدقاء، والإحساس بالوحدة والخوف من المستقبل، إضافة إلى مشاهد العنف والجريمة وسهولة الحصول

على الأسلحة أو وسائل الانتحار الأخرى، هي بعض الأسباب التي تدفع الكثيرين للانتحار، وبشكل خاص فئة الشباب.

العاطلون عن العمل أكثر ميلاً للانتحار مقارنة بالأفراد الذين لديهم وظيفة أو مهنة يستطيعون من دخلها الحصول على لقمة العيش، كما أن المصابون بالأمراض النفسية مثل : الاكتئاب والشيزوفرينيا (انفصام الشخصية) هم أكثر مرضى الصحة النفسية ميلا واستعدادا للانتحار. وحسب رأي خبراء الصحة النفسية فإن أيَّ مرض نفسي – بشكل عام – يؤدي إلى شعور المريض بحالة فقدان الأمل من القدرة على التكيّف على متطلبات ومشاكل الحياة هو مرشح قوي للانتحار.

هذا أحد نتائج عدم الرضا عن الواقع وعدم الصبر على واقع الحياة بمختلف أشكالها وألوانها ،مما يشير وبقوة إلى أهمية هذا الخُلُق (الصبر) لدى الناس أجمعين ، لذا فنحن حين نتحدث عن الصبر يعني الحديث عن خلق كريم ذُكِر في كتاب الله أكثر من ٩٠ موضعاً ، أمر يحصل العاملون فيه على أجرهم بغير حساب ، وهو أحد الصفات الأربع المنجية للإنسان من الخسران التي بينها الله في القرآن الكريم في سورة العصر حيث قال : " **وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)** "[١٦٢]

فلا نجاة من الخسران لكل إنسان مهما كان إلا بتحقيق هذه الأربع الحسان :

الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

الصبر : حبس النفس عن الجزع والتسخط ، ومن باب أولى ضبط النفس عن التصرفات العملية من ضرب ومشاجرة وغيرها ، وقد ورد في فضل الصبر والصابرين نصوص كثيرة منها :

- ✓ العبد الصابر في معية الله ، قال تعالى " **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** "[١٦٣]

[١٦٢] سورة العصر

[١٦٣] سورة الانفال آية ٤٦

✓ الصابرون يحبهم الله : " **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** "[١٦٤] ، فما أعلاها من منزلة وما أشرفها من مكانة أن تكون ممن يحبه الله ، فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله .

✓ أجر الصابرين بلا حساب قال تعالى : " **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** "[١٦٥]

ومما جاء في تفسيره لهذه الآية : قال قتادة – رضي الله عنه – : لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان، حدثني أنس أن رسول الله ﷺ قال: "تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا" ثم تلا النبي ﷺ الآية .

أما الأحاديث فأكثر من أن نحصيها في هذه الأسطر فمن ذلك قوله ﷺ : " .. والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ....الخ " . فهو ضياء في الدنيا وضياء في الآخرة.

إن خُلق الصبر فضيلة عظيمة يجب أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة وكل غني وفقير وكل عالم وجاهل وكل صغير وكبير ، فهو خلق يحتاج إليه الجميع بلا استثناء فهو الزاد لمواجهة مواقف الحياة ومصائبها ، ولذلك كان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم متحلين بخلق الصبر في دعوتهم وفي أداء رسالتهم ، فهذا أيوب عليه السلام امتحنه الله بالمصائب و الأمراض ، وتلقى كل ذلك بالحمد والثناء على ربه بالتسليم و الرضى ، ولما اشتد به الضر وطال الزمن نادى ربه قائلاً : " **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**"[١٦٦] فأيوب عليه السلام اجتاز مرحلة صبر طويل شديد ولذلك أثنى الله عليه بقوله سبحانه " **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** "[١٦٧] أي : رجَّاع إلى ربه توَّاب ،ففي قصة أيوب عليه السلام ذكرى للعابدين وعبرة للمتعظين في صبره عليه السلام، فهم الذين

---

[١٦٤] سورة آل عمران آية ١٤٦

[١٦٥] سورة الزمر آية ١٠

[١٦٦] سورة الأنبياء آية ٨٣

[١٦٧] سورة ص آية ٤٤

ينتفعون بما يعرض عليهم من أمثلة الصابرين ، ويدركون أن الصبر من الدرجات العليا فيصبرون ابتغاء رضوان الله تعالى .

إن المؤمن يعلم أن الله يمتحنه بالمصائب ليختبر صبره وليكتب له الأجر العظيم ويثيبه ويكفر عنه ذنوبه وخطاياه .

والصبر ضرورة حياتيه لكل عمل نافع ، والقيام بالواجبات اليومية يحتاج إلى صبر ، كما أن مخالطة الناس والتعامل معهم يحتاج إلى صبر ، وكذلك الدراسة والبحث العلمي تحتاج إلى أدب طويل وصبر جميل فلا يقوم بكل هذا إلا صابر ، فما أحلاه من خلق وما أجمله من منهج .

الفصل الثاني : التوبة

فقبل أكثر من أربعة عشر قرناً ومع انتشار نور الإسلام وقف قوم من أهل الشرك فاستعرضوا حياتهم فإذا هم قد أكثروا من الذنوب والمعاصي وليست أي ذنوب بل من الكبائر فقد أكثروا من القتل وأكثروا من الزنا وغيره من الآثام ، فقدموا على المرسل رحمة للعالمين ﷺ فاعترفوا بما عملوا واستعظموه فأتوا نادمين راغبين في الإسلام عندها جاءهم الرد ليس من الرسول ﷺ بل من الله مباشرة وبعث لهم – ولغيرهم – نداءاً من الرب الرحيم التواب " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " الزمر ٥٣ وقوله : " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " الفرقان ٧٠) البخاري ٤٨١٠ ففرحوا – ويحق لهم ذلك – بتلك البشرى وأي بشرى فمع ذنوبهم العظام سماهم " عبادي " عبارة تلطف، وأشار إلى معرفته سبحانه بذنوبهم " أسرفوا " فكأن الله يقول لهم لقد بالغتم بالذنوب والمعاصي وأنا اعلم بكم ، كما أن ذنوبكم هي مضرة لكم " أنفسهم " ومع كثرة ذنوبكم ومع عدم إضراري بها " لا تقنطوا من رحمة الله " لا تيأسوا ولا تقطعوا فهي رحمة الله وليست رحمة البشر وأبشركم بأن الله " يغفر الذنوب جميعا " الله أكبر هكذا جميعاً ، نعم جميعا فهو الكريم سبحانه كما أنه " الغفور الرحيم " فلا كبير مع الغفور الرحيم ، وبُشرى أخرى وهي :" يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ " فمع المغفرة تبديل إلى حسنات، فهل سمعت أجمل من تلك العبارات وأوسع من هذا النداء ، فيا أهل الذنوب والمعاصي – وكلنا منهم – اسمعوا وابشروا فهم نداء رباني لك ولكل من ورائك " لا

تقنط " ولا تيأس ولكن أقبل على الغفور الرحيم بنفس صادقة ، أقبل بتحقيق التوبة إلى الله مما عملت ، فهلا استجبنا لهذا النداء وباشرنا بالتوبة .

فإلى كل إنسان وإلى كل مسلم مسلمة وإلى كل شاب وشابه وشيخ وشيخة وعالم وجاهل وغني وفقير و... إلى الجميع أجب نداء الله وتب إليه .

ولتحقيق ذلك اسمح لي أن أتحدث لك ببعض القضايا المهمة عن التوبة والتي تتلخص بأربعة أسئلة مهمة لنستجيب للنداء الرباني :

١. لماذا نتوب ؟

٢. مم نتوب ؟؟

٣. كيف نتوب ؟؟؟

٤. لماذا لا نتوب ؟؟؟؟

فإلى السؤال الأول :

لماذا نتوب ؟

قد يبدوا سؤال بديهي وإجابته بديهية فنحن نتوب ليغفر الله لنا . وهذا كلام صحيح ،ولكن هل هذا هو السبب الوحيد ؟ لقد ذكرت التوبة في القرآن الكريم أكثر من ١٠٠ مرة وأحاديث التوبة كثيرة جداً ومصنفات التوبة كثيرة جداً ، كل هذا لسبب واحد فقط !! أظن أن هناك أسباب كثيرة تدفعنا للتوبة منها :

الاستجابة لنداء الله " وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " النور ٣١ جميعاً بلا استثناء وعلّق الفلاح بالتوبة فطريق الفلاح يبدأ بالتوبة .

تحقيق عبادة التوبة ، فالتوبة عبادة يجب أن تكون لله وهي جزء من أعمال العبادة التي خلق الله الإنس والجن من أجلها " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات ٥٦ .

تحقيق الفرح لله ، نعم الفرح وإليك هذا الحديث " للهُ أشدُّ **فرحًا بتوبةِ** عبدِه ، حين يتوبُ إليه ، من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضِ فلاةٍ . فانفلتت منه . وعليها طعامُه وشرابُه . فأيس منها . فأتى شجرةً . فاضطجع في ظلِّها . قد أيس من راحلتِه . فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمةٌ عنده . فأخذ بخطامِها . ثم قال من شدةِ الفرحِ : اللهم ! أنت عبدي وأنا ربُّك . أخطأ من شدةِ الفرحِ "

مسلم ٢٧٤٧

أرأيت فالله يفرح – فرحاً يليق بجلاله – والسبب هو توبة عبده ولك أن تتصور كيف ستكون المكافأة الربانية لمن يكون سبباً في فرح الرب – سبحانه – .

سبب رابع وهو دافع قوي لنا ألا وهو كسب محبة الله ، لو قيل لأحدنا أنه بالعمل الفلاني سيحبك رئيسك في العمل فسيبادر فكيف لو قيل له بالعمل الفلاني سيحبك الوزير وأعلى درجة منة أن يحبك الملك وأفضل من الكل أن يحبك ملك الملوك ، وإليك الدليل " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ "

البقرة ٢٢٢ ،

ولعلك تسأل ما ثمرة أن يحبني الله ؟

أقول إن ثمارها لا تُعد ولا تحصى لكني سأذكر لك حديثاً واحداً يبين لك من ثمرات محبة الله لك – حاول أن تتخيل – في الحديث القدسي : قال الله تعالى " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب **إلي** عبدي بشيء أحب **إلي مما** افترضت عليه ، وما يزال عبدي **يتقرب إلي بالنوافل** حتى أحبه ، فإذا أحببته :

كنت سمعه الذي يسمع به ،

وبصره الذي يبصر به ،

ويده التي يبطش بها ،

ورجله التي يمشي بها ،

وإن سألني لأعطينه ،

ولئن استعاذني لأعيذنه"

البخاري ٦٥٠٢

ستة أمور كل منها كافية لوحدها لتدفعنا نحو العمل على تحقيق محبة الله، فكيف والمحبة تحقق هذه الستة وغيرها ، فيا لها من نعمة و ياله من كرم.

أما السبب الخامس فهو التوفيق من الله في هذه الحياة الدنيا ، التوفيق للعمل الصالح وحفظ العبد في لحظاته الأخيرة وتثبيته بل والدفاع عنه عن طريق بعض جنود الرب سبحانه ، وإليك دليل ذلك من الحبيب ﷺ فقد قال : " إن عبدا قتل تسعة و تسعين نفسا ، ثم عرضت له **التوبة** ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على رجل ، وفي رواية : راهب ، فأتاه ، فقال : إني قتلت تسعة و تسعين نفسا ، فهل لي من **توبة** ؟ قال : بعد قتل تسعة و تسعين نفسا ؟ قال : فانتضى سيفه فقتله به ، فاكمل به مائة ، ثم عرضت له **التوبة** ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على رجل عالم ، فأتاه فقال : إني قتلت مائة نفس فهل لي من **توبة** ؟ فقال : و من يحول **بينك** و **بين التوبة** ؟ أخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا و كذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد ربك معهم فيها ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، قال : فخرج إلى القرية الصالحة ، فعرض له أجله في بعض الطريق ، فناء بصدره نحوها ، قال : فاختصمت فيه ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ، قال : فقال أبليس : أنا أولى به ، إنه لم يعصني ساعة قط قال : فقالت ملائكة الرحمة : إنه خرج تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، و قالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط – فبعث الله عز وجل ملكا في صورة آدمي فاختصموا إليه – قال : فقال : انظروا إلى القريتين كان أقرب إليه فألحقوه بأهلها ، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي ، و أوحى إلى هذه أن تباعدي ، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى

الأرض التي أراد بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة فغفر له" السلسلة الصحيحة للالباني " ٢٦٤٠

أرأيت أنه لم يعمل كثيراً لكنه تاب إلى الله توبة صادقة وهذه كانت كافية أن يوفقه الله بل وينزل ملائكة ويُحرك الأرض من أجله والأرض جند من جنود الله " وما يعلم جنود ربك إلا هو " فما أجملها من كرامة .

السبب السادس والأخير هو قلب السيئات إلى حسنات ! أن يمحو الله السيئات فهذا مطلب ، لكن أن تُقلب السيئات إلى حسنات فهذه نعمة ومنة من الكريم الرحيم سبحانه وهو على كل شيء قدير ، وهذا القلب مرهون بتحقيق بالتوبة الصادقة ، ودليل تحويل السيئات إلى حسنات هو في سورة الفرقان فبعد أن عدد الله بعض المعاصي والذنوب مثل الشرك وقتل النفس و الزنا توعد أصحاب هذه الذنوب بمضاعفة العذاب يوم القيامة والخلود فيها ثم قال في الآية ٧٠ " إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ " وفي الحديث " قال رسولُ اللهِ ﷺ: إني لأعلمُ آخِرَ أهلِ الجنةِ دخولًا الجنةَ . وآخِرَ أهلِ النارِ خروجًا منها . رجلٌ يُؤتَى به يومَ القيامةِ . فيقال : اعرِضُوا عليه صِغارَ ذنوبِه وارفعوا عنه كبارَها . فتُعرَضُ عليه صِغارُ ذنوبِه . فيُقالُ : عَمِلتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا . وعَمِلتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا . فيقولُ : نعم . لا يستطيعُ أن يُنكِرَ . وهو مُشفِقٌ من كبارِ ذنوبِه أن تُعرَضَ عليه . فيُقالُ له : فإن لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً . فيقولُ : ربِّ ! قد عمِلتُ أشياءَ لا أَراها ههنا . فلقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضحِك حتى بَدَتْ **نواجذُه** "

مسلم ١٩٠

وبعد هذا العرض السريع لبيان " لماذا نتوب " فقد تاقت النفوس للتوبة وكأنها تسأل السؤال الثاني:

مم نتوب ؟

يمكن أن نقول أن التوبة مطلوبة من عدة أمور :

الذنوب والمعاصي بمختلف أشكالها وأنواعها وصغيرها و كبيرها ، ومن أنواع المعاصي ثلاثة :

معاصي قلبية مثل الكبر والحسد و..

ومعاصي اللسان مثل الكذب والغيبة و...

ومعاصي الجوارح الأخرى غير اللسان مثل النظر المحرم والسماع المحرم و ...

ولسنا هنا بصدد بيان أنواع المعاصي بالتفصيل فيمكن الرجوع إلى ذلك من الكتب المعتمدة في ذلك ولكننا نبين أ، من أول ما يجب التوبة منه .

الأمر الثاني المطلوب التوبة منه هو التقصير في الطاعات : مثل الصلاة والصيام و... فنحن نؤدي تلك العبادات والحمد لله، لكنا نغفل أن نحاسب أنفسنا على مقدار تحقيقنا للهدف من تلك العبادات، فمثلاً الصيام نحن نصوم وفي المقابل لا نلاحظ أنفسنا في تحقيق الهدف من الصوم وهو " التقوى " كما قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " البقرة ١٨٣ وكذلك عبادة الشكر لله على ما أنعم به علينا من نعم لا تعد ولا تحصى من الصحة والعافية والإسلام والمال والأولاد وغيرها، لذا كان نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ منَ الليلِ حتى تتفَطَّرَ قدَماه ، فقالتْ عائشةُ : لِمَ تَصنَعُ هذا يا رسولَ اللهِ ، وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم من ذَنْبِك وما تأخَّر ؟ قال : (أفلا أُحِبُّ أن أكونَ **عبدًا شَكورً**"

البخاري٤٨٣٧

الأمر الثالث والأخير وهو التوبة من الغفلة ، فنحن في خضم الحياة ومع كثرة المشاغل والمسؤوليات نغفل ونذهب بعيد عما هو مطلوب منا، فنحتاج إلى الوقوف أحياناً والمراجعة والتوبة والاستغفار، مما قد لا نعلمه الآن لغفلتنا وإليك هذا الموقف العجيب فهذا أفضل هذه الأمة بعد رسولها ﷺ والذي لو وُزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه ابو بكر الصديق ﷺ يروي عن أفضل خلق الله ﷺ قوله :: الشركُ في أمَّتي أخْفى من دبيبِ النملِ على الصَّفا فقال أبو بكرٍ

فكيفَ النجاةُ والمخرجُ من ذلك فقال النبيُّ ﷺ ألا أُعلِّمُك شيئًا إذا قُلتَه برِئتَ من قليلِه وكثيرِه قال قُلِ **اللهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أُشركَ وأنا أعلم ، و أستغفرُك مِمَّا لا أعلمُ** "

صحيح الجامع الصغير ٣٧٣١" .

هكذا " مما لا أعلم " ألسنا أولى أن نقولها نحن !!

ولعل ما ذكرناه سابقاً (الأمر الثاني والثالث) يعين على الإجابة على سؤال كبير ألا وهو : إذا كان الرسول الكريم ﷺ قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يقول:

يا أيها الناس استغفروا ربكم وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة أو أكثر من مئة مرة ؟ صححه ابن حجر في الامالي المطلقة ٢٥٥"

لاحظ " في اليوم " وليس في الأسبوع ولا الشهر .

وبعد أن عرفنا مم يجب أن نتوب فكأني بك تسأل السؤال الثالث :

كيف نتوب ؟

من المعروف أن شروط التوبة أربعة :

ارجاع الحقوق إلى أصحابها إذا كان الذنب يتعلق بآدمي ، أو التحلل منه .

الإقلاع عن الذنب .

الندم على فعل الذنب .

العزم على عدم العودة .

ونتيجة لكثرة ذنوبنا فنحن بحاجة ماسة لدراسة كيفية التوبة ووضعها على شكل خطوات تعين بعد الله للحصول على المطلوب وهذه الخطوات هي :

صناعة الإرادة

وهذا مربط الفرس كما يقولون فلابد من وجود إرادة ورغبة قوية في التوبة وعلى مقدار الإرادة تكون الدافعية نحو التوبة والعكس صحيح ، لذا نرى الكثير منا يرغب أن يتوب ويتمنى أن يقلع

عن الكثير من الذنوب ولكنها تبقى أمنيات وأول خطوة في تحويل هذه الأمنية إلى عمل هو صناعة الإرادة ، وهناك طرق كثيرة لصناعة الإرادة منها :

تذكر فوائد وحسنات التوبة ونتائجها الجميلة وقد ذكرنا شيئاً من ذلك .

استعراض نتائج الاستمرار في المعصية وحبذا كتابة ذلك على شكل جدول تقارن فيه بين نتائج التوبة ونتائج ترك التوبة والاستمرار في المعصية، وسيتبين لك الفرق الشاسع في الدنيا والآخرة مما يكون دافعاً قوياً نحو التوبة.

التعرف على نفسك ونقصد هنا نقطتين أساسيتين هما : ماذا تحب ؟ و ماذا تكره ؟ فيكون الانطلاق من ما تحب النفس وتوجيه نحو المطلب الشرعي وإشغال النفس به ، فمن المعروف أن المعاصي محببة للناس و يزيدها تزيين الشيطان ولكن الله لم يجعل كل ما في النفس نحو المعاصي فقط بل ركَّب في النفس القابلية للطريقين "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)" سورة الشمس

والقاعدة هنا الانطلاق من المحبوب إلى المطلوب .

حصر ولو بسيط للذنوب والمعاصي التي تقع فيها ، وعليك بالإنصاف هنا وعدم ازدراء النفس، ثم ترتيب هذه الذنوب والمعاصي على حسب خطورتها وتمكنها في نفسك من أجل تحديد نقطة البداية ، لاحظ أنه كلما كان المعصية متمكنة في القلب كلما احتاجت إلى وقت أطول ، ولعل مما يؤيد ذلك قصة تحريم الخمر فقد مرت بأربعة مراحل :

السكوت عن الموضوع تماماً .

تبيين أن " أثمها " أكبر من " نفعها " بعد السؤال عنها .

تحريمها وقت الصلاة " لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى "النساء ٤٣ .

التحريم الدائم" فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ "المائدة ٩١.

وضع " خطة التوبة "

لا تستغرب ذلك ، فكل بناء يحتاج إلى خطة فمن باب أولى مَن يرغب في جنة عرضها السموات والأرض ، ونعني بالخطة رسم الطريق الذي ستسير عليه من أجل التخلص من جميع الذنوب والمعاصي واستبدالها بالطاعات خلال زمن معين أنت أعلم به، هذا لا يعني أن ستنتهي من جميع الذنوب والمعاصي ولكنك ستتخلص من الكثير وتحدد التوبة لكل ما يستجد من الذنوب أولاً بأول .

التدرج :

لن تستطيع أن تتخلص من كل الذنوب في لحظة أو ساعة – إلا أن يشاء الله – لكنك تستطيع أن تقلل منها ومع الوقت تشعر بأنك أصبحت من " التوابين " أي كثيري التوبة فليس العيب أن تذنب ولكن العيب أن تصر على الذنب ، والتدرج نتيجة حتمية لـ " إرادة التوبة " ثم " معرفة النفس " ثم " حصر الذنوب " ثم " وضع الخطة " ، ومن المهم هنا التنبيه على التسويف والإطالة غير المبررة بحجة التدرج ن وأما التدرج ذاته فكل إنسان أعلم بنفسه وكيفية التدرج لديه .

الفرح بالانتصار

ولو كان جزئياً فالتوفيق إلى التوبة نعمة كبير تستحق أن يفرح العبد بها وهي جزء مما في الآية " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " يونس ٥٨

التفاؤل وعدم اليأس:

فطريق التوبة مستمر حتى آخر العمر ومعركتك مع الشيطان حتى آخر نفس في هذه الحياة ، لذا لابد من الإخفاق أحياناً بل هذا هو الأمر الطبيعي، ومن هنا فقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه في كل وقت وعلى مدار الزمان فلا تتردد في اللجوء إلى الله في كل لحظة حتى لوقت في

الذنب وإياك ثُم إياك أن تُعطي فرصة للشيطان ليُدخل اليأس إلى قلبك وأعلم أن الاستسلام هو بداية الهزيمة ، وإليك هذه البُشرى من حبيبك ﷺ حيث يقول :" والذي نفسي بيدِه لو لم تذنبوا لذهب اللهُ بكم ، ولجاء بقومٍ يذنبون ، فيستغفرون اللهَ ، فيغفرُ لهم " مسلم ٢٧٤٩!

وآخر البشارات قوله ﷺ : " فيما يحكي عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال " أذنَب عبدٌ ذنبًا . فقال : اللهمَّ ! اغفِرْ لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنَب عبدي ذنبًا ، فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ، ويأخذ بالذَّنبِ . ثم عاد فأذنب . فقال : أي ربِّ ! اغفرْ لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنبًا . فعلم أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ، ويأخذُ بالذنبِ . ثم عاد فأذنب فقال : أي ربِّ ! اغفرْ لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنبَ عبدي ذنبًا . فعلم أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ،ويأخذ بالذنبِ . اعملْ ما شئت فقد غفرتُ لك" مسلم٢٧٥٨.

فهل بعد هذا يبقى لنا حجة في عدم الاستجابة للنداء الرباني ،

الفصل الثالث الصدق

أتى شابّان إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وكان في المجلس وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه قال عمر: ما هذا؟قالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا قتل أبانا. قال : أقتلت أباهم ؟

قال: نعم قتلته ! قال : كيف قتلتَه ؟ ؟ قال : دخل بجمله في أرضي ، فزجرته ، فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً ، وقع على رأسه فمات. .قال عمر ﷺ: القصاص .قال الرجل : يا أمير المؤمنين : أسألك بالذي قامت به السماوات والأرض أن تتركني ليلة ، لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية ، فأُخبِرُهم بأنك سوف تقتلني ، ثم أعود إليك ، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا. قال عمر ﷺ: من يكفلك أن تذهب إلى البادية ، ثم تعود إليَّ ؟ فسكت الناس جميعاً ، إنهم لا يعرفون اسمه ، ، ولا قبيلته ولا منزله ، فكيف يكفلونه قال عمر : من يكفل هذا أيها الناس ؟ فقام أبو ذر الغفاريّ ﷺ بشيبته وزهده، وصدقه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أكفله قال عمر : هو قَتْل. قال : ولو كان قتلا . قال : أتعرفه ؟ قال : ما أعرفه قال : كيف تكفله ؟ قال : رأيت فيه سِمات المؤمنين ، فعلمت أنه لا يكذب ، وسيأتي إن شاء الله . قال عمر : يا أبا ذرّ ، أتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك ! قال : الله المستعان يا أمير المؤمنين . فذهب الرجل ، ، يُهيئ فيها نفسه ، ويُودع أطفاله وأهله.

وبعد ثلاث ليالٍ لم ينس عمر الموعد ، يَعُدّ الأيام عداً ، وفي العصر نادى في المدينة : الصلاة جامعة ، فجاء الشابان ، واجتمع الناس ، وأتى أبو ذر، وجلس أمام عمر ، قال له عمر: أين الرجل ؟ قال : ما أدري يا أمير المؤمنين. وتلفَّت أبو ذر إلى الشمس ، وكأنها تمر سريعة على غير عادتها ، وسكت الصحابة واجمين وقبل الغروب بلحظات ، وإذا بالرجل يأتي ، فكبّر عمر ، وكبّر المسلمون معه ، فقال عمر : أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ، ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك .قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما عليَّ منك ولكن عليَّ من الذي يعلم السرَّ

وأخفى !! ها أنا يا أمير المؤمنين ، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية ، وجئتُ لأُقتل. فوقف عمر وقال للشابين : ماذا تريان ؟ قالا وهما يبكيان : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه.قال عمر : الله أكبر ، ودموعه تسيل على لحيته. تلك هي أخلاق الإسلام وتلك هي صفات المسلمين ،إنه الصدق حتى لو كان على نفسه ولو كان بالقتل . فالصدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإنساني ، وفضيلة من فضائل السلوك البشري ذات النفع العظيم ، ومن هنا كان حث الإسلام على هذه الصفة والترغيب فيها في مواطن كثيرة فمن ذلك قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** "[١٦٨] فهو خطاب رباني للمؤمنين ليس بأن يكونوا صادقين فقط بل وان بأن يكونوا مع الصادقين ملازمين لهم في حياتهم ، وفيه إشارة إلى فضيلة الصادقين وأن طريقهم هو الطريق الصحيح والمنهج القويم فهي تزكية ربانية لهذا الفريق من الناس .

ومنه أيضاً بيان ثواب الصادقين كما قال تعالى : " **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**"[١٦٩] فبينت الآية الفوز العظيم للصادقين ، وهو يتضمن ثلاثة أمور :

دخول الجنة خالدين فيها أبداً – نسأل الله من فضله – و رضوان الله عليهم و رضوانهم عن الله . فما أعظمه من جزاء وما أكرمها من نعمة وما أجلها من صفة .

ويتحدث الرسول الكريم ﷺ عن تلك الصفة ويبين أنها الطريق الموصل إلى البر والذي يهدي إلى الجنة حيث قال : "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ (أي يبالغ فيه ويجتهد) حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا.. "

---

١٦٨ سورة التوبة آية ١١٩

١٦٩ سورة المائدة آية ١١٩

فهي دعوة نبوية بالالتزام بالصدق لكونه طريقاً إلى الجنة ويضيف إليها الدعوة والعمل على تحري الصدق للوصل إلى منزلة أعلى وهي أن يكتب عند الله صديقا .

ولما كان الصدق بتلك المنزلة فقد بين الله أنه من أهم صفات الأنبياء الصدق كما قال تعالى عن بعض أنبياءه : " **واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًا**"[١٧٠] ، " **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا**"[١٧١]و "**يوسف أيها الصديق**"[١٧٢] و"**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا**"[١٧٣] وغيرهم من الرسل والأنبياء وكان نبينا محمد ﷺ يلقب بـ " الصادق الأمين " .

وفي المقابل حذر الإسلام من الكذب ، فهو عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية ، وسبباً لهدم أبنيتها ، وتقطيع روابطها وصلاتها ، ورذيلة من رذائل السلوك ذات الضرر البالغ وحثنا على تركه ومجانبة أهله، فمن ذلك قوله ﷺ :" ... وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا . " فهو تهديد لكل من يكذب بأن طريقه يوصل إلى الفجور (وهي كلمة جامعة لكل معاني الشر) ونهاية هذا الفجور هو النار وهناك مفسدة أخرى للكاذب: أنه إذا لم يتركه فإنه يستمر في الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً – والعياذ بالله – فمن يرضى أن يذهب إلى النار وان يكتب عند الله كذابا ؟!

وزيادة في التنفير قوله ﷺ : " آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان " فقد بين أن من آيات وعلامات النفاق – والعياذ بالله – الكذب ، بل وأشار ﷺ أن

---

١٧٠ سورة مريم آية ٤١

١٧١ سورة مريم آية ٥٤

١٧٢ سورة يوسف آية ٤٦

١٧٣ سورة مريم آية ٥٦

المؤمن الحق لا يمكن أن يكذب، فقد سئل النبي ﷺ : أيكون المؤمن جبانًا؟ قال :نعم .قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: (نعم .قيل: أيكون المؤمن كذابًا؟ قال :لا.

والصدق صورٌ متعددة: فالصدق مع الله بإخلاص العبادة لله والالتزام بشرعه، والصّدق مع النّفس بإقامتها على ما يسعدها في الدنيا والآخرة والصّدق مع النّاس في الكلام والوعود والمعاملات من البيع والشراء والنكاح.

وإن من أعظم صور الصدق الصدق في العهد والوعد ، فالصدق في الوعد وفي العهد من فضائل الأخلاق التي يتحلى بها المؤمنون كما قال تعالى: "**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**"[١٧٤] وقال تعالى : **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**"[١٧٥].وكذلك الصدق في البيع والشراء فهو سبب البركة لكلا الطرفين كما قال ﷺ : "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما". فهما صورتان " البركة والنماء والزيادة " أو ذهاب ذلك كله وهذا مبني على الصدق أوالكذب ولك أن تختار !

وقبل ختام هذا الخلق إليك هذا الموقف النبوي :

خرج ﷺ إلى السوق فرأى طعاماً مصبراً فأدخل يده فيه فأخرج طعاماً رطباً قد أصابته السماء فقال : لصاحبه ما حملك على هذا ؟ قال : والذي بعثك بالحق إنه لطعام واحد ، قال : أفلا عزلت الرطب على حدته واليابس على حدته فتتبايعون ما تعرفون ، من غشنا فليس منا.

فما أعظمه من دين وما أكمله من منهج .

---

[١٧٤] سورة المؤمنون آية ٨

[١٧٥] سورة البقرة آية ١٧٧

الفصل الرابع مراقبة الله

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم ، فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق[١٧٦] قبلهما أهلا ولا مالا ، فناء بي في طلب شيء يوما ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، قال النبي ﷺ: وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي ، فراودتهاا عن نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي ﷺ : وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله أد إلي أجري ، فقلت له : كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله فاستاقه

---

١٧٦ أي لا أشرب

فلم يترك منه شيئا ، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) .

إن ثمة رابط مهم بين هؤلاء الثلاثة ألا وهو " مراقبة الله " ، فكل واحد منهم راقب الله وفكر في عمله فالأول راقب الله في والديه ، والثاني تذكر مراقبة الله بسب كلمة قالتها المرأة ، والثالث راقب الله في أجرة العامل مع أنه عمل به وزاد المال إلا انه أعطاه كل المال ولم يأخذ منه شيء .

تلك صورة جميلة للعباد حين يجعلون الله أمام أعينهم ، فكم ستتغير الأحوال لو طبقنا هذا الكلام وراقبنا الله في كل أعمالنا وأحوالنا ومع الجميع.

وها هو جبريل (أفضل الملائكة) يأتي إلى النبي الكريم ﷺ (أفضل البشر) فيسأله ، وإليك الحديث :

فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بياض فنظر القوم بعضهم إلى بعض : ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر ، ثم قال : يا رسول الله آتيك ؟ قال : نعم ، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه فقال : ما الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، قال : فما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله ، قال : فما الإحسان ؟ قال : أن تعمل لله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك). هكذا هو الدين : إسلام ، ثم إيمان ، وأعلى المراتب الإحسان وهو على قسمين :

أن تعبد الله كأنك تراه .وهي أعلى المراتب ثم إن لم تستطع على ذلك فإنه يراك . كن حاضراً وكن على يقين من رؤية الله لك ، يا ترى كم من سلوكياتنا؟ وكم من أقوالنا؟ وكم همومنا؟ وكم من قضايانا؟ ستتغير لو عملنا بهذا المبدأ " فإنه يراك " هل سيقدم صاحب المعصية على

معصيته؟ هل سيغش التاجر في تجارته؟ هل سيشرب الخمر أحد؟ هل ستمارس الزنا امرأة؟ هل سيكذب احد؟ هل سيخون احد ؟ هل سيسهو في صلاته احد؟ هل وهل وهل... كثير من أمورنا ستتغير ، فيا الله كم نحن بحاجة إلى " مراقبة الله " .

ومما يذكر في السيرة أن ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة وأستارها ، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا ؟ وقال الثاني: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع. وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم فهو يسمع إذا أسررتم. فانزل الله تعالى : " **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**"[١٧٧]، نعم والله "بلى" وليس سماع فقط بل أضاف " **وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** " فمع السماع الكتابة تمهيداً للمحاسبة والجزاء يوم القيامة .

وإليك – أخي العزيز – هذه الآية العظيمة " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**"[١٧٨] والآية فيها خبر من الله تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعمله المحيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر، والوسوسة هو حديث النفس أو ما يفكر به الإنسان حتى لو يفعل أو يقل.

فإذا كانت الملاحظة والرقابة بهذا الشكل فحري بالعبد أن يتقي الله تعالى في السر والعلن ، والغيب والشهادة ، فإن الله عليم خبير لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ولا شك أن من اعتقد ذلك وتيقنه حمله على خير كثير ودفع عنه شراً عظيماً ، فالله جل وعلا على كل شيء شهيد.

إن العاقل هو الذي ينظر في أموره ويفكر في عواقبها ، ولتكن على يقين بأن الله لا يظلم أحداً، ومن عدله أن جعل على العبد شهوداً يوم القيامة وهي :

---

[١٧٧] سورة الزخرف آية ٨٠

[١٧٨] سورة ق آية ١٦

١. الأرض: " قرأ رسول الاسلام ﷺ هذه الآية:" **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**"[١٧٩] قال: "أتدرون ما أخبارها؟ ". قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها" .

٢. الملائكة الكرام.

٣. الجوارح : واستمع لذلك الموقف الذي أضحك النبي الكريم -ﷺ – فعن أنس بن مالك قال: كنا عند النبي ﷺ، فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: " أتدرون مم أضحك؟ " قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أجيز عليَّ إلا شاهدًا من نفسي ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حَسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. فيختم على فيه، ويُقال لأركانه: انطقي. فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لَكُنَّ وسُحقًا، فعنكنَّ كنتُ أناضل".

٤. الله : فقد جاء في دستور الإسلام "**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**"[١٨٠].

وهكذا استطاع المنهج الإسلامي أن يبني في العبد المراقبة ، ومن ثم المحاسبة والجزاء ، فجعله يربي نفسه ويُكسِبُها السلوك السوي والإتقان في العمل ، وهذا ما جعل المسلمين الأوائل أفضل الناس ، وسادة العالم في زمانهم ليس في العلوم الدينية فقط بل وحتى العلوم الدنيوية . ولا يزال هذا المنهج قائماً وقابلاً للتطبيق لمن أراد وسعى واجتهد فيحصل على ما حصل لمن قبله من تقدم ورقي وازدهار .

---

[١٧٩] سورة الزلزلة آية ٤

[١٨٠] سورة آل عمران آية ٩٨

الفصل الخامس : التوكل على الله

قضية خطيرة وأمر مهم تحدث عنه القرآن الكريم في أكثر من ٣٠ موضعاً وأشار إليه بأكثر من أسلوب ، كما بينه الرسول الكريم – ﷺ– في حياته قولاً وفعلاً ، بل وأشار إلى فضل عظيم ومنزلة عالية لمن يحقق ذلك وإليك هذه القصة :عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: عُرِضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلين والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فقلت: هذه أمتي. فقيل: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم ، ثم قيل انظر إلى هذا الجانب الآخر فإذا سواد عظيم. فقيل: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض النبي ﷺ فدخل فخاض القوم في ذلك فقالوا: من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب؟ فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا النبي ﷺ ، وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئا قط ، فخرج إليهم النبي ﷺ فقال: هذا الذي كنتم تخوضون فيه فأخبروه بمقالتهم ، فقال: هم الذين لا يَكتوُون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله فقال: أنت منهم ، ثم قام الآخر فقال: إنا منهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة.

الله اكبر دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب ! كيف بتحقيق أربع صفات:

لا يكتوون : أي لا يسألون أحداً أن يكويهم .

لا يسترقون : أي لا يطلبون من احد غيرهم الرقية وهي العلاج المشروع .

لا يتطيرون : أي لا يتشاءمون .

على ربهم يتوكلون أي يكون اعتمادهم على الله فقلوبهم متعلقة بالله مع بذل الأسباب .

ويذكر العلماء أن جامع هذه الصفات الأربع هو الصفة الأخيرة :" التوكل على الله " ، لأن من لا يسأل أحداً الكي فهو متعلق بالله ، ومن لا يطلب من الناس الرقية فهو يطلب من رب الناس ، ومن لا يتشاءم (وهو أمر قلبي) فقلبه متفائل لتوكله واعتماده على الله ، فكان جامع تلك الصفات هو التوكل على الله .

لذا كانت منزلة التوكل منزلة عظيمة فقد أمر الله بها في كتابه يقول الله عز وجل :" **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**"[١٨١] و التوكل على الله هو : الاعتماد على الله عز وجل مع الأخذ بالأسباب .

فحال المتوكل أن قلبه معتمد على الله عز وجل ، وجوارحه تقوم بالأسباب ، فلا ينقض التوكل لبس الدرع في الحروب وقد لبسها عليه الصلاة والسلام ، وإغلاق الباب ، وشد البعير بالعقال ، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :يا رسول الله أأعقل الناقة وأتوكل ،أو أطلقها وأتوكل ؟!قال "اعقلها وتوكل". اعقلها أي : شد ركبة ناقتك مع ذراعيها بحبل وتوكل وهذا من حفظ الناقة بربطها .والتوكل يكون في كل شؤون الحياة صغيرها وكبيرها ، فهو في طلب الرزق وفي العمل وفي تربية البناء وتهذيب النفس وفي العلاج وهكذا.

وكأني بك – أخي الكريم – تفكر فتقول : إن الله قد تكفل برزقنا ، وكتب كل أعمالنا فلم العمل ، وبطريقة أخرى : أليس من التوكل ترك العمل والتكسب ؟

والجواب على ذلك نأخذه من هدي سيد المرسلين وإمام المتوكلين– ﷺ– وإليك بعض ما ورد عنه في ذلك :

ولنبدأ من حديثه عن الطيور ففي حديث النبي ﷺ الذي رواه عمر رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ،تغدو خماصاً وتروح بطاناً". فهي تغدو وتذهب في أول النهار تطلب الرزق تاركة أوكارها وهذا فعل السبب ،تغدو

[١٨١] سورة المائدة آية ٢٣

جائعة ليس في بطونها شيء لكنها ترجع متوكلة على ربها عزوجل ،وتروح بطاناً أي ترجع في آخر النهار ممتلئة البطون، ففي هذا درس في طلب الرزق من وجه حلال بالزراعة والتجارة والصناعة وغير ذلك مما أحل الله .

وفي الحديث السابق قال – ﷺ– للسائل : اعقلها وتوكل فالتوكل يكون بعد العمل وبذل الأسباب.

وأيضاً هل كان من هديه – ﷺ – ترك العمل فلا يبذل أي سبب ويأتيه رزقه للبيت ؟ الجواب : كلا فقد كان يعمل ويبذل ويتحرك ، بل حتى في أكثر الأمور توكلاً وهو القتال مع المشركين كان يبذل من الأسباب بقدر استطاعته تطبيقاً لقوله تعالى : " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** "[١٨٢] فكلمة أعدو تعني : خذوا بأسباب القوة ولا تركنوا وتقولوا نحن متوكلون.

إن ترك التكسب من فعل البطالين الذين آثروا الراحة ، بل هو من مداخل الشيطان على عباد الله ، فهو يريد منهم البعد عن منهج القرآن فيدعوهم إلى ترك الأسباب ويزين لهم ذلك بأنه من التوكل الممدوح شرعاً ، فإياك والوقوع في حبائل الشيطان وكن من عباد الرحمن .

وقد أدرك الصحابة الكرام فقد أدركوا حقيقة التوكل ، وتمثلوه في حياتهم وواقعهم ، فبذلوا الأسباب في كل شؤون حياتهم ، بل وأبدعوا في ذلك وبقيت قلوبهم متعلقة برب الأسباب ، وإليك بعضاً من ذلك : يقول عمر ﷺ :المتوكل الذي يلقي حَبَّه في الأرض ويتوكل على الله . فهو يلقي حبه فلا ينتظر الأرض أن تخرج بلا حبة كما أن الحبة لا تأتي لوحدها فلابد من بذل الأسباب (رمي الحبة) وهو الأمر المقدور ثم تسليم غير المقدور إلى القادر سبحانه.

أما الواقع فلا أحد من عقلاء العالم يقول أجلس في بيتك ويأتيك رزقك ، فلابد من العمل للحصول على الثمرة ، فالذي خلق الإنسان واوجد الأكوان هو الذي أمر بالتوكل .

---

[١٨٢] سورة الأنفال آية ٦٠

وزيادة على ذلك فإن التوكل يزيد من دافعية العبد نحو العمل ، ويجعله يجتهد في السعي ويحاول إتقان العمل ، لعلمه اليقيني بأن من القواعد الربانية في هذه الأرض أن من عمل واجتهد في طلب الرزق ، لتحقيق مصلحة لابد أن يصل إليها بالنهاية – بإذن الله – ، ولعل ما نلمسه من تقدم للغرب أو للشرق في جوانب كثيرة من الحياة خير دليل على ما نقول ، فهم قد عملوا وبذلوا واجتهدوا فحصلوا ووصلوا. واعلم أن المتوكل على الله قوي يستمد قوته من الله فهو يعتقد أن الله معه ، وأنه ناصره لأنه يسير على دربه ومتوكل عليه، وكما قال بعضهم "من سره أن يكون أقوى الناس ،فليتوكل على الله ".والتوكل على الله ثمرة من ثمار الإيمان وهو شحنة نفسية ، تكسب المؤمن قوةً وشجاعة ، وتملؤه بروح التحدي والإصرار، وتشحذ فيه العزيمة والإصرار، نحو العمل .وعلى هذا سار الرسل والأنبياء الكرام ، فهذا نبي الله هود عليه السلام يقول :" **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ** "[١٨٣] وهذا موسى عليه السلام يقول: "**يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ**"[١٨٤] وغيرهم.

وأخيرا فيكفي العبد أن يتوكل على الله ، ليكون الله حسبه وكافيه في أموره الدينية والدنيوية كما قال تعالى:" **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** "[١٨٥].أي من يحقق التوكل بمعناه الصحيح فإن الله حسبه أي كافيه كل أموره الدينية والدنيوية ، و من كان الله كافيه كيف ستكون حياته ؟؟

اسأل الله أن يرزقنا وإياكم صدق التوكل عليه وجميل الاعتماد عليه وأن يجعل قلوبنا متعلقة به وحده وأن يوفقنا للعمل بالأسباب .

تلك نماذج وإشارات إلى بعض أخلاق الإسلام ، فعلى العبد النظر فيها والسعي في تطبيقها وتهذيب نفسه عليها والدعوة إليها فما أجمل أن نجمع العلم والعمل .

---

[١٨٣] سورة هود آية ٥٦

[١٨٤] سورة يونس آية ٨٤

[١٨٥] سورة الطلاق آية ٣

الباب السادس

البناء الاقتصادي

في الإسلام

"**العالم اليوم أصبح جزيرة أغنياء تحيط بها بحار من الفقراء**" .هكذا قال أحد خبراء الاقتصاد العالميين ، وهذا الكلام ليس مبالغاً فيه إذا علمنا أنه يعيش فوق كوكب الأرض ٦ مليار من البشر يبلغ عدد سكان الدول النامية منها ٤،٣ ملياراً، يعيش منها ما يقارب ٣ مليارات تحت خط الفقر وهو دولاران فقط في اليوم، ومن بين هؤلاء هنالك ١،٢ مليار يحصلون على أقل من دولار واحد يوميا!. أي بنسبة ٢١،١% من سكان العالم وفق إحصاءات البنك الدولي: أي ربع سكان العالم ، وأن هناك أكثر من ١٠ ملايين طفل يموتون سنوياً بسبب الفقر .

وفي المقابل تبلغ ثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم ما يعادل الناتج المحلي لأفقر ٤٨ دولة في العالم، كما أن ثروة ٢٠٠ من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل ٤١% من سكان العالم مجتمعين .تلك هي نتائج الاقتصاد العالمي الجديد ، العالم المتحضر المتقدم ، وإليك صورة أخرى :

قال المؤرخون عن عهد عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ ، ٧٢٠ م) : شبع في عهده الجياع ، وكسا الفقراء ، فقد أمر رحمه الله ولاته أن يبدؤوا بتغطية حاجات أقطارهم وما فاض وبقي يُرسل إلى الخزينة العامة ومن قصر دخل إقليمه عن تغطية حاجات أهله أمده الخليفة بما يغطي عجزه ، وراح رحمه الله ينشئ في طول البلاد وعرضها دور الضيافة يأوي إليها المسافرون وأبناء السبيل ، ومضى يرفع مستوى الأجور الضعيفة ، وكفل كل حاجات العلماء والفقهاء ، ليتفرغوا لعلمهم ورسالتهم دون أن ينتظروا من أيدي الناس أجراً وأمر لكل أعمى بقائد يقوده ويقضي له أموره على حساب الدولة ، ولكل مريض أو مريضين بخادم على حساب الدولة ، وأمر ولاته بإحصاء جميع الغارمين فقضى عنهم دينهم ، وافتدى أسرى المسلمين، وكفل اليتامى ،ووصل الأمر أن الأغنياء يخرجون بزكاة أموالهم فلا يجدون فقيراً يأخذها.

إنه الإسلام المنهج الرباني ، المنهج المتكامل في كل جوانبه ومنها البناء الاقتصادي للإنسان ، لقد قدم الإسلام للبشرية نموذجاً رائعاً ، وهذا النموذج يعتمد على عدة ثوابت منها :

- ✓ الدعوة إلى العمل (مهما كان) وبيان أن العمل شرف ، فلا ينبغي للمسلم أن يعتمد على غيره ، بل عليه أن يجتهد ويكون هو صاحب اليد العليا وهي اليد المعطاة ، وليس اليد السفلى وهي التي تأخذ فقد قال رسول الإسلام ﷺ : " اليد العليا خير من اليد السفلى "ومن هنا كان حرص أصحاب المنهج الرباني الرقي بالنفس والتعفف عن الطلب ، والسعي ليكون هو الباذل وليس الآخذ ومن ذلك ما جاء في هذه القصة : يروى أن شقيقاً البلخي، ذهب في رحلة تجارية، وقبل سفره ودَّع صديقه إبراهيم بن أدهم حيث يتوقع أن يمكث في رحلته مدة طويلة، ولكن لم تمض إلا أياماً قليلة حتى عاد شقيق ورآه إبراهيم في المسجد، فقال له متعجباً: ما الذي عجّل بعودتك؟ قال شقيق: رأيت في سفري عجباً، فعدلت عن الرحلة، قال إبراهيم: خيراً ماذا رأيت؟ قال شقيق: أويت إلى مكان خرب لأستريح فيه، فوجدت به طائراً كسيحاً أعمى، وعجبت وقلت في نفسي: كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان النائي، وهو لا يبصر ولا يتحرك؟ ولم ألبث إلا قليلاً حتى أقبل طائر آخر يحمل له العظام في اليوم مرات حتى يكتفي، فقلت: إن الذي رزق هذا الطائر في هذا المكان قادر على أن يرزقني، وعدت من ساعتي، فقال إبراهيم: عجباً لك يا شقيق !، ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى الكسيح الذي يعيش على معونة غيره، ولم ترض أن تكون الطائر الآخر الذي يسعى على نفسه وعلى غيره من العميان والمقعدين؟ أما علمت أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟ فقام شقيق إلى إبراهيم وقبّل يده، وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق، وعاد إلى تجارته.

- ✓ الإرشاد إلى الأكل من عمل اليد وأنه من أفضل الطعام فقد قال رسول الإسلام ﷺ : " ما أكل أحداً طعاماً قط . خير من أن يأكل من عمل يده "
- ✓ توضيح أن العمل مارسه أفضل الخلق وهم الرسل والأنبياء ، وفي هذا قدوة حسنة لكل إنسان أن يعمل ويجتهد ، بل إن الأنبياء عملوا بالمهن اليدوية وليس في ذلك إهانة للنفس فهذا نبي الله داود (عليه السلام) كان يأكل من عمل يده و زكريا (عليه السلام) كان نجارا ورسول الإسلام (ﷺ) كان يرعى الغنم وغيرهم.
- ✓ النهي عن المسألة وذمها والوعيد الشديد لمن يمارسها فقد قال رسول الإسلام : " لأَنْ يحطب أحدكم على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه " وقال أيضاً : " من سأل الناس أموالهم تَكثُّراً فإنما يسأل جمراً، فليستقلَّ، أو ليستكثر".
- ✓ تحريم الغش والكذب والخداع والغصب والسلب والسرقة والنصب والمقامرة والربا في المعاملات عموماً ، بل جاء التهديد الوعيد لكل من يأكل المال الحرام فمن ذلك لا يستجاب له دعوة ويحرم بركة الرزق مع العذاب الشديد يوم القيامة.

والإسلام يعترف بالتفاوت المالي بين الناس فمن المستحيل أن يكون الجميع بنفس المستوى من المعيشة ، لذا شرع مبدأ التكافل الاجتماعي المالي حتى لا يتكدس المال عند فئة محدودة ، ومن أجل ذلك شرع عدة أمور :

١. إيجاب الزكاة على الأغنياء وجعلها من أركان الإسلام (كما ذكرنا في أركان الإسلام). وتوضح الدراسات أن ثلاثة من أغنى أغنياء العالم لو ساهموا بـ ١% من ثرواتهم لغطّت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي.

٢. الدعوة إلى الإنفاق والتصدق وجعله من القربات التي يتقرب بها إلى الله وحده كما جاء في دستور الاسلام " **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ**

فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[١٨٦] ، فالمضاعفة إلى ٧٠٠ ضعف ، لذا نجد من تربّى على هذا المنهج ينفق الشيء الكثير وخاصة عند الحاجة فمما يُذكر في التاريخ أن الناس في المدينة (عاصمة المسلمين الأولى) وبعد وفاة الرسول الكريم ﷺ بفترة قصيرة أصابهم الجوع والحاجة إلى الطعام ، وفي هذه الأثناء قدمت قافلة لأحد التجار (واسمه عثمان بن عفان ﷺ) محملة بالطعام الوفير والخير الكثير ، فلما علم تجار المدينة ذهبوا إلى عثمان يساومونه على الربح في بيعها ، وأدعك مع الحوار بينهم :

التجار : نعطيك على العشرة اثنا عشر ، فقال عثمان : هناك من زادني أكثر .

التجار : نعطيك على العشرة خمسة عشر ، عثمان : هناك من زادني أكثر .

التجار : مَن زادك ونحن تجار المدينة ؟ فقال عثمان : الله ، فقد أعطاني بكل درهم عشرة ، فهل عندكم من زيادة . فسكت التجار

فقال عثمان : أشهدكم أني جعلتها كلها صدقة لله على الفقراء والمحتاجين .

٣. الحث على الإنفاق على فئات معينة معرضة للفقر مثل الأيتام والمساكين والأرامل ، فقد قال رسول الإسلام ﷺ : أنا وكافل اليتيم كهاتين " وأشار إلى أصبعيه السبابة والإبهام". ومنه الصدقة الجارية كما قال ﷺ : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: وذكر منها صدقة جارية ".

وهكذا استطاع الإسلام بناء منهج اقتصادي واقعي ، يرتقي بالنفس البشرية ويزرع فيها القيم النبيلة دون أن يتعارض مع حظوظها في حب المال والرغبة في الاستزادة منه ، ذلك لأنه منهج رباني لا بشري.

---

١٨٦ سورة البقرة آية ٢٦١

الباب السابع

البناء الاجتماعي

في الإسلام

- ✓ في عام ١٩٩٥ م وبعد أن توجهت المانيا للنظام الرأسمالي المنفتح شهدت ٣٣ ألف حالة اختفاء للآباء عن أبنائهم، وأن ١٢٧ ألفاً آخرين أنكروا أبناءهم لكي لا ينفقوا عليهم.
- ✓ بلغت حالات الاعتداء على الأطفال في أمريكا للعام ١٩٨٣ م مليون حالة اعتداء، وما بين (٤- ٥) ملايين حالة اعتداء جنسي.
- ✓ يُغتصب يومياً في أمريكا ١٩٠٠ فتاة ،٢٠% منهن يغتصبن من قبل آبائهن،
- ✓ بلغت نسبة الطلاق في أمريكا ٦٠% من عدد عقود الزواج.
- ✓ عدد حالات الانتحار في العالم تصل إلى أكثر من ٨٠٠ ألف حالة وذلك كل عام ، أي أنه في كل ٤٠ ثانية هناك شخص ينتحر في مكان ما من هذا العالم! ، وحسب إحصاءات الأمم المتحدة فإنه في أية لحظة ننظر إلى سكان العالم نجد أن هنالك ٤٥٠ مليون شخص يعانون من اضطرابات نفسية وعصبية. وأكثر من٩٠% من حالات الانتحار تكون بسبب اضطرابات نفسية وتحديداً الكآبة، أي فقدان الأمل الذي كان موجوداً لديهم .

ولا أظن أننا نبالغ حينما نقول إن من أهم الأسباب في هذا التخبط الاجتماعي للعالم هو فقدان المنهج الصحيح والذي يحقق للإنسان الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي ، وكما يقول علماء الاجتماع فإن الإنسان مدني بطبعه أي أنه يسعى ويجتهد في تكوين مجتمع مع غيره .

و الدين الإسلامي دين حياة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، ومن مقتضيات الحياة أن يعيش الإنسان مع غيره من البشر يتعامل معهم ، ويفرح معهم ويضحك ، معهم ويتعاون معهم ويحزن معهم ، ولا يمكن أن تكون حياة بلا اجتماع ، ومن هنا فمن مستلزمات الرسالة الحق والدين الحق أن يُرشد العبد ويُبين له كيف يكون : "البناء الاجتماعي السعيد" الملتزم بقواعد الفضيلة والمبتعد عن الرذيلة .

ونظراً لتشعب مواضيع " البناء الاجتماعي في الإسلام " فسنجعله على شكل دوائر تحيط بالإنسان ، وسنذكر كل دائرة في فصل مستقل لتوضيحها وبيان محتواها .

الفصل الأول : دائرة الأسرة السعيدة

الأسرة هي المحور الأساس في المجتمع ، والحديث عن الأسرة يقودنا إلى بداية التاريخ البشري حيث قال الله تعالى : " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** "[١٨٧] ومعنى خليفة أي قومٌ يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل. لقد اقتضت حكمة الله سبحانه حفظ النوع البشري، وبقاء النسل الإنساني؛ إعماراً لهذا الكون الدنيوي، وإصلاحاً لهذا الكوكب الأرضي، فشرع بحكمته – وهو أحكم الحاكمين – ما ينظم العلاقات بين الجنسين الذكر والأنثى، فشرع الزواج بحكمه وأحكامه، ومقاصده وآدابه، إذ الزواج ضرورة اجتماعية لبناء الحياة، وتكوين الأسر والبيوت، وتنظيم أقوى العلاقات، واستقامة الحال، وهدوء البال، وراحة الضمير.

يبدأ الزواج بالاختيار وغالباً يكون الرجل هو الطرف الأول في بداية الاختيار ، لذا فقد حث رسولنا الزوج بحسن الاختيار فقال : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين " ، وهكذا تكون اللبنة الأولى في بناء الأسرة مبنية على الدين من الطرفين ، فبيت السعادة أساسه التوفيق الرباني وأهم أسباب التوفيق (الدين) .

ومن أجل ضمان استمرار العلاقة الزوجية السليمة والسعيدة فقد جعل الإسلام لكل من الزوجين حقوقاً كما جعل عليه واجبات، يجب أن يعلمها كلا الطرفين ، حتى يؤدي ما عليه من واجبات خير أداء، ويطلب ما له من حقوق بصورة لائقة ، وإذا علم الزوج والزوجة ما له وما عليه، فقد ملك مفتاح الطمأنينة والسكينة لحياته، وتلك الحقوق تنظم الحياة الزوجية، وتؤكد حسن العشرة بين الزوجين، ويحسن بكل واحد منهما أن يعط قبل أن يأخذ، ويفي بحقوق

---

١٨٧ سورة البقرة آية ٣٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شريكه باختياره طواعية دون إجبار، وعلى الآخر أن يقابل هذا الإحسان بإحسان أفضل منه ، فيسرع بالوفاء بحقوق شريكه كاملة من غير نقصان .ولما كان الوالدان هما حجرا الأساس في بناء الأسرة وتنشئة الجيل فقد اعتنى الإسلام بالأبناء ، ونظّم العلاقة بينهم وبين آبائهم بحيث تسير سفينة الأسرة بأمان في بحر المجتمع ومتغيراته ، فحث الوالدين على الرعاية والاهتمام بالأبناء ، وحسن التربية. وفي المقابل فقد أوجب الإسلام على الأبناء حقوقاً للوالدين ، وبين أن حق الوالدين كبير فمن ذلك : الإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن ، وامتثال أمرهما في غير معصية اللّه ، ، وأن يحسن لهما القول ، ويبسط لهما الوجه ، ويقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ، ولا يتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ، ولا يستثقل ذلك منهما ،والآيات والحديث كثيرة جداً ، وهي أكثر من نحصيها في هذه الورقات وسنشير إلى بعضهما :

١. قرن الله الإحسان إليهما مع الأمر بعبادته قال تعالى : (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**"[١٨٨].

٢. جعل ﷺ بر الوالدين ثاني أحب عمل ، فقد سُئل ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال : (الصلاة على وقتها). قيل : ثم أي؟ قال : (بر الوالدين) .

٣. أمره ﷺ بوصلهما ولو كانا مشركين ، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت عليَّ أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قدمت عليَّ أمي وهي راغبة (أي راغبة في أن أصلها بشيء) أفأصل أمي يا رسول؟ الله: (قال نعم صلي أمك)[١٨٩] فأمرها النبي ﷺ أن تصل أمها مع أن أمها مشركة.

---

١٨٨ سورة الإسراء آية ٢٣

١٨٩ رواه البخاري

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤. بيانه ﷺ أن الوالدين أولى الناس بحسن الصحبة ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي أو صحبتي؟ قال ﷺ : (أمك). قال ثم مَن؟ قال : (أمك). قال : ثم مَن ؟ قال (أمك). قال : ثم مَن ؟ قال : (أبوك).

إن لبر الوالدين منزلة عظيمة وثمار جليلة ليس في الآخرة فقط بل حتى في الدنيا ، فهي تزيد في الرزق وتبارك في العمر والعمل ، وقبل أن نختم الحديث عن الأسرة إليك القصة التالية :

امرأة غاب عنها زوجها في ليلة ، فنامت وهي تحضن بين يديها طفلها الرضيع وقد نام بجوارها طفلتيها الصغيرتين ،وأمها الطاعنة في السن وفي جوف الليل تستيقظ تلك المرأة على صياح وضوضاء ، أبصرت فإذا بحريق شب في أسفل تلك العمارة ، وإذا برجال الإطفاء يطلبون من الجميع إخلاء العمارة إلى السطح ،فقامت تلك المرأة وأيقظت صغيرتيها ، وصعدتا إلى أعلى العمارة ، ثم بقيت تلك الأم بين الرضيع الذي لا يستطيع حِراكا ، وإلى أمها الطاعنة في السن العاجزة عن الحركة والنيران تضطرب في العمارة وقفت متحيرة أتقدم البر ؟ أم تقدم الأمومة ؟ وبسرعة قررت بأن تبدأ بأمها قبل كل شيء وتترك صغيرها ، حملت أمها وصعدت بها إلى سطح العمارة وما إن سارت في درج تلك العمارة إلا وإذ بالنيران تداهم شقتها وتدخل على صغيرها وتلتهم تلك الشقة وما فيها..... تفطر قلبها وسالت مدامعها وصعدت إلى سطح العمارة لتضع أمها ، وتتجرع غصص ذلك الابن الذي داهمته النيران على صغره.. أصبح الصباح وأخمد الحريق وفرح الجميع إلا تلك الأم ، و مع بزوغ الفجر إذ برجال الإنقاذ يعلنون عن نجاة طفل بفضل الله . أتدرون من هو الطفل إنه طفلها الرضيع .

وهكذا تنتظم العلاقة الأسرية بين الزوجين وبين الأبناء ووالديهم ، فتخرج للمجتمع أسرة سعيدة مستقرة .

لكن المجتمع ليس أسرة فقط بل هناك أطراف أخرى في المجتمع ، فكيف نظم الإسلام تلك العلاقات الأخرى ؟

الفصل الثاني: المجتمع

جاء رجل إلى رسول الإسلام ﷺ فقال :يا رسول الله إن فلانة فذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال ﷺ : هي في النار. قال : يا رسول الله فإن فلانة فذكر من قلة صيامها وصلاتها لكنها لا تؤذي جيرانها. قال ﷺ : هي في الجنة.

تلك هي الدائرة الثانية في العلاقات الاجتماعية وهي دائرة الجيران، فالمسلم يسعى في مساعدة جاره وعدم أذيته بأي أسلوب وبأي طريقة ، فتلك المرأة الأولى تصلي وتصوم كثيراً وتفعل الكثير من الأعمال الصالحة إلا أنها تؤذي جيرانها ، فكانت النتيجة العجيبة الغريبة والتي قد لا يتوقعها الكثير فقال ﷺ : هي في النار . نعم فالصلاة والصيام والعمل الصالح يجب أن يهذب النفس ويرتقي بها لتكون ذات أخلاق عالية وسامية ، ومن تلك الأخلاق حسن العلاقة مع جيرانها فلما لم تحقق تلك النتيجة كان ذلك سبباً في دخولها النار ، وفي المقابل امرأة أخرى ليس لديها كثير صلاة ولا صيام ولا عمل صالح لكن لديها خصلة حميدة وهي عدم أذية جيرانها بلسانها فالنتيجة هي في الجنة .

هكذا هو الدين الإسلامي ، فهو يسعى في توثيق الصلات بين الجيران والتعاون معهم على البر والتقوى وأقل تلك الدرجات عدم أذيتهم ، ليس هذا قاصراً على الجار المسلم بل حتى غير المسلم ، فقد كان هناك غلاماً يهودياً كان يضع الوضوء للرسول ﷺ ، فمرض ، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال له النبي ﷺ : يا فلان ، قل : لا إله إلا الله ، فنظر إلى أبيه ، فسكت أبوه ، فأعاد عليه النبي ﷺ ، فنظر إلى أبيه ، فقال أبوه : أطع أبا القاسم ، فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي أخرجه من النار.

تلك هي أخلاقنا وذاك هو ديننا فمع اختلاف الدين تبقى علاقة الجيرة والنصح له ، فالرسول ﷺ زار جاره وهو يهودي كما أنه غلام وهو الأكبر منه سناً وقدراً ، فما أعظمه من منهج .

وإذا تجاوزنا الدائرة الثانية إلى الدائرة الثالثة من المجتمع وهي بقية أفراد المجتمع نجد أن الإسلام قد وضع أسلوباً متميزاً وأخلاقاً رفيعةً كفيلةً – بإذن الله – أن تجعل ذلك المجتمع سعيداً فيكون ذلك المجتمع كما قال رسول الإسلام " كالبنيان المرصوص "، لذا ألزم المسلم بحقوق لأخيه تسهم في زيادة الترابط والتآخي والمحبة ، وتجعله يشارك أخاه في أفراحه وأحزانه وهمومه ومشاكله، فمن تلك الحقوق : السلام وهي التحية التي تعبر عن الحب والقبول ، وكذلك تبادل الزيارات وخاصة في المناسبات سواء كان حزينة مثل حين يكون أحدهما مريض فمن المعروف أن المريض يحتاج إلى من يتحدث معه ويرفع معنوياته ويواسيه ويشد من أزره ، فهذه من أهم الأمور ليتجاوز المريض مرضه بسلام ويتعافى منه –بإذن الله،وكذلك عند موت أحد أقاربه أو محبيه فعلى المسلم مواساة أخيه والدعوة له والوقوف معه في محنته ، وفي الجانب الآخر المناسبات السعيدة مثل الزواج فعلى المسلم أن يشارك أخاه أفراحه ويستجيب لدعوته للمشاركة في تلك المناسبة،ومن الحقوق أيضاً : النصح لأخيه وخاصة حين يطلب منك أخوك النصح ، ففي هذا الحالة يتأكد النصح له ويلزمك أن تستجيب لطلبه وتحقيق غرضه ، فتنصحه بما تراه وبأسلوب لطيف وجميل يحقق الهدف ويزيد الحب .

ونظراً لما يمكن أن يحدث بين أفراد المجتمع من مشاكل فإن الإسلام ساهم وبصورة كبيرة في تطهير النفس من الكبر والتعالي على الآخرين مهما كان لونهم أو شكلهم أو منصبهم وإليك بيان ذلك :

يحدث خلاف بين اباذر (العربي الأصيل) و بلال بن رباح (الحبشي الأسود) ومع الغضب وارتفاع الصوت يقول أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء. فما كان من بلال إلا أن ذهب إلى

الرسول الكريم ﷺ فأخبره بما قال أبا ذر ، فيقول ﷺ لأبي ذر : أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية . فيقول أبا ذر : أبعد هذا السن وبعد تلك السنوات في الإسلام ؟ فما كانه منه إلا أن ذهب إلى بلال ويضع نفسه بين يديه ثم وضع خده على الأرض وطلب من بلال وقال له : ادعس عليّ. فيرفض بلال. ويقول أبا ذر لابد أن تفعل لابد أن تخرج تلك الجاهلية ، فما كان من بلال إلا أن رفع أخاه أبا ذر عالياً وتعانقا.

وأخيراً ثمة دائرة رابعة كبيرة وهي المجتمع كله ، فالإسلام لم يغفل تلك الدائرة ، ففرض على المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذه الدائرة يشترك فيها الجميع فهي من وإلى الجميع ، باختلاف مستوياتهم ، وهي توجب على المسلم أن يسهم في دفع عجلة المعروف (وهو كل ما يسهم في نهوض المجتمع وفق المنهج الرباني) بكل ما يستطيع وبأفضل أسلوب ممكن ، وفي المقابل يجتهد كل مسلم في النهي عن المنكر (وهو كل ما يسهم في تأخر المجتمع وتفككه وبعده عن المنهج الرباني) بقدر استطاعته سواء بالكلام أو الكتابة أو الأفعال المجردة.

وباكتمال تلك الدوائر الأربعة (الأسرة والأقارب ، الجيران ، المجتمع القريب ، المجتمع الكبير) تكون صورة المجتمع الحقيقي السعيد الملتزم بالمنهج الرباني يكون بناء المجتمع في الإسلام قد تمت.

ومن أجل حماية هذا المجتمع من العابثين ، فقد شرع الإسلام العقوبات والحدود التي تكفل حرية الإنسان وتضمن له دينه ونفسه وماله وعقله وكل ضرورياته ، وتعاقب كل من يعتدِ على ذلك ، وزاد الأمر بأن وضع شرائع يلتزم بها المسلمون حتى في حالة الحرب وإليك الموقف التالي :

في عهد عمر بن عبد العزيز فتح الله على الجيش الإسلامي مدينة سمرقند (إحدى دول الاتحاد السوفيتي السابق) ولم يمهل قائد الجيوش الإسلامية وكان اسمه (قتيبة ابن مسلم) لم يمهل أهل المدينة ثلاثة أيام وكان من ضمن شروط الحروب الإسلامية إمهال أهل المدن التي يريد أن

يفتحها المسلمون ثلاثة أيام ، يختار فيها أهل المدينة إما الإسلام وإما أن يدفعوا الجزية وإما أن يُقاتلوا. فدخل الجيش الإسلامي مدينة سمرقند بدون أن يمهل أهلها ثلاثاً فقام أهل سمرقند بإرسال رسول يحمل شكواهم إلى والي المسلمين وهو عمر ابن عبد العزيز .. فقال هذا الرسول : ذهبت أقطع الطرق والبلاد حتى وصلت إلى دمشق عاصمة الخلافة ، ودخلت أعظم بناء في المدينة فوجدت أناساً يركعون ويقومون ويسجدون ، فسألت أحدهم : أهذه دار الوالي؟ فقال : لي لا هذا المسجد أما صليت ؟ قلت : له ما صليت قط إنني على دين أهل سمرقند ،ثم قال لي : أسلك ذلك الطريق ففي نهايته بيت تلك دار الوالي. فذهبت فإذا بي أجد رجلاً قد ارتقى سلماً بأعلى الدار يصلح داره : فقلت له : إني رسول لك من أهل سمرقند وسلمته الرسالة، فقرأها ثم قلبها وكتب عليها من الخلف: من عبد الله (عمر بن عبد العزيز) إلى عامله على سمرقند أن نصِّبْ قاضياً ينظر في الشكوى و ختمها ثم أعطاني الرسالة. فانطلقت من عنده وأنا أحدث نفسي بأن أرمي هذه الورقة فماذا ستفعل هذه الورقة في إخراج الجيوش العرمرم الجرارة التي دخلت مدينة سمرقند ولولا أني قد خشيت ألا يصدقني أهل سمرقند لكنت ألقيتها ، ثم وصلت إلى سمرقند وسلمت أهلها الرسالة وحينما قرأوها ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .. وقالوا ماذا تفيد هذه الورقة .. ثم ذهبوا إلى الوالي المسلم عليهم وسلموه الرسالة .. فنصَّبَ الوالي قاضياً في الحال ، وجاء القاضي بأطراف النزاع من أهل سمرقند فسألهم : ما دعواكم يا أهل سمرقند ؟ فقالوا : اجتاحنا قتيبة بن مسلم ولم يمهلنا ثلاثة كعادة المسلمين ... فقال القاضي لنائب قتيبة (فقد مات قتيبه) : ما ردك ؟ فقال : لقد كانت أرضهم خصبة وقد خشي قتيبة – رحمة الله – أن يتحصنوا ويتمنعوا داخل مدينتهم فباغتهم ودخل عليهم. فقال القاضي :لقد خرجنا ندعو إلى الله ولم نخرج لأخذ الأرض أشراً وبطراً ، وحكم بأن يخرج الجيش الإسلامي من المدينة. ولم يصدق أهل مدينة سمرقند وظنوا أن الأمر مجرد كلام ، وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد خرج جيش المسلمين جميعاً .. وبعثوا برسالة إلى أهل سمرقند يمهلونهم فيها ثلاثة أيام إما أن

يسلموا أو يدفعوا الجزية أو الحرب. ففطن أهل سمرقند بأن هذا الدين هو دين رحمة وعدل ، ففتحوا أسوار مدينتهم ، وأسلم من أسلم وهادن من هادن وانضمت أراضي سمرقند إلى الخلافة الإسلامية. فهل سمع البشر على مدى تاريخهم الطويل بمثل هذا الموقف .

إن ما ذكرناه ليس صورة مثالية ولا حلم يراود المصلحين العقلاء من العالمين ، لكنها حقيقة قابلة للتطبيق بل طبقها المسلمون في فترة من الزمن وكانت نتائجها تذهل المنصفين من والباحثين ، ولعل السر في ذلك والله أعلم هو زراعة المراقبة الربانية في النفس البشرية والتي تجعله دائم المراقبة والملاحظة حتى لو كان الرقيب البشري غائباً ، وليس لدى البالغين فقط بل الجميع .

لقد قدم الكثير من الفلاسفة القدماء والمعاصرين العديد من النظريات الجميلة ولكنها كانت تمثل أحلاماً وردية لم تظهر للنور تطبيقاً ولم يستطع حتى أصحابها تحويلها إلى واقع ملموس.

أما المنهج الإسلامي فقد قدم طرحاً نظرياً جميلاً مرتبطاً بحياة الإنسان قابلاً للتطبيق على مدار الزمان والمكان ، واتبعه بنموذج عملي من الرسول الكريم ﷺ فهو القدوة والأسوة في تطبيق ذلك المنهج على أرض الواقع ، ليس هذا فحسب بل استطاع المنهج الإسلامي أن يصنع نماذج بشرية ع عديدة على أرض الواقع ، عاشت مع الناس وتعاملت معهم ولم تكن في معزل عن الناس ولا عن العالم لا مكاناً ولا زماناً .

وبذلك يكون البناء الاجتماعي قد وضحت معالمه وبان صلاحه ومن يريد الاستزادة فعليه الرجوع إلى الكتب المفصلة في البناء الاجتماعي في الإسلام.

الباب الثامن

من المنهيات

في الإسلام

من طبائع النفس البشرية أنها تحتاج إلى ترغيب وترهيب ، فهي ترغب وتخاف ، وهذان العنصران مهمان جداً ليكتمل البناء النفسي ، فثمة فريق من الناس يكون دافع الرغبة لديه كاف لأن يعمل ويبذل ويجتهد بل ويتقن في عمله ، وهناك فريق يحتاج مع ذلك إلى عنصر الترهيب والتهديد والوعيد لكي يتجنب الأعمال السيئة.

والإسلام دين للناس كافة ، لذا كان في الإسلام ترغيب وترهيب، فهو قد رغَّب وحثَّ على الكثير من الأعمال ورتب عليها الأجور العظيمة ، وفي المقابل حذر من بعض الأعمال والسلوكيات ورتب عليها العقوبات .

وقد أشرنا فيما سبق إلى الكثير من الأعمال التي رغب فيها الإسلام وحث عليها سواء كانت أركاناً أو أخلاقاً أو غيرها ، ولكي تكتمل صورة الإسلام في الأذهان لابد من بيان المنهيات في الإسلام ، ونظراً لكثرة المنهيات وتنوعها فإنا قد اخترنا ما نراه أخطر المنهيات وأكثرها أثراً في حياة العباد الشخصية والجماعية ، و أوضحنا موقف الإسلام من تلك الخصال وكيف حاربها .

الفصل الأول الظلم

ادّعت امرأة على الصحابي الجليل سعيد بن زيد ﷺ بأنه أخذ شيئاً من أرضها ،فخاصمته إلى القاضي. فقال سعيد : ما كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول اللهﷺ . فقال : وما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : سمعت رسول الله – ﷺ– يقول : " من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقّه إلى سبع أراضين ".ثم قال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فاعمّ بصرها واقتلها في أرضها . فذهب بصرها . ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت .

هذه قصة حقيقية و ليست من نسج الخيال ومثلها كثير في حياتنا ، فهي ليست خاصة بالصحابة الكرام بل لعموم الناس فالقضية الكبرى والأمر الخطير في هذه القصة هو " الظلم " أي ظلم المرأة لسعيد ﷺ ،كيف لا وقد قال الرسول الكريم – ﷺ- : " ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين . "

الله أكبر الرب يتوعد الظالمين ، الله القوي القاهر الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير ، إنها رسالة نوجهها إلى كل الظالمين وكل من يفكر في الظلم رسالة تحذيرية من الباري سبحانه ، فهل نعي تلك الرسالة .

أظنكم – إخوتي القرّاء – عرفتم خطورة موضوعنا أنه " الظلم ".

فما هو الظلم ؟ وما أنواعه ؟ وما مخاطره في الدنيا والآخرة ؟ وكيف نتجنبه؟

أما الظلم فهو : تجاوز الحد والتعدي على حقوق الغير بغير وجه حق .

فكل من تجاوز الحد الشرعي في أمر من الأمور فقد ظلم حتى لو كان ذلك في العبادة الشرعية مثل الوضوء ، فمن زاد عن غسل أعضاءه ثلاث مرات قال عنه الرسول الكريم – ﷺ– :" فقد تعدى وأساء وظلم " ومن باب أولى الأمور الأخرى في حياتنا اليومية .

وكذلك من اعتدى على حقوق الآخرين بأخذ أموالهم أو أراضيهم أو ممتلكاتهم أو حتى الكلام فيهم فقد ظلم ، وإن كان شيئاً قليلاً وإليك هذا الحديث العظيم :

قال ﷺ :" من اقتطع حق أمرىء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار ، وحرّم عليه الجنة ". فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : "وإن كان قضيباً من أراك ". وقضيب الأراك هو عود من نبات يسمى الأراك يستخدم في السواك .

وأما أنواع الظلم ، فقد بين العلماء – رحمهم الله – أن الظلم على ثلاثة أنواع :

١ / **ظلم الإنسان بينه وبين الله** ، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق .

٢ / **ظلم الإنسان بينه وبين الناس** ، وهو الذي ما يتحدث عنه العلماء وهو أكثر ما يتبادر على ذهن الناس حين يُذكر الظلم ، وهو المعني بقوله تعالى: " **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** "[١٩٠] وهو درجات يختلف بحسب المظلمة و المظلوم ومقدار الظلم ، ولكن كله منهي عنه ومحذر منه وداخل في الوعيد الرباني .

٣ / **وهو ظلم العبد لنفسه** بعمل المعاصي والتقصير في الطاعات وهو المقصود في قوله تعالى : " **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** (٣٢) [١٩١]

---

[١٩٠] سورة الشورى آية ٤٠

[١٩١] سورة فاطر

وكل الأنواع الثلاثة ترجع في الحقيقة على النوع الثالث (ظلم العبد لنفسه) فإن أول ما يهم العبد بالظلم فإنه يظلم نفسه .

ونظراً لخطورة الظلم وعواقبه المشينة فقد ذكر في القرآن الكريم في أكثر من ١٩٠ موضعاً وفي أكثر من ١٠٠ من الأحاديث النبوية الشريفة وبطرق متنوعة ومختلفة قد اشرنا إلى بعضها .

والعاقل هو الذي يستجيب لتلك النصائح الربانية والأحاديث النبوية، فيجتهد في التخلص من الظلم ويحاول التعرف على الوسائل المعينة – بعد الله- على ذلك ، ومن أهم وسائل تجنب الظلم والاستجابة للرب سبحانه تذكر العواقب الوخيمة للظلم وآثاره السيئة على العبد ومنها :

- ✓ قبول دعوة المظلوم على الظالم فقد قال – ﷺ- "واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ".
- ✓ عصيان الله سبحانه ومعصيته ، حيث قال في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ".
- ✓ الاقتصاص من المظلوم ، فقد قال الرسول الكريم – ﷺ- : " من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه " . وفي حديث آخر : " قال رسول الله ﷺ "أتدرون من المفلس ؟!"قالوا المفلس من لا درهم له ولا متاع .قال :" المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ،فيأتي قد شتم هذا ،وقذف هذا ،وأكل مال هذا ،وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ،فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخِذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ،ثم طُرِح في النار ". لا حول ولا قوة إلا بالله ، ذهب أجر الأعمال الصالحة لظلمه الناس ، فهل هناك أسوء من ذلك؟!.

- ✓ تجرد الظالمين من الناصر والمعين ، فلا صديق ولا أخ ولو كان صديقاً مقرباً قال الله تعالى " **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** "[١٩٢] فلا يجد الظالم يوم القيامة حميماً ولا صديقاص ينجيه من عذاب الله ، ولا يجد شفيعاً يشفع له فيطاع ،فهو منبوذ بظلمه وعدوانه
- ✓ حصول الظلمات يوم القيامة ، ففي الحديث عن جابر ﷺ أن رسول الله – ﷺ– قال :"اتقوا الظلم ،فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " لاحظ إنها ظلمات وليست ظلمة واحدة ، نعوذ بالله من ذلك .

فعلى المسلم أن يبتعد عن الظلم ، بل وأبعد منه أن يسعى في نصرة المظلوم من الظالم ومدافعة الظلم بقدر ما يستطيع وبالحكمة ، فعن جابر قال: لما رجع إلى رسول الله – ﷺ– مهاجري الحبشة ، قال:"ألا تحدثوني، بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟" قال فتية منهم: بلى. يا رسول الله! بينا نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء. فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرت على ركبتيها. فانكسرت قُلَّتها. فلما ارتفعت، التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين. وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك، عنده غداً.قال: يقول رسول الله ﷺ :" صدقت: صدقت. كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديد هم؟".

لقد بلغت من حكمة الله وعدله أن يقتص من الظالم حتى لو كان من البهائم ، فعن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ :"لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ".

---

[١٩٢] سورة غافر آية ١٨

فكل شيء مكتوب حتى أعمال البهائم مكتوبة في اللوح المحفوظ فيقتص للشاة الجلحاء (التي ليس لها قرن)من الشاة القرناء (التي لها قرن)، وهذا من كمال عدل الله سبحانه فقد أراد أن يُرِيَ عباده عدله حتى في البهائم العجم فكيف ببني آدم.

وصور الظلم كثيرة ومتنوعة وهي تتجدد بتجدد الأحوال والأزمان ، ومن صور الظلم التي يتساهل فيها الكثير من الناس : المماطلة وهي تأخير سداد الدين بلا سبب وإنما من أجل إطالة المدة فقد عد الرسول الكريم ﷺ هذا النوع من العمل ظلم فقد قال ﷺ : "مطل الغني ظلم ". وما أكثر الذين يماطلون في حقوق الناس .يأتي إليه صاحب الحق فيقول :يا فلان أعطني حقي فيقول له :غداً،فيأتيه من غد فيقول :بعد غد وهكذا يماطله .

الفصل الثاني أم الخبائث

قضية أرّقت الشرق والغرب والشمال والجنوب ، في قديم الزمان وحاضره وأظنها ستسمر مستقبلاً إن لم تتدارك البشرية نفسها و تجتهد في النجاة من تلك الظاهرة وذاك الداء ، ولتصور تلك القضية استمع لتلك القصة وحاول أن تتخيل ما يحدث فيها فهي قصة حقيقية معاصرة وليست من نسج الخيال :

دخل شاب إلى منزله الساعة الواحدة ليلاً بعد سهرة حمراء خارج المنزل ، واتجه مباشرة إلى غرفة أمه- حيث لا يوجد أحد غيرها - وبلا مقدمات حاول مراودتها عن نفسها - تخيل - فظنت أنه يمزح ، ثم بدا لها أنه جاد وأنه يراودها عن نفسها ، — سبحان الله — فأبت ورفضت رفضاً قاطعاً ، حاول إقناعها لكن دون جدوى ، ثم خرج من الغرفة وتوجه إلى المطبخ وأحضر معه سكيناً ، وقال لها : إذا لم تسمحِ لي فسأقتل نفسي بالسكين، ووقفت المسكينة حائرة لا تدري ماذا تفعل ! ولك أن تتخيل أخي المستمع وضع الأم وهي بين نارين : نار الفاحشة مع ابنها، ونار أن يقتل ابنها نفسه، وبعد فترة هدوء وصمت ومع إلحاح ابنها وافقت على أن يعاشرها ابنها وفعلاً تمت العملية وذهب الابن بعدها إلى غرفته ولم تنته القصة . ففي الصباح استيقظ الابن وشعر أنه قد عمل أمر لا يتذكره بالضبط ! فأسرع إلى أمه يسألها عما حدث البارحة فلم تخبره بما حدث ، وقالت : لم يحدث شيء . لكنه أصر على أمه وكرر عليها السؤال وأطال معها الكلام ، وبعد طول حوار ونقاش و إصرار أخبرته بما حصل !!! وهنا وقف الشاب مندهشاً مستغرباً ، ثم ذهب إلى المطبخ وأخذ علبة بنزين ودخل الحمام ، وما هي إلا لحظات.. فإذا برائحة تنبعث من الحمام ، فأسرعت الأم نحو الحمام وفتحت الباب لترى الموقف العجيب ! لقد أحرق الابن نفسه ! نعم لقد انتحر نعم لقد مات .

لعلك أخي المستمع تستغرب من البون الشاسع بين تصرف الابن ليلاً وتصرفه نهاراً !! إن السر يكمن في أن الابن كان مدمناً على شرب الخمر وقد كان سكراناً حين قدم ليلاً فلما أفاق نهاراً أدرك سوء فعلته فلم يجد إلا الانتحار.

لقد ارتكب هذا الشاب ثلاثة جرائم :

١. شرب الخمر .
٢. الزنى بأمه – نعوذ بالله – .
٣. قتل نفسه .

إنها ثلاثة جرائم كبرى ، وكل منها مهلكة ولكن مفتاحها كان شرب الخمر، فالخمر كما يقال " أم الخبائث " وهي فعلاً الطريق نحو الكثير من الخبائث والجرائم على المستوى الفردي وعلى مستوى المجتمع بل وعلى مستوى العالم، فما هو الخمر ؟

الخمر: كل ما خامر العقل (امتزج معه) وغطاه على سبيل اللذة والطرب. فهي تغطي العقل فيصبح الإنسان تقريباً بلا عقل أي أنه لا يتصرف بعقل.

والعبرة بالمعاني لا بالمباني ، بمعنى أن كل ما خامر العقل فهو يأخذ حكم الخمر حتى لو كانت له تسمية أخرى مثل المشروبات الروحية أو الكحولية...إلخ فالحروف لا تغير من حقيقة المادة شيئاص، فإياك ثم إياك أن يُلبّس عليك الموضوع و تغتر بالأسماء الجديدة ، فالمؤمن كيّس فطن.

أما حكم شرب الخمر ، فهو حرام بإجماع المسلمين قديماً وحديثاً سلفاً وخلفاً بل هو من كبائر الذنوب ، وأدلة ذلك كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وإليك بعض الأدلة :

- ✓ يقول تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" [١٩٣]

- ✓ فعن أنس – ﷺ– قال : لعن رسول الله ﷺ في الخمرة عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتراة له. فهل بقي شيء ،كل اؤلئك لعنوا – والعياذ بالله – واللعن ليس بالأمر الهين بل إنه خطير جداً ، فاللعنة تعني الطرد من رحمة الله .

وما ذكرناه فيه الكفاية لمعرفة الحكم الشرعي في شرب الخمر ، وبقي أن نشير إلى بعض مفاسد ومضار الخمر ، للتعرف على حكمة الله في تحريم الخمر ، وكما ذكرنا في الأدلة الشرعية نذكر هنا أنه لا يمكننا أن نحصر كل مضار ومفاسد الخمر وعواقبه على مستوى العالم ، فالمقام لا يتسع لكل ذلك لكننا سنشير إلى أهم تلك الآثار والعاقل تكفيه الإشارة .

أول الآثار السلبية وأخطرها على المسلم هو الأثر الإيماني فهو معصية بل من كبائر المعاصي ، والمعصية تضعف الإيمان بل قد تذهبه مؤقتاً كما قال ﷺ :" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن " .

أما آثاره السلبية على الجسد فهي كثيرة بل وعلى كل جزء من أجزاء الجسد ، ويصل تأثيرها على الخلية ثم على نواة الخلية وإلى الأجسام المسؤولة عن الطاقة والتي تفقد قدرتها على العمل خلال ٢٤ ساعة من أول جرعة خمر ، ومن الأمراض التي يسببها شرب الخمر :

- سرطان الفم : كما صرّح البروفيسور الأمريكي (ملتن تيريس) أستاذ الطب الوقائي في جامعة نيويورك،

---

١٩٣ سورة المائدة آية ٩٠- ٩١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- سرطان الكبد: فقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة في العصر الحاضر مؤخراً: بأن الأشخاص الذين يصابون بسرطان الكبد هم في الأغلب . من هواة (الخمرة) و إدمانها في معظم الحالات .
- التهاب المعدة : فمما كشفه الطب الحديث . بعد مئات التجارب .: هو أن استعمال الكحول يؤدي إلى التهاب المعدة المزمن، وعرقلة عملية الهضم فيها.
- التهاب الرئة : أدلى مدير مستشفى مقاطعة (كوك) في (شيكاغو) بالتصريح التالي: تتلخص نسبة الوفيات . بين مجموع الوفيات . في ٣٤٢٢ من جراء الإصابة بذات الرئة.

٧٨،٤٩% منهم هم بين المفرطين في شرب الخمر.

٤٠،٣٤% منهم هم بين المتوسطين في شرب الخمر.

٤٥،٢٢% منهم هم بين الذين لا يشربون مطلقاً، أو يشربون قليلاً.

ويماثل هذه الأرقام وهذه النسبة تصريح آخر لمستشفى (بلفيو) في ولاية (نيويورك): «ففي ألف إصابة بذات الرئة كان الخمسمائة منهم من المدمنين على الخمر، بينما كان ٢٤% منهم من الذين لا يتعاطونها»

- أمراض عقلية : صرح الدكتور الشهير (ديتون) بعد إجراء درس دقيق وفحص على خمسة وستين ألفاً (٦٥،٠٠٠) من المرضى الذين دخلوا مستشفيات الأمراض العقلية بولاية (مساتشوستس) بمايلي: « أن الإدمان على الخمر سبب ظاهر لخُمس الإصابات التي تدخل إلى مستشفيات الأمراض العقلية أي: ثلاثة عشر ألفاً منهم (١٣،٠٠٠) أصيبوا بها على أثر إدمان الخمر.
- التأثير على الذاكرة : تقول الأبحاث: إن الخمر تقلل استجابة فاعلية الذاكرة ٦% بعد شرب كل كأس ونصف من (الويسكي)، و٣٤% بعد شرب ثلاثة كؤوس ونصف الكأس.

وأما آثارها على المجتمع فهي كثيرة أيضاً و سنكتفي ببعض الإحصائيات :في عام ١٩٦٨م ثلث حوادث الانتحار في العالم بسب الإدمان و ذكرت منظمة الصحة العالمية في تقريرها عام ١٩٨٠م أن % من حالات القتل سببها السُكْر و % من جرائم العنف والاغتصاب سببها السُكْر وفي حوادث الطرق عام ١٩٧٦

٦٧% في أمريكا، ٤٦% في فرنسا، ٥٠% في استراليا، ٧٠ % في تشيلي

الخسائر المادية في: أمريكا ٤٣مليون دولار، وفي استراليا١١٠٠مليون دولار.

ولعلنا لم نكن مغالين إذا قلنا: إن الخمر أضر على البشرية من (القنبلة الهيدروجينية)؛ وذلك لأن (القنبلة الهيدروجينية) قد لاتستعمل أبداً، فلا تؤثر شيئاً، أما (الخمر) هذا البلاء المستمر فهو يبيد ملايين البشر في كل عصر.

الفصل الثالث: السحر والشعوذة

السحر والشعوذة قضية خطيرة وقديمة ولا تزال آثارها السيئة على عموم الناس في شتى البقاع ، قضية جعلت بعض الأقوام يعبدون الشمس والقمر والكواكب وآلهة أخرى ، قضية حاربها الأنبياء والمرسلون من عهد نوح عليه السلام وما بعده، ولا تزال تلك القضية حتى عصرنا الحاضر لها أتباعها ولها روادها

السحر في اللغة : ما خفي سببه لعموم الناس . فيعتبرونه أمراً خارقاً للعادة .

أمّا شرعاً فإنّه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: عُقَد ورُقى أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين ليسلطهم على المسحور ويلحقون الضرر به

القسم الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله.

فالأول . شرك وكفر ، وعمل يعتبر كفراً يخرج من ملة الإسلام ، لأنه من المعروف أن الشياطين لا يمكن أن يساعدوا أحداً في ضرر الآخرين إلا بعد أن يقيم الساحر علاقة قوية مع الشيطان ، وكلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ورسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ وأشد تأثيراً ، وهذا يتطلب من السحر أن يثبت للشيطان صدق ولائه لهم بعبادته إياه – والعياذ بالله – وبعمل ما يطلبه منه الشيطان بلا تردد، وصور العبادة هذه تتنوع وتتغير وتتبدل باختلاف الأزمان والأحوال والإنسان ، فقد تكون بالسجود لهم و بإهانة المصحف الشريف ، أو الذبح لهم ، وتناول المحرمات والخبائث وغير ذلك. وكلها صور شركية لا تجوز ولا ينبغي للمسلم أن يعملها ولا أن يرضى بها .

وأما القسم الثاني فهو عدوانٌ وفسق.

وعلى كل حال فإن السحر ثابت وله حقيقة مؤثرة فيفرق بين المرء وزوجه ويضر بعض الناس وكل هذا بإذن الله كما قال تعالى : " **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** "[١٩٤] ونظراً لشناعة السحر وضرره الكبير على الفرد والمجتمع والعقائد فقد شنّ الإسلام حربا على السحر والسحرة بطرق وأساليب متنوعة ومن ذلك :

- ✓ أن الإسلام عدّ السحر من الجرائم الكبيرة فقد قال رسول الله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات " قالوا: وما هنَّ يا رسول الله ﷺ؟ قال: "الشرك بالله والسحر " فقد ذكره الرسول – ﷺ – بعد الشرك بالله مما يعني أنه أعظم كبيرة بعد الشرك بالله مباشرة ، وحديث خطير أيضاً يقول فيه الرسول الكريم – ﷺ – : "من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول : فقد كفر بما أنزل على محمد".
- ✓ النهي عن تعلم السحر وأن تعلمه كفر.
- ✓ نفي الفلاح عن الساحر ، قال تعالى :" **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)** "[١٩٥] النفي في الآية يعم جميع أنواع الفلاح الدنيوي والآخروي .

ومحاربة السحر قضية قديمة و لا زالت مستمر حتى في الأمم المعاصرة والمتقدمة ، فتسعى الدول لمحاربته وتشديد العقوبة على فاعله ، فقد ورد في قانون العقوبات الفرنسي (حظر السحر ومنعه ، وأنّ عقوبة المشعوذين والعرافين الذين يدجلون على النّاس ويدّعون أنّهم يشفون المرضى ونحو ذلك أنّ عقوبتهم السجن سنة إلى خمس سنوات).

وحتى لا تختلط الأمور فلابد من بيان الفرق بين السحر والمعجزة النبوية من عدة وجوه :

أولاً : السحر يُتعلّم من السحرة والشياطين ، أمّا المعجزة فهي هبة ومنحة من الله لأنبيائه ورسله .

---

[١٩٤] سورة البقرة آية ١٠٢

[١٩٥] سورة طه

ثانيا : إنّ السحر يظهر على يد الكافر والفاسق الفاجر والمعجزة تظهر على يد الأنبياء والأنبياء أفضل النّاس خُلُقَاً وصدقا وأدبا وأمانة وإشفاقاً ورفقا وبعداً عن الدناءآت والكذب والتمويه ، أمّا الساحر فعلى العكس من ذلك كلّه لا تجده في موضع إلاّ ممقوتا حقيراً بين النّاس وأصحابه وأتباعه .

ثالثاً : المعجزة على حقيقتها وباطنها كظاهرها وكلما تأملتها ازددت بصيرة في صحتها ولا يستطيع الآخرين مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ولو أجهدوا أنفسهم ، ومخاريق السحرة وتخييلاتهم إنّما هي نوع من الحيلة لإظهار أمور وإيهام النّاس . كسحرة فرعون الذين يوهمون النّاس بأنّهم يحولون الحبال والعصي إلى ثعابين وهي ليست ثعابين في حقيقتها ، فلما رأوا عصا موسى عليه السلام تحولت إلى ثعبان يلقف حبالهم وعصيهم علموا أن هذه معجزة وأنّ موسى عليه السلام رسول الله فخرّوا لله ربّ العالمين .

رابعاً : أنَّ المعجزة لا يمكن إبطالها أمّا السحر فيمكن إبطاله بساحر مثله أو أعلم منه ، وإمّا أن يبطله أهل التقى والإيمان بما أعطاهم الله من اليقين وبما يتلونه من آيات الكتاب ، والأدعية والأذكار .

و علاج السّحر والوقاية منه يكون بالطرق المشروعة ، وقد أرشدنا ديننا الحنيف إلى ذلك بعدة وسائل منها :

١. الاستعاذة بالله من الشيطان قال الله تعالى :" **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "[١٩٦] . وقال الله تعالى:" **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)**

[١٩٦] سورة الأعراف آية ٢٠٠

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) "[١٩٧] والاستعاذة هي الالتجاء والاحتماء بالله العزيز العليم القادر على رد كيدهم ومكرهم .

٢. قراءة : قل هو الله أحد ، والمعوذتين في الصباح والمساء . فقد قال ﷺ لأحد أصحابه : " **قل (هو الله أحد) والمعوذتين ، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كلّ شيء**) "

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت :" إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث).

٣. قراءة سورة البقرة، كما قال ﷺ: " **إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة** "

٤. قراءة آية الكرسي ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكّلَنِي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذتهُ وقلتُ : والله لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ قال: إنّي محتاجٌ وعليَّ عِيالٌ ولي حاجةٌ شديدة قال : فخَلَّيتُ عنهُ ، فأصبحتُ فقال النبيُّ ﷺ:" يا أبا هريرة ما فعل أسيرُكَ البارحة ؟" قال : قلتُ : يا رسول الله ، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخلَّيتُ سبيلهُ ، قال :" أما إنّه قد كذبكَ وسيعود" فعرفتُ أنّه سيعودُ لقولِ رسول الله ﷺ : " إنّه سيعود" فرصدتُهُ فجاء يحثو من الطعام فأخذتُهُ فقلتُ : لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني فإنّي محتاجٌ وعليّ عِيالٌ ، لا أعود ، فرحمته فخلّيتُ سبيله ، فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ:" يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟" قلتُ : يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمته فخلّيتُ سبيله ، قال :" أما إنّه قد كذبك وسيعود " فرصدتُهُ الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلتُ : لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، وهذه آخِرُ ثلاثِ

---

١٩٧ سورة المؤمنون بية ٩٧ -٩٨

مرَّاتٍ أنّك تزعُمُ لا تعود ثمّ تعود . قال: دعني أعلّمك كلمات ينفعك الله بها ، قلتُ ما هنَّ ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي :" الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيوم " حتى تختم الآية ، فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطانٌ حتى تُصبح، فخلّيتُ سبيلهُ فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ :" ما فعل أسيرُكَ البارحة؟" قلتُ : يا رسول الله ﷺ زعمَ أنّهُ يُعلّمني كلماتٍ ينفعني الله بها فخلّيتُ سبيلهُ ، قال :" ما هي ؟" قلتُ : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسيِّ من أوَّلها حتى تختم :" الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيوم " . وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربكَ شيطان حتى تُصبحَ ، فقال النبيُّ ﷺ :" أما إنّه قد صدقكَ وهو كذوب أتعلَمُ من تُخاطِبُ منذُ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة ؟" قال : لا ، قال: " ذاكَ شيطانٌ ".

٥. القراءة بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، ففي الحديث:" من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" والآيتان من آخر سورة البقرة هما " آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون ....." ومن معانى قوله – ﷺ –كفتاه أي كفتاه من الشيطان .

٦. قول " لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير " في اليوم مائة مرة ، ففي الحديث أنّ رسول الله ﷺ بين أنها حرزٌ من الشيطان.

٧ . استعمال الأدوية المباحة : ويمكن اتقاء السحر قبل وقوعه ، وحلّهِ بعد وقوعه بتناول الأدوية واستعمال بعض الجراحات التي يعرفها الأطباء وأهل العلم .

وفي الختام كن على يقين بان النفع والضر هو بيد الله وحده وأن المنجي من مكايد الشيطان وأعوانه هو الله وحده وأن المتصرف بجميع الأمور والقادر على كل شيء هو الله فلنكن مع الله .

الباب التاسع

المصير المحتوم

سيكون ختام أبوابنا توضيح لنهاية العالم وما يمكن أن يحدث للكون من تغيرات ، وما يتبعه من بعث ونشور إلى الوصول إلى جنة رب العالمين – نسأل الله العظيم من فضله- ، فإلى ذلك :

لقد حانت ساعة الصفر ، وبدأ التغير الكوني والبشري في العالم أجمع بل في الكون كله بأمر من العزيز الجبار فلا أحد يعلم متى ستكون ولا كيف سيكون بالتفصيل ، فليس لنا من المعلومات إلى ما أخبرنا به الله في كتابه أو فيما صح عن نبيه ﷺ .

تلك هي بداية رحلة الخلود التي ستنتهي بالناس أجمعين (ونحن منهم) إلى فريقين : سعيد وشقي ، فإلى تلك الرحلة المحتومة :

الفصل الأول بداية النهاية

تبدأ تلك الرحلة بنهاية علامات الساعة حينها يأذن الله بالنفخ في الصور، والصور عرَّفه رسول ﷺ الإسلام فقد جاء أعرابى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الصور ؟! فقال : "قرن نفخ فيه" وصاحب هذا القرن هو إسرافيل. وقد حدد لنا المصطفى ﷺ اليوم الذي يأمر الله فيه إسرافيل بالنفخ في الصور ، وقال ﷺ: " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ". فيأمر الله جل وعلا إسرافيل بالنفخ فى يوم جمعة ، متى هو ؟ وأي جمعة ؟ الله أعلم ، فكما ذكرنا سابقاً لا يعلم متى الساعة إلا الله وحده .

بعد هذه النفخة يحدث انقلاب هائل في الكون عامة ، فتُكوَّر الشمس (الشمس التي تمدنا الآن بالضوء والدفء والحرارة) قال تعالى : " **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** "[١٩٨] ، أي أظلمت وذهب ضوئها ، والنجوم تتناثر ويذهب بريقها ، والجبال العظيمة تدك فتصبح قطع صغيرة متناثرة وتتحول البحار إلى نار مشتعلة ، ويذهل البشر عما هم فيه من الأحوال فإن التغير كبير والخطب جليل والأمر عظيم .ثم يموت الناس الملوك و الضعفاء ، والأغنياء والفقراء ، والصالحون والمفسدون ، الذكور والإناث الصغير والكبير وحتى الملائكة الكرام جبريل واسرافيل وملك الموت فالكل يموت ولا يبقى إلى الواحد الحي الذي لا يموت – سبحانه – فيطوي السموات والأرض بيمينه ويهتف بصوته جل جلاله ويقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يقول جل جلاله لمن الملك اليوم ؟! لمن الملك اليوم ؟! لمن الملك اليوم ؟! فلا يجيبه أحد فيجيب على ذاته : لله الواحد القهار كما قال في كتابه : " **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ**

[١٩٨] سورة التكوير آية ١

الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ "[١٩٩]

وبعد مدةٍ الله أعلم بها يأذن الله ببعث الخلق من جديد (إحيائهم بعد موتهم) فينزل من السماء ماءً فتنبت به الأجسام في القبور تحت باطن الأرض فيكتمل خلق كل إنسان من لدن آدم إلى يوم القيامة في قبورهم وحينئذ يأمر إسرافيل بعد ما يحييه أن يلتقم الصور وينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح .. أرواح المؤمنين لها نور وأرواح المشركين لها ظلمة !! فتسرى الأرواح إلى الأجساد التي اكتملت كما يسرى السم فى اللديغ ، وحينئذ يأمر الله جل وعلا الأرض أن تتزلزل وأن تتشقق ليخرج منها الناس من آدم عليه السلام إلى آخر رجل قامت عليه القيامة .

فلنتصور ذلك المشهد العظيم الأرض تتشقق وتتفتح القبور المتناثرة هنا وهناك في الشمال والجنوب والغرب والشرق ، تتشقق تلكم القبور ويخرج الناس حفاة (بلا نعال) عراة (بلا ملابس) من هنا وهنالك ، شاخصي الأبصار إلى اتجاه واحد لا يلتفتون يميناً ولا يساراً إلى هذا الداعي – الملك الكريم – الذي جاء بأمر رب العالمين ليقود الناس جميعاً إلى أرض جديدة منبسطة لم يطأها أحد من قبل بقدميه ألا وهى أرض المحشر .

ومن المهم هنا أن نذكر بحقيقة مهمة جداً وهي قوله ﷺ : " يبعث كل عبد على ما مات عليه " فمن مات على طاعة بعث عليها فمن مات ملبياً في الحج بعث ملبياً و مثله قوله ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك " ، ومن مات على معصية – نعوذ بالله – بعث عليها ، ومنهم من يبعث وبطنه منتفخة لا يقوى على القيام بل ولا يستطيع الجلوس يتخبط عن يمينه وعن شماله إنهم أكلة الربا :قال الله تعالى :" **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا**

[١٩٩] سورة غافر آية ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ "[٢٠٠] ومن الناس من يبعث وفى يده كأس الخمر ..ومنهم من يبعث وهو يحمل على كتفه ما سرقه في الدنيا، فهلا حرصنا على المداومة على الطاعة والملازمة لها لعلنا نبعث عليها.

الآن وقد بُعِث الخلق أجمعون و قادهم الملك إلى أرض المحشر والحساب ، فها هم الخلق أجمع على أرض المحشر (أرض جديدة مستوية لم تطأها قدم إنسان من قبل) ، والكل حفاة عراة الرجال والنساء حتى أن عائشة (زوج رسولنا ﷺ) تستغرب ذلك، فقالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظروا بعضهم إلى بعض قال :" يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك" نعم والله لقد جاءهم ما يشغلهم عن النظر إلى بعضهم إنه هول الموقف والاستعداد للحساب والجزاء. فإذا وصل الناس إلى أرض المحشر ازداد الهم والكرب والغم ولم لا؟! وقد وقفوا قياماً طويلاً .. طويلاً !!و تدنوا الشمس من الخلق كما قال ﷺ: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل " فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يغطيه عرقه. ،ثم يؤتى بجهنم فتحيط بالخلائق لها سبعون ألف زمام ، ومع كل زمام سبعون ألف ملك ، يومها يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، فالزوجة تفر من زوجها والأم الحنون بطفلها من غير وعى فلا أمومة ولا أخوة و الكل يقول نفسي ... نفسي ... حتى الأنبياء فكل له شأن يلهيه ، استمع لقول الله عز وجل :"**إِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** "[٢٠١]

في هذا الموقف ينادى الحق جل جلاله على أناس ليظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله –

---

[٢٠٠] سورة البقرة آية ٢٧٥

[٢٠١] سورة عبس آية ٣٣-٣٧

نسأل الله أن نكون منهم – أتدري من هم؟ استمع إلى رسولك ﷺ حيث قال :" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصبٍ وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" فهلا حرص كل منا أن يكون من أولئك .

في هذا الكرب ينطلق بعض الناس ويقول بعضهم لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ؟!! ألا ترون ما قد بلغنا ؟!! ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم ليقضى بينكم ؟!!

فلا يتقدم للشفاعة يومئذ إلا صاحبها . سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ فماذا يفعل ؟ قال ﷺ فيأتوني – فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فانطلق ، فآتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربِّ ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه عليّ أحد قبلي ، فيقول الله جل وعلا لنبيه المصطفى ما شأنك ؟ وهو أعلم ، فيقول الحبيب ﷺ: يا رب قد وعدتني الشفاعة . فشفعني في خلقك ، فأقضى بينهم ، فيقول الله جل جلاله : قد شفعتك ، أنا أتيكم لأقضيّ بينكم . فيرجع الحبيب المصطفى ﷺ ليقف مع الناس في أرض المحشر لينظروا جميعاً مجيء الرب جل جلاله لفصل القضاء بين العباد، فينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف مَن في الأرض من الجن والإنس فتحيط الملائكة بالخلائق في أرض المحشر ، فإذا ما نظرت الخلائق إلى الملائكة قالوا أفيكم ربنا ؟! فتقول الملائكة : لا وهو آت .ثم يتنزل أهل السماء الثانية من الملائكة وهكذا أهل السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة على قدر ذلك من التضعيف ، ثم يتنزل حملة عرش الملك جل وعلا وهم يحملون العرش ،ويضع الحق جل جلاله كرسيه حيث شاء .

وبعدها يبدأ الحساب وأرجو أن تتصور نفسك في هذا الموقف : فأنت في أرض المحشر ستستمع

إلى نداء الملائكة : أين فلان بن فلان ؟ ويكون الحساب على القواعد التالية :

١. العدل التام فلا ظلم كما ثبت في الحديث القدسي : " يا عبادي إني حَرَّمْتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا " فهو سبحانه من عدله رحمته أن حرَم الظلم على نفسه .

٢. كل نفس بما كسبت رهينة ، فلا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى .

٣. الإعذار أي أن يعرض الله على العبد عمله يوم القيامة مهما كان وأينما كان وفي أي زمان كان فهو كتاب كامل للعبد عرض له فيه كل صغيرة وكبيرة كما قال تعالى : " **وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**[٢٠٢]

٤. مضاعفة الحسنات لأهل الطاعات ، وتبديل سيئاتهم حسنات .

وأول ما يحاسب عنه العبد هو الصلاة ففي الحديث : (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة) ، أما ما يُسأل عنه العبد ويحاسب عليه فهو أربعة أمور ذكرها رسولنا ﷺ :" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه ما عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟ "

وبعد الحساب يعطى العبد كتابه لينطلق إلى أهله وذويه ، فيكون أحد الفريقين :

١. يعطى كتابه بيمينه يقول الله عنه : (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩)إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٢١)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(٢٣)**[٢٠٣]

٢. يعطى كتابه بشماله يقول الله عنه : " **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ**

---

[٢٠٢] سورة الكهف آية ٤٩

[٢٠٣] سورة الحاقة آية ٢٣

كِتَابِيَهْ(٢٥)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦)يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ"[٢٠٤]

فإذا فرغ الله جل وعلا من حساب العباد فيما يتعلق بحقوقه أذن لدواوين المظاليم أن تنصب للقصاص وأداء الحقوق كما قال ﷺ : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة) ، فلا يظنن أحد أن ظلمه للعباد من ضرب أو سب أو شتم أو تزوير أو أكل مال بالباطل أو أكل مال يتيم أو استهزاء أو سخرية أو غيبة أو نميمة أو جرح كرامة سيضيع سدى !! كلا فأنه سيحاسب عليها وسيقتص منه على حسب مظلمته ،والجزاء لن يكون بالمال ولكن سيكون بالحسنات والسيئات.

فإذا انقضى الحساب أمر الله ﷻ أن بوزن الأعمال ، فإذا وزنت الأعمال ، وتقرر الجزاء ، ما بقى إلا أن يلقى كل واحد مصيره فيأمر الملك جل وعلا أن ينصب الصراط على متن جهنم وهو كما قال ﷺ : " الصراط جسر أدق من الشعر وأحد من السيف يضربه الله ﷻعلى ظهر جهنم ليمر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم والمشركون إلى جهنم وبئس المصير ، فهو قنطرة بين الجنة والنار " . فيمر المؤمنون على الصراط بحسب أعمالهم الصالحة كما قال ﷺ : " فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، والريح.."حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار – فكل ابن ادم تأكله النار إلا أثر السجود – فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .ثم يحبس المؤمنون قبل دخولهم الجنة كما قال ﷺ :" إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بالدخول إلى الجنة". وهكذا يكون المصير المحتوم للعباد إما إلى جنة وإما إلى النار .

[٢٠٤] سورة الحاقة آية ٢٤– ٢٩

الفصل الثاني: النار والجنة

مما يدفع العبد للسير في طريق ما معرفة نهاية الطريق ، وأيضاً معرفة نتائج ترك عن هذا الطريق وسلوك الطريق الآخر ، فكل إنسان في هذه الحياة يسير ويعمل ويبذل وأمام ناظريه النهاية حيث سيكون واحد من اثنين إما جنة بما فيها من نعيم – نسأل الله أن نكون وإياكم من أهلها أو نار– والعياذ بالله – ، وحديثنا اليوم عن مصير الفريق الآخر (أهل النار) لعلها تكون رادعةً لنا لنتجنب أعمالهم وأحوالهم فننجو من هذا المصير المشؤوم والخسران المبين .

نظراً لما أيقن به أصحاب جهنم من شدة العذاب الذي ينتظرهم فهم لا يرغبون في الذهاب إليها ، ولكنهم سيذهبون سحباً بالسلاسل قال الله تعالى :" **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** "[٢٠٥] أنها أغلال وليست في الأيدي لكنها في الأعناق ، تلك الاعناق التي كانت تأبى السجود والاستلام لله تعالى وتتكبر على شريعته ومنهجه ، ولك أن تتأمل حال هؤلاء الأشقياء الكفار كيف يُساقون سوقاً عنيفاً إلى جهنّم بزجر وتوبيخ ووعيد قال الله تعالى :" **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**" [٢٠٦] أي يُدفعون إليها دفعاً ، هذا وهم عطشا جياعٌ خائفون قد بلَغ منهم الخوفُ والرُعبُ كُلّ مبلغٍ ، وهم في حالة يصفها القرآن في قوله تعالى :" **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**" [٢٠٧]".

وانظر إلى الفرق الكبير بين هاتين المقرنتين : مقارنة العذاب والنعيم الدنيوي بالنسبة إلى النعيم والعذاب الآخروي فعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " يُؤتى بأنعم النَّاس يومَ القيامة

---

[٢٠٥] سورة غافر آية ٧١ – ٧٢

[٢٠٦] سورة الطور آية ١٣

[٢٠٧] سورة الإسراء آية ٩٧

من أهل النّار فيُصبَغُ في النّار صِبغَةً ثُمَّ يُقالُ : يا ابنَ آدَمَ هلْ رأيتَ خيراً قَطُ ؟ هلْ مرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُ؟ فيقولُ : لا والله يا ربُّ ، ويُؤتى بأشدِّ النّاس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنّة فيُصبَغُ في الجنّة صِبْغَةً فيقال : يا ابن آدم هل رأيتَ بُؤساً قَطُ؟ هل مرّ بك شدَّةٌ قطُ ؟ فيقولُ لا والله يا ربُّ ما مرَّبي بُؤسٌ قطُ ولا رأيتُ شِدَّةً قط "

وأما عظمة النار فقد قال ﷺ:" هذا حجرٌ رُمِيَ به في النّار مُنذُ سبعينَ خَرِيفاً فهو يهوي في النّار الآن حتى انتهى إلى قَعْرِها ". تصور سبعين سنة ! يا سبحان الله ، كم هو حجم هذه النار ؟

أما حرّها فلا يمكن أن نحيط به قال ﷺ:" أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء كالليل المظلم".و في حديث آخر عنه ﷺ قال:" نارُ بنِ آدَمَ التي يُوقِدُونَ منها جُزْءٌ من سبعينَ جُزْأً من نار جهنّم ، فقالوا يا رسول الله ﷺ وإنْ كانتْ لكافية . قال : فإنَّها فُضِّلَتْ بتِسعَةٍ وستّينَ جُزْأً كُلُّها مِثْلُ حَرّها ".

وجهنم لها سبعة أبواب كما قال تعالى عنها :" **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**" [٢٠٨]، فلكل باب قسم من أهلها – والعياذ بالله – معروفين –، هذه الأبواب ليست كأبواب الدنيا بل مختلفة تماماً عنها فهي أبواب عظيمة ،فإذا دخلوا أغلقت تلك الأبواب إغلاقاً محكماً لا يفتح لهم أبداً.

وإذا أُلقيَ أهل النار في النار سمعوا شهيقَ النار قال الله تعالى :" **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**"[٢٠٩] إنها تكاد تتقطع من الحرقة والغلظة على من ألقي فيها ، تخيل نار تشهق وتتميز من الغيظ، فيا سبحان الله!

---

٢٠٨ سورة الحجر آية ٤٤

٢٠٩ سورة الملك آية ٧ –٨

أما داخل جهنم وما يعانيه أهلها فهذه صورة يطول شرحها ، لذاسنختصر فنقول :

بعد أن يدخلون يقدم لهم الطعام قال الله تعالى :" **لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**"[٢١٠] وقال الله تعالى :" **أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**" [٢١١]، والزقوم طعام لا يمكن وصفه فقد قال عنه ﷺ :"لو أنَّ قطرةً من الزّقُّوم قطرتْ في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن تكونُ طعامه ".

أما شراب أهل النار فهو يتنوع بتنوع العذاب فمنه الحميم والغسّاق نعوذ بالله من ذلك قال الله تعالى :" **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** "[٢١٢] الغسّاق : القيح الغليظ ،ولو أنَّ قطرةً منه تُهرقُ في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو أُهريقتْ في المشرق لأنتنت أهل المغرب .

أمّا كُسوَةُ أهل النّار فقد ذكر جلَّ وعلا ثِيابهم فقال تعالى :" **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ** "[٢١٣] ، تخيل ثوب من نار، نعم فالله على كل شيء قدير، ومن المعروف أن الثوب ملازم للإنسان فكذلك ثياب أهل النار ملازمة لهم .

ومن صور العذاب قوله تعالى : " **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**" [٢١٤] أي تُحرق وجوههم وهم فيها كالحون أي عابسون قلصت شفاههم وبرزت أسنانهم.

---

٢١٠ سورة الواقعة آية ٥٢-٥٣

٢١١ سورة الصافات آية ٦٢- ٦٦

٢١٢ سورة النبأ ٢٤ -٢٥

٢١٣ سورة الحج آية ١٩

٢١٤ سورة المؤمنون آية ١٠٤

وصورة أخرى وهي تبديل الجلود ليذوقوا العذاب قال تعالى :"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**"[٢١٥]

وبعد هذا العذاب لنتعرف ماذا يتمنى أهل النار :

- ✓ يطلب أهل النّار من الله الخروج منها كما في الآية الكريمة ك " **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**"[٢١٦] .
- ✓ يتمنى أهل النّار الموت والهلاك قال الله تعالى :" **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** " [٢١٧].
- ✓ تخفيف العذاب ولو ليوم واحد " **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**"[٢١٨]

وأعظمُ عذابِ أهلِ النّار حِجَابُهم عن الله عزّ وجلّ وإبعادِهم عنه وإعرَاضُه عنهم وسَخْطُه عليهم ، ..قال الله تعالى:" **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**"[٢١٩] فكما حُجبت قلُوبُهم في الدنيا عن الله حُجِبُوا في الآخرة عن رؤيته .

أيّها القارئ ك تفكّر بقلبك وألْقِ سمعك لقوله تعالى:" **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** "[٢٢٠].هكذا حالهم يتمنون الخروج من النار والعودة إلى

---

[٢١٥] سورة النساء آية ٥٦

[٢١٦] سورة المؤمنون آية ١٠٧- ١٠٨

[٢١٧] سورة الزخرف آية ٧٧

[٢١٨] سورة غافر آية ٤٩

[٢١٩] سورة المطففين آية ١٥

[٢٢٠] سورة فاطر آية ٣٧

الدنيا من أجل هدف واحد " نعمل صالحاً " فالعمل الصالح هو المنجي – بعد الله – من النار ، فالحمد لله الذي حقق لنا ما يتمناه أولئك وأمهلنا الفرصة في الدنيا.

هذا شيء مما يلاقيه أهل النار – والعياذ بالله –. اسأل الله الرحيم الغفور الكريم الحكيم العفو المنان أن يرحمنا برحمته ويبعدنا عن ناره ،

ولننتقل للحديث عن الفريق الآخر، الفريق السعيد – نسأل الله أن نكون منهم – ولنبدأ بهذه القصة :

قال ﷺ : " ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً للجنة، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها ، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول :لا أسألك غيره ، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أي رب قدمني إلى باب الجنة .فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول: أي رب ويدعو الله ،حتى يقول له:فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره . فيقول :لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة.فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول :أي رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدركفيقول : أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة ، فإذا دخلها ،قال الله له تمنى : فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه .

الله أكبر هذا آخر أهل الجنة دخولاً ، فكيف بمن فيها، لذا فإنهم يسرعون في الدخول إليها كما قال الله تعالى:" **وسيقَ الذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمراً حتّى إذا جاءُوها وفتحتْ أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طِبتُم فادخلوها خالدين**"[٢٢١]والسَّوْقِ هُنا : الإسراعُ بهم إلى دار الكرامة والرضوان ، كما يُفعل بمن يُكرم من الوافدين على بعض المُلوك ،فتُفتح أبواب الجنّة كما تفتحُ الخدمُ باب المنزل للضَّيف عند قدومه وتقفُ لهُ منتظرةً حضُورهُ فَرحاً واستبشاراً لِقدومه، فَرِحوا بما أفاء الله عليهم من النّعيم.

ثم أخبر عزّ وجل أنّ خزنة الجنّة يُسلِّمون على المؤمنين فقال سبحانه : " **وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**"[٢٢٢] فبدؤوهم بالسلام المتضمِّن للسلامة من كُلِّ شرٍّ ومكروه .

أمّا أنهار الجنّة فهذا شيء من وصفها قال الله تعالى :" **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**" [٢٢٣] أنهار من ماء غير آسن أي غير مُتغيِّرةِ الطَّعم والرائحة واللون،بل هو أعذبُ المياه وأصفاها وأطيبها وألذها شربا، والثاني أنهار من لبن لم يتغيّر طعمه أي لا بحموضةٍ ولا غيرها. والثالث أنهار من خمر لذة للشاربين أي ليس فيها كراهةُ طعم ولا رائحة ولا سُكرٌ بل يَلْتَذ شاربها لذّةً عظيمةً . والرابع أنهار من عسلٍ مُصَفًّى ، فلا شمع ولا فضلات نحلٍ وغير ذلك . ومن أنهار الجنّة الكوثر قال عنه رسول الله ﷺ:" الكوثر نهر في الجنّة حافتاهُ من ذهبٍ ومجراهُ على الدُّرِّ والياقوت ، تُربتُهُ أطيبُ من المسكِ ، وماؤُه أحلى من العسل وأبيضُ من الثلج ".

---

[٢٢١] سورة الزمر آية ٧٢

[٢٢٢] سورة الزمر آية ٧٣

[٢٢٣] سورة محمد آية ١٥

أما مساكن وقصور أهل الجنّة فممّا ورد في ذلك قول النبيّ ﷺ:" إنّ للمؤمن في الجنّة لخيمةٌ من لُؤلؤةٍ واحدة مُجوَّفةٍ ، طُولُها في السماء سِتُّونَ مِيلاً ، للمؤمن فيها أهلُونَ يطوفُ عليهم المؤمن فلا يَرى بعضهم بعضاً " ، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قلنا : يا رسول الله حدِّثنا عن الجنّة ما بناؤُها قال ﷺ : " لَبنَةُ ذهبٍ ولَبِنَةُ فضَّةٍ ، ومِلاطُها المسكُ وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ وتُرابُها الزَّعفرانُ من يدخُلها ينعمُ ولا ييئَسُ ، ويخلُد لا يموتُ ، لا تبلى ثيابُه ولا يفنى شبابُه ". ومعنى ملاطها المسك وفي رواية المسك الأَذْفَر و الملاط ما بين اللبنتين.

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى النبيّ ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أنَّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون ؟ قال : " نعم " والذي نفسُ محمد بيده،إنّ أحدهم ليُعطى قوّةَ مائةِ رجل في الأكل والشرب والجماع " قال : فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجة ، وليس في الجنّة أذى ؟ قال ﷺ :" تكونُ حاجة أحدهم رشحاً يفيضُ من جلودهم كرشح المسك فيضمُرُ بطنُهُ ". يضمر بطنه : أي ينحف ويدق .

أمّا ما يأكله أهل الجنّة من الثمرات فمختلفة الطعم والرائحة والشكل، من نخيل وأعناب وتفاح ورمّان وتين وغيرها من الثمار ممّا لا نظير له في الدُّنيا قال الله تعالى :" **ولهم فيها من كُلّ الثمرات** "[٢٢٤] وقال الله تعالى :" **وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**"[٢٢٥]، كما وأنّ لأهل الجنّة سوقاً ينالون فيه من النعيم والجمال ، فقد قال ﷺ:" إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة . فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم . فيزدادون حسنا وجمالا . فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا . فيقول لهم أهلوهم : والله ! لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا . فيقولون : وأنتم، والله ! لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ". الله أكبر هكذا هي الأسواق الربانية ، كلما أتوها زادو جمالاً وكذلك أهليهم يزدادون جمالاً بلا نهاية .

---

[٢٢٤] سورة محمد ١٥

[٢٢٥] سورة الواقعة آية ٢٠-٢١

وبعد أن عرضنا بعض نعيم أهل الجنّة سنذكر أكبر نعيم وأعظمه لأهل الجنّة وهو (نظر أهل الجنّة لربّهم) يقول رسول الاسلام ﷺ : إذا دخل أهلُ الجنّة الجنّة يقولُ الله عزَّ وجل تُريدون شيئاً أزِيدُكم ؟ فيقولون ألمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنا ؟ ألم تُدخِلنا الجنّة ؟ وتُنَجِّنا من النَّار ؟ قال : فيُكشَفُ الحجاب فما أعطُوا شيئاً أحبُّ إليهم من النظر إلى ربّهم ، ثم تلا هذه الآية " **للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة**[٢٢٦]".

وآخر النعم هي الرضوان الرباني ، قال رسول الله ﷺ : " إنَّ الله يقولُ لأهل الجنّة : يا أهل الجنَّةِ فيقولون : لبَّيكَ ربَّنا وسَعْدَيكَ والخير في يديك . فيقولُ: هل رَضِيتمْ ؟ فيقولونَ : وما لنا لا نرضى ؟ يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك فيقولُ: ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلك ؟ فيقولون : يا ربّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك ؟ فيقولُ أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخطُ عليكم بعدَهُ أبداً ".

وهكذا أُسدل الستار وانتهى كل واحد إلى دار القرار ، فثمت أمر قد يكون فرجاً لأهل النار ومنغصاً لأهل الجنة ، ألا وهو الموت فهل سيموت أهل النار أو أهل الجنة ؟

يقول الرسول الكريم ﷺ : " يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون :نعم. هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال فيؤمر به فيذبح. قال ثم يقال: يا أهل الجنة ! خلود فلا موت. ويا أهل النار ! خلود فلا موت .

وهكذا يتم الفرح والسرور لأهل الجنة ويكون النكد لأهل النار .

اللهم باعدنا عن النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار ، اللهم اجمعنا وأزواجنا وأبنائنا وأحبائنا في جنتك جنة الفردوس الأعلى.

---

[٢٢٦] سورة يونس آية ٢٦

وبهذا نكون قد أكملنا مسيرتنا في " أنا الإسلام " بدأناها بالدخول إلى هذا الدين عبر بوابة " الشهادتين "، ثم إتمام أركان الإسلام وعرفنا " أركان الإيمان " ومررنا بسيرة ولد عدنان وعرجنا على كتاب رب الأكوان ثم بأخلاق أهل الإسلام وشيء مما نهى عنه الدين الحنيف وأخيراً تتبعنا مصير العباد أجمعين إلى حين استقرارهم في دار الجحيم _ والعياذ بالله _ أو دار النعيم – نسأل الله من فضله – .

تم بحمد الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الباب	م	الموضوع	الصفحة
		المقدمة (شمولية الإسلام)	٢
الباب الأول		أركان الإسلام	٧
	١	الشهادتين	٩
	٢	إقامة الصلاة	١٣
	٣	إيتاء الزكاة	١٩
	٤	الحج	٢٢
	٥	صوم رمضان	٢٦
الباب الثاني		أركان الإيمان	٣٠
	١	الإيمان بالله	٣٦
	٢	الإيمان بالملائكة	٤١
	٣	الإيمان بالكتب	٤٨
	٤	الإيمان بالرسل	٥٢
	٥	الإيمان باليوم الآخر	٥٧
	٦	الإيمان بالقدر	٦٤
الباب الثالث		رسول الإسلام	٧٠
	١	الطفل اليتيم	٧٣
	٢	الرسالة	٧٩
	٣	الصراع في مكة	٨٤
	٤	الفرج والمخرج	٨٩
	٥	البناء والمواجهة	٩٣
	٦	الغزوات النبوية	٩٧
	٧	النهاية	١٠٢

الباب الرابع	دستور الإسلام	١٠٧
	١ الإعجاز العلمي في القرآن	١١٤
	٢ تفسير أعظم سورة	١١٩
	٣ تفسير أفضل آية وأقصر سورة	١٢٤
	٤ تفسير سورتي العصر والإخلاص	١٢٨
	٥ تفسير المعوذات	١٣٢
الباب الخامس	من أخلاق الإسلام	١٣٦
	١ الصبر	١٤٣
	٢ التوبة	١٤٧
	٣ الصدق	١٥٧
	٤ مراقبة الله	١٦١
	٥ التوكل على الله	١٦٥
الباب السادس	البناء الاقتصادي في الإسلام	١٦٩
الباب السابع	البناء الاجتماعي في الإسلام	١٧٤
	١ الأسرة السعيدة	١٧٧
	٢ المجتمع	١٨٠
الباب الثامن	من المنهيات في الإسلام	١٨٥
	١ الظلم	١٨٧
	٢ أم الخبائث	١٩٢
	٣ السحر والشعوذة	١٩٧
الباب التاسع	المصير المحتوم	٢٠٢
	١ بداية النهاية	٢٠٤
	٢ النار والجنة	٢١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

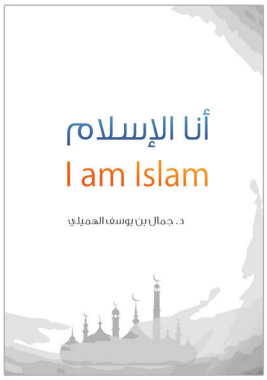

سؤال كثيرا ما يطرح : ما هو الإسلام ؟ وتتعدد الإجابات باختلاف السائل والمسؤول والبيئة، وغالباً ما تكون الإجابة جزئية لقضية أو أكثر مثل الإيمان ، أو قضية العبادات أو المعاملات أو اليوم الآخر أو غيرها، دون استيعاب لمجمله ..

ولما كان الإسلام شاملًا لحياة الإنسان قبل وبعد الممات، أصبح من اللازم توضيح ذلك الشمول وتبيين المنهج القويم ومصدره العظيم ورسوله الكريم، فكان هذا الكتاب، الذي نحسب أنه أضاء للسائلين النور المبين لمعرفة دين رب العالمين بشكل ميسر وسهل وواضح .

ISBN 9786030077021

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في